4

الطبعة 1

يراكم هو وقبيله

الجزء الرابع من سلسلة جن بني النعمان

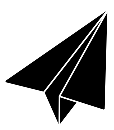
HE, AS WELL AS HIS TRIBE, SEES YOU

بدر رمضان

ELENA BOOK

تم تجهيز هذه النسخة بواسطة:

إيلينا



https://t.me/osn_osn



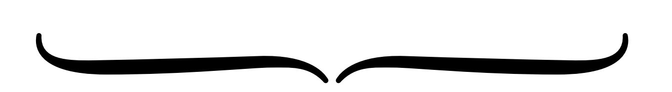
Scan me!

يراكم هو وقبيله

سلسلة جن بني النعمان ٤



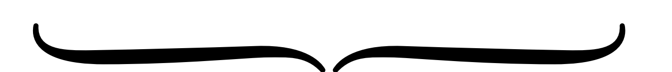
الإهداء



إهداء خاص لزوجي الحبيب الـ (المقموص)

أهديك روايتي الوحيدة التي قتلتُ بها البطل..

حتى تعلم أنه لا يوجد في قلبي بطلٌ سواك.



المقدمة

اليوم الحادي والثلاثين

منذ مُضي شهرًا كاملًا، كنت أنظر لانعكاسي في المرآة على ضوء خفيف أنرته في غرفتي فأنا من عشاق الظلام، لمحته كالطيف يركض من خلفي، وقفت للحظات جاحظة العينين أتأمل الجدار ورائي عبر المرآة، ثم انتقلت بعيني أنظر لباب غرفتي، انقبض قلبي فلا يوجد أحد بالبيت غيري.. وغرفتي أيضًا مُغلقة الأبواب! فمن أين دخل هذا؟ ومن هو!

التفتُّ سريعًا فلم أجدُ أحدًا! بحثت في غرفتي بحذر فلم ألاحظ أي أثر لوجوده، فتحت بابها وخطوت في اتجاه البهو الكبير خطوات مترددة، أقنعت نفسي أنني أهذي؛ فما رأيته لم يكن سوى خيال.. لأجده وأقفًا أمامي يُولني ظهره، أخرجتُ صوتي بصعوبة وأنا أسأله باضطراب:

- من أنت؟!

ولكن للعجب لم يلتفت نحوي! رجلٌ ذو جسد كبير ومليء بالعضلات يرتدي ثوبًا أسود اللون يغطيه من رأسه حتى أخمص قدميه، ويتدلى طرفه على سجادتنا الوردية.

اقتربتُ منه بحرصٍ شديد حتى وقفت خلفه تمامًا وأنا أكرر سؤالي .

وحين التفت يواجهني لم أتذكر ماذا حدث حتى الآن سوى رؤيتي لعينيه السوداء القاتمة قبل أن يغُشى عليّ.

من وقتها وأنا أعيش معه خلف الظلال أراكم جميعًا من حيث لا ترونني..

شاهدتُ عائلتي بأكملها تبكيني وتُشيع جثماني الذي لا أعرف هو لأي فتاة ولا أعلم كيف وضعوه هُناك، استمريت بالصراخ عليهم:

- هذه الفتاة لا تشبهني البتة، هي شديدة البياض وأنا بشرتي حنطية! انظري إليها يا أمي فهي ممتلئة وقصيرة، أنا رفيعة وطولي مئة وتسعة وسبعون سنتيمترًا.

ازداد صراخي حدة حتى شعرتُ بحنجرتي تنجرح:

- يا أمي انظري إليها.

عشت لحظات قاسية لا يعلمون عنها شيئًا، وأنا الآن أعيش معهم يومهم وهم لا يشعرون بي!

أراهم من الظلام الذي يُحيطني من كل اتجاه، لا أعلم حقًا هل أنا ما زلت خلف غرفتي أم أنني في مكان آخر.. ولحُسن حظي وجدتُ ثغرة بغرفتي جعلتني أستطيع العبور بداخلها لدقائق معدودة..

المرة الأولى ظننتُ أنني عُدت، وصرت أقفز فرحًا على سجادة الغرفة البنفسجية المليئة بالورود التي اخترتها بنفسي، بكيت فرحًا وأنا أنظر لفراشي ولأثاثي الذي اشتقت إليه كثيرًا، لم يكن هناك ضوء في الغرفة، فمنذ أن اختفيت وشيعت عائلتي جثماني وأمي تُغلقها كما هي، وعندما اقتربت من زر الإنارة؛

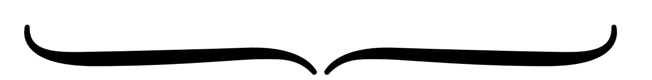
وجدت نفسي عدت لسجني، ولا أعرف كيف دخلت غرفتي، وكيف عدت لهذا السجن بهذه السرعة التي حتى لم أدركها!

كررت الأمر بنفس تفاصيله كثيرًا فلم يفلح، وعندما تملكني اليأس أن أعود ولو للحظات أخرى شحذت همتي وقررت أن أكررها للمرة الأخيرة حتى آتي بدفتري وقلمي، وفي هذه المحاولة استطعت العودة والتقاط دفتري وقلمي لأجد نفسي عدت للغرفة المظلمة الباردة ذات الرائحة الكريهة بعد لحظات وليست دقائق كما المرة السابقة، فأدركت أنني لن أستطيع العودة سوى مرة واحدة بعد، وسوف تكون أقل مدة من أن ألتقط شيئًا، فادخرت مرتي الأخيرة لأضع بها مذكراتي هذه كي تقرأها عائلتي، وتعلم أنني لم أمت كما يعتقدون.

ورغم حزني الشديد مما اكتشفته، لكني تشبثت بالأمل أن يجدوا طريقة تجعلني أخرج من هنا للأبد عندما يرون مذكراتي؛ أنا الآن أكتب لكم في دفتري القديم ما حدث وما سيحدث معي؛ فهذا منفذي الوحيد لأتنفس الحياة قبل أن أموت يأسًا، وسوف أتخيل أنهم سيقرؤون كلماتي هذه..

عذراً يجب علي الرحيل لقد أتى سجاني!

سأكتب لكم غداً إن كُتبت لي الحياة...



اليوم الثاني والثلاثين

لقد اختفى كعادته منذ أن جئت إلى هنا، في نفس التوقيت كل يوم، ليس عندي ساعة ولا أرى الشمس ولا حتى ضوء القمر؛ فأنا في ظلام دائم، هو يكره الضوء بشكل سيئ وإن صادف وتسلل ضوء إلينا أسمعه يصرخ بشدة حتى إنني لا أعلم من أين يتسلل إلينا فكل ما حولي ظلام دامس، ولا أعلم كيف أرى في هذا الظلام الآن رؤية واضحة، أعتقد أنني أصبحت مثله؛ أو أن عيني اعتادت هذا السواد، فتكيفت معه؛لا أدري حقًا ما السبب وراء ذلك!.

في اليوم الخامس من مجيئي إلى هنا رسمت دائرة وحددت بها الساعة والأرقام الإثنى عشر، وكل أربعة وعشرون ساعة أرسم دائرة جديدة وأقف عند نفس الساعة «السادسة» مثل الآن.

في الغالب هي ليست بصحيحة ولكنى أعرف من خلالها كم مر علي من الوقت في هذا السجن، فقد رسمتُ بجوارها مربعا كبيرا أكتب به اليوم الذي ينتهي، أنا إلى الآن لم أفقد الأمل في الخروج من هذه العتمة..

لقد صرخت كثيرًا منذ جئت إلى هنا، واستمر صياحي لأيامٍ وأنا أسأله أين أنا؟ وما الذي يريده مني؟! ولكنه لا يُجيب، بل يحدق بي بعينيه الداجية القاتمة ويتركني بعدما يضع لي طعامًا غريب المذاق والشكل، ويذهب دون التفوه بحرفٍ واحد،

فـي باديْ الأمـر أضـربت عن الطعام بـغضبٍ شـديد، وبعويـلٍ أشد أخبرتـه:

- لـن آكل أو أُشـرب حـتـى أمـوت جـوعًـا وعـطِشًـا، لأنـتـهي مـن هذا السجن المُظلم ذي الرائحة البشعة مثلك.

ولكنه اقترب مني بهدوء، لم يزيدنـي سوى رعب جعل ساقـي تـهتزان بوجل!

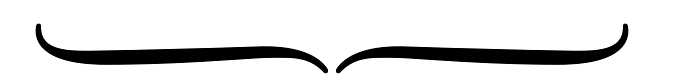
حدقتيه ازدادتا قتامة وسوادًا، ثم أمسك الطعام بيده المقززة ومد يده بشـيءٍ يُشبه الثمار..

دائـري ومـلمسه أمـلس ولـونـه فـاقـع بـاحـمرار يـقترب لـلسواد، ولكـنـي لا أعـرف مـاهـيته، ولـم أر فـي حياتـي مثل هـذه الثمار من قبل، ورغم شعوري بالهلع يدُب في أوصالـي، وقدماي قد أوشكتا على الانـهيار؛ ولكنـي تماسكت وتمردت وأصررت أن لا آخذ منه الطعام، فاقترب أكثر مني؛ فعدتُ برهبة للخلف حتى التصقت بالحائط، وهـو لـم يتوقف بـل ظل يتقدم مـنـي حتـى التصق بجسدي..

انتفضت من برودة جسده الضخم، وكأنني اصطدمت بقطعة جـليد،رفـع كـفه الأسـود المُجعد ذا الـحوافـر الطولـية المـنبعجة وقـدّم لـي الـثمرة بـكل هـدوء وهـو يـحملق فـي عمق حـدقـتاي اللتان تهتزان من الذعر، وباستسلام تام أخذت منه الثمرة، وأنـا أرتـعد خـوفـا مـن أي ردة فـعل لـه، فـبسهولـة شـديـدة يستطيع سحقي بـين جسده والـحائط! ظل مـلتصقًا بـي ولـم يتحرك حتى بدأ جسدي بالارتعاش إثر البرودة والرعب على السواء .

والرعب على السواء، وضعت الثمرة على فمي بحركة بطيئة وقضمت منها بالقوة، حينها فقط فك أسري، وبدأ يعود للخلف خطوة واحدة قبل أن أتجمد ولكنه استمر في التحديق بي، لأعيد الكرة وأقضم من الثمرة ثانية، وعندها اختفى من الغرفة عند طرفة عيني!

أشعر به الآن يقترب من المكان، سأكمل لكم لاحقًا ما سيحدث...



اليوم الثالث و الثلاثين



جئت في نفس الموعد اليومي، الآن أصبحت السادسة، لقد غادر المكان منذ وقتٍ ليس بقصير، ولكني كنت أختبر نفسي في الشعور بوجوده، لا أستطيع تفسير الأمر، وكيف أصبحتُ أشعر بوجوده واختفائه من المكان بأكمله هكذا!

هناك شيء أو صلة ما تربطني بهذا الكائن ولكني لا أعلم ما هي حتى الآن؟! هو ليس لديه وسيلة للتواصل سوى نظراته شديدة السواد والغموض؛ لقد بدأت أفهمها نوعًا ما، يصيبني هذا الكائن بالحيرة الشديدة،

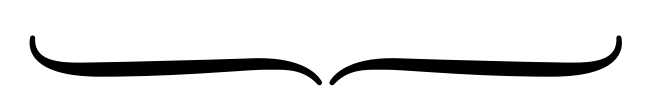
لقد اعتدت البكاء كل ليلة بتوقيت ساعتي المحفورة على الحائط، وفي كل ليلة وقت بكائي أشعر به حولي ولكنني لا أراه، لا أعلم هل هو بالفعل يكون حولي أم أنني من عِظم حزني أتخيله حولي يدعمني ويربط على كتفي ليُزيل حزني وأغفو ودموعي ما زالت تسقط على وجنتي، لا أدري أيضًا ما الذي حدث لعيني! فأنا أشعر بأنها تزداد اتساعًا، ورؤيتي في الظلام أصبحت أقوى كثيرًا، أنا خائفة للغاية أن لا أستطيع العيش في الضوء ثانية؛ هذا السؤال يراودني منذ فترة قصيرة، هل سأصبح مثله أصرخ حين أتعرض للضوء؟!

أنا أعلم جيدًا أنني سأتغير كثيرًا حين أعود، فتكيُفي على البيئة هنا لن يمر بسلام؛ أنا أثق بذلك..

لقد اعتدت أيضًا على الثمار التي يقدمها لي كل يوم،

أشعر بأن مذاقها لم يعد سيئًا كما كان، وإلى الآن لا أعرف لمَ أنا هنا؟! سئِمت من تكرار هذا السؤال كل دقيقة.. تارة لنفسي وتارة لهُ، هو لم يطلب مني شيئًا حتى الآن، ولم يقترب مني ثانية إلا عندما رفضت الطعام، وحين يضع الثمار على صحنٍ خشبي غريب يختفي فورًا، ولا أشعر بوجوده سوى عند بكائي أو عند مجيئه في توقيته كل يوم.. أفكر أن أرفض الطعام اليوم ثانية وأزيد من ضغطي عليه كثيرًا، فحرصه على مأكلي ومشربي يعني حرصه الشديد على أن أبقى على قيد الحياة.

سأفعل ذلك عله يُجيب تساؤلاتي ويُخبرني ما الذي يريده مني ولمَ اختطفني ووضعني هنا؟ حين يأتي سوف أفعل ذلك وأصرخ به مرارًا.. سأكمل لاحقًا.... لق....



اليوم الرابع والثلاثين



لم أكمل الفقرة السابقة لأني وجدته أمامي، بأعجوبة استطعت أن أخفي الدفتر خلف ظهري، لم أقدر على تنفيذ خطتي حتى لا يكتشف ما أفعله، تركته يضع الثمار والماء ويختفي، وقتها وضعت الدفتر في المكان السري الذي صنعته لأخبئه به، لقد حفرت حفرة تحت فراشي الخشبي ووضعته بها وفي داخله القلم، لا أستطيع الكتابة إلا حينما يغادر المكان بأكمله، وهو لا يغادره إلا في السادسة بتوقيتي.

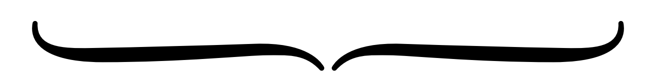
أُرجح أنه يذهب ليأتيني بالطعام، هذه الثمار تُبقي معدتي ممتلئة طوال اليوم، والماء غريب الطعم يفعل مثلها، فلا أشعر بالجوع أو بالعطش إلا في ساعتي اليومية..

ذهبت البارحة للركن الذي أرى من خلاله غرفتي ولكني لاحظت شيئًا عجيبًا، لقد انكمشت الرقعة الدائرية التي أرى من خلالها غرفتي! ولكني لم أهتم حين شاهدت شيئًا أحزنني كثيرًا ولكنه أمدني بأملٍ كبيرٍ كنت أحتاجه، أمي تجلس على فراشي في الظلام وتحدثني قائلة:

- أنا أعلم أنكِ هنا يا ابنتي، لا أعرف حقًا ما هو سبب شعوري بوجودك في هذه الغرفة، ولكني أشعر بك وأشم رائحتك وأعرف يقينًا أن من ماتت لم تكن ابنتي، ابنتي لن تقوم بقتل نفسها أبدًا،

- فتاتي التي ربيتها بين يدي لديها إيمان قوي وعزيمة لا توجد عند أعتى الرجال، سأنتظرك حتى أموت ونلتقي عند الخالق؛ وقتها ستخبرينني بالحقيقة كاملة.

ثم خرجت أمي من غرفتي، وتركت يدي الملاصقة للحائط، وأنا أمررها على وجنتها ودموعي لم تتوقف من وقتها، أسندت ظهري للخلف ونمت على وضعي كما أنا، أمي الحبيبة الغالية التي تعرفني أكثر من نفسي، سأصمد يا حبيبتي ولن أستسلم، وسأعود إليكِ قريبًا، سأكمل غدًا وسأفعل اليوم ما نويته بالأمس..



اليوم الخامس والثلاثين



لقد فعلتها، صرخت به، دفعته بكل قوتي، خبط بيدي على الحائط حتى أدميتها، دببت بقدمي على الأرض الصلبة إلى أن آلمتني قدماي، عدت للصراخ وصحت به، كررت سؤالي بشكل ممل لمائة مرة:

- ما الذي تريده مني؟! أريد العودة لأمي.

فلم يكن منه سوى أن مد لي يده في هدوء كعادته، وانتظر.. انتظر كثيرًا..

وأنا ما زلت أصرخ، وأهتف، وأصيح حتى جُرحت حُنجرتي، قذفت الثمار بوجهه، خطوت نحوها وسحقتها بقدمي، رميت بالماء على جسده، وسقط الكوب الخشبي من يدي ليتدحرج تحت قدمه التي تماثل يده.. شديدة السواد يكسوها الشعر وبها حوافر طويلة ومنبعجة، تعبت وفقدت قوتي وكنت على وشك الانهيار، وهو مازال يقف كجبل جليد لا يتنفس، ضيقت عيني وأنا أنظر نحو صدره بدقة.

صدره لا يعلو ولا يهبط مثلنا.. هل هو يتنفس بالفعل؟! رفعت رأسي أنظر إليه فوجدته مثل التمثال لا يتحرك، يده ثابتة لا تهتز، يمُدها نحوي وينتظر.. ترددت، عدت الصراخ ، رفضت يدي بين كفه كما يريد، هززت رأسي نفيًا هتفت به:

- أريد العودة لأمي.

أومأ برأسه فظننت أنه سيفعل ما طلبته، للحظة لم أدرك هل أصدق هذا الكائن غريب الأطوار الذي لا أعرف له جنس ولا نوع،

أم هل علي أن أصدق شيء ليس له هوية خطفني من وسط عائلتي ليسجُنني هنا خمسة وثلاثون يومًا دون سبب واضح؟! حدسي يخبرني أنه يريد مني أن أتبعه أو أثق به، لماذا؟! لا أعلم..

حسمت أمري ووضعت يدي المرتعشة بين كفه من باب «ما الذي سيحدث لي أسوء مما عايشته!»

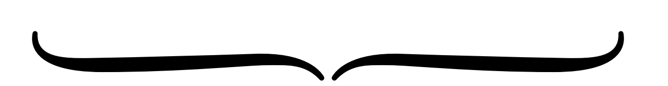
ولكن كما عهدتها في أفلامي المفضلة قد حدث الأسوء! هو لم يرجعني لعائلتي أو حتى لم يعود بي لغرفتي، بل نقلني لمكان أكثر ظلمة مما كنت فيه، ولكنه أوسع بكثير وأشد قذارة أيضًا!

قبل أن أتقدم خطوة أوقفني ليُمسك كتفي ويدفعني بخفة خلف حائطٍ كبير وكأنه لا يريد أن يراني أحد، تساءلت من سيراني؟! المكان كله خالي من أي شيء حتى الهواء!

شعورٌ سيء اقتحم داخلي وأحسست باختناق شديد يليه رائحة كتمت أنفاسي، شعرت بدوار كدت به أن أسقط، فاستندت على الحائط خلفي لأراه يخطو بجانبي نحو شيء ما!

اختبأت كما أراد هو ينظر لي وللحائط، ضيقت عيني بقدر ما استطعت حتى أري في هذا الظلام الدامس، شاهدت كائنات تشبهه عددها ليس بكثير،

وعللت اختناقي من رائحتهم ودواري وانقباض قلبي؛ سببه وجودهم..أعتقد أنهم ربما يكونون عائلته، أو أصدقائه أو حتى مجموعته لا أدري، قبيلته.. سمعتها من قبل، أين يا تُرى؟! لا أعلم! لم يتحدثوا بأفواههم حديث أفهمه أو أعرفه، بل يتحدثون بأصواتٍ عجيبةٍ، أصواتهم تُخرج همهمات بنغمات محددة وليست حروفًا، أدركت أنهم ربما يكونون كائنات فضائية، قد غزت الأرض ولكن، ما الذي أفعله أنا بينهم! والسؤال الأهم والأوحد لماذا أنا تحديدًا؟! توقف الجميع عن الهمهمات و.. لقد أتى سأكمل لاحقًا..



اليوم السادس والثلاثين

لقد وقف كثيرًا أمامي البارحة، التفت نحوي يفحص جسدي بعينيه دون لمسي، لدرجة أشعرتني بحرج شديد.. لا أعرف ما الذي يبحث عنه في جسدي تحديدًا ولكنه أشار لي أن أرفع ياقة سُترتي، ترددت وأنا لا أفهم ليشير لي مرة أخرى على مؤخرة رأسي بإصرار،

عاد للإشارة مرارًا والمرة الأخيرة اسودت عيناه بغضب فرفعت كفي أكشف له عما يريد.

هز يده لأكشفه أكثر ففعلت بحذر لأرى أنفه يرتفع بارتعاشه غريبة ثم اختفى من أمامي!

أعتقد أنه كان يريد أن يرى العلامة على رقبتي، كما فعل أحدهم بالأمس في الفتاة الغريبة،

عندما توقفت الهمهمات جاء أحدهم يحمل فتاة في مثل سني بين ذراعيه، ترتدي بنطالًا من الجينز وسترة أراها سوداء اللون، التفت آخر ليعري السترة عن ظهرها فظهرت علامة سوداء مربعة، لم أتبين ما بداخلها، ولكني أتذكر عندما كانت تُقبل أمي مؤخرة رأسي عند كتفي وتقول لي:

- ابنتي المميزة التي لن أفقدها ما دامت هذه العلامة تُميزها.

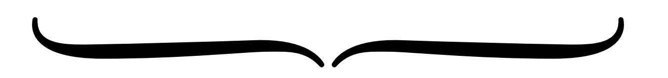
لم أسأل أمي يومًا عن هذه العلامة أو عن هيئتها فأنا لا أهتم كثيرًا لما لا أراه..

وقتها خطرت لي فكرة، لمَ أمي الوحيدة التي لم تصدق بموتي كما الأخرين؟! مؤكد لم تجد العلامة على ظهر البنت التي وضعوها مكاني، ولكن هناك سؤال جديد، هل يخطفون الفتيات التي هناك علامة خاصة على ظهورهم؟!

وما الذي يفعلوه بنا؟! لا أعلم إلى الآن ولا أعرف لمَ أخذني هذا الكائن لهذا المكان الذي من الواضح أنهم يتجمعون به، ولمَ أراد أن يرى علامتي؟! مؤكد إنه جاء بي إليهم كما فعل الآخر بالأمس..

لقد زادت حيرتي، ولكني موقنة أنه ينتظر شيئًا ما مني، ما هو هذا الشيء؟.. حقيقة لا أعلم!

ولكني عدلت رأيي، لابد أن أعرف من هؤلاء قبل أن أعود.. أشعر به يقترب..



ـ لقد أمر سيدي بني نعمان شاص بأن يُضاعف الحرس على القصر، وأن يجلب معه بداخل القصر فاتح وبارئ.

نظرت هند نحوها وهي تُضيق عينيها بتعجبٍ لتُكمل مويرا:
ـ وأمره ألا تخرجي من غرفتك أو من القصر حتى عودته.

انتفضت هند بغضب، حوَّل وجهها لقطعة نارية لتردد وهي تتجاوز مويرا:

ـ الأميرة هند بنت الملك الأحمر ستُحبس في قصرها دون علمها حتى، ما هذا العبث الذي تتفوهين به!

ركضت مويرا خلفها وهي تنزل الدرج مثل لهيبٍ متنقل، لتجد شاص وأخويه يقفان أمام البوابة الداخلية بتأهبٍ كامل لشيءٍ مجهول.

تجاوزتهم باختفاءٍ سريع لخارج القصر، ليتبعها ثلاثتهم بذعرٍ كبيرٍ يحاولون إيقافها، نظرت مويرا للسماء، ثم توجهت للبابٍ الخلفي وهي تُطالع الاتجاهات حولها بريبة، ومنها لأعلى الجبل، لتجد أحدهم ينتظرها كي تُطلعه على ما حدث في الساعات القليلة الماضية، لتوافيه بما حدث بهمسٍ بالغ، وهي ترتعد حتى لا يراها أحدهم.

انتهت من نقل أخبارهم، واختفت لتظهر في القصر مرة أخرى، التفتت حولها لتتأكد من أنه لا يوجد أحد شعر بغيابها هذه الدقائق، التقطت أنفاسها بهدوء لتستدير نحو الدرج، وفي هذه اللحظة التي تدور بها اصطدمت بأحدهم وهو يسألها بصوته الجهوري المُخيف:

اليوم السابع والثلاثين

لقد فتح فمه بالأمس ولأول مرة معي، ولكني لم أفهم الأصوات التي يخرجها من فمه ماذا تعنى!

زممت شفتاي، وضممت حاجبي، ورفعت كتفي بعدم فِهم فازدادت زمجرته الحانقة،

هل علي أن أفهمه! لا أدري..أصر أن يتحدث ثانية بطريقة أبطأ مما هو عليه، رددت بضجرٍ:

- لا تُبطئ من صوتك أكثر مما أنت بطيء، أنا لا أفهمك ولا أعرف هذه الأصوات ماذا تعني، فهي ليست بلغة بشر على الإطلاق.

ظل يحملق بي بغرابة ويهبط ببصره على جسدي لليوم الثاني وكأنه ينتظر مني أن أتحول مثلًا!

مد لي يده مرة أخرى، المرة لم أجعله ينتظر كثيرًا، فأنا أريد أن أعرف..

انتقل بي لمكان يُشبه سجني ولكني أقف بالخارج، وضع إصبعه على الباب الخارجي للغرفة وأشار لعيني، اقتربت برأسي لأرى داخل الغرف فأوقفني هو يكتب عليها بحافره رقم ستة وثلاثون بشكل عشوائي، استمريت عدة دقائق حتى فهمت أن المكتوب رقم ستة وثلاثون وبجواره حرفُ يُشبه من حروفنا «الياء» هززت رأسي يميناً ويسارًا لأخبره انني لا أفهم شيء،

فأمسك يدي لأول مرة دون استئذان ليعود بي لغرفتي، أوقفني أمام الحائط الذي به ساعتي والمربع الذي أحسب به اليوم،

وضع حافره المنبعج على رقم اليوم ستة وثلاثين، شهقت بخفة وأنا أردد:

«ستة وثلاثون يومًا»

حرك عينيه لأسفل وأخذ بيدي ليعود بي للغرفة الثانية مرة أخرى، نظرت من خلالها فرأيت فتاة ثانية ترتدي ثوبًا طويلًا ذا أكمام واسعة، لها شعر قصير جدًا ويوجد برأسها فراغات تبين جلدها،

شعرها متساقط بجوارها تنظر في زاوية الغرفة، وعيناها متسعتان بحدقتي تنفرج بسواد، تأملت جسدها المستكين فوجدته يشبهني من بعيد ولكني حين دققت النظر وجدته يشبهه هو!

جحظت عيناي بمفاجأة صادمة، فتأمله لي وفحصه لجسدي وشعري لم يكن إلا تعجب أنني لم أبدأ تحولي مثله! كدتُ أن أسقط من الفزع، وتعالت ضربات قلبي..هم يحولوننا مثلهم!

أنا الآن جائعة جدًا ولأول مرة منذ جئت إلى هنا أشعر بهذا الجوع الشديد،

لقد أتى، سأذهب لأتناول كثيرًا من الثمار

اليوم الثامن والثلاثين



أكلت البارحة بنهم شديد، قدمت له الصحن والكوب وأشرت له ليأتيني بالمزيد، أخذهم من يدي واختفى عدة دقائق ليقدم لي المزيد بالفعل، جلست ألتهم جميع الثمار التي لم أستطع في السابق إكمالها، لقد تحسنت نفسيتي كثيرًا، وبدأت أشعر نفسي أهدأ وأقوى، بعدما انتهيت وقفت كي أناوله الطبق الكبير والكوب وأحسست بمشاعر غريبة تجتاحني وأنا أنظر لعينيه المُظلمة، عدت للخلف خوفًا مني، ما الذي أفعله؟! ومن أين لي هذا الشعور المقيت، أخذ الصحون من يدي وأشار لي بداخلها، وكأنه يسألني هل أريد المزيد؟! حركت رأسي يمينًا ويسارًا ولوحت له بيدي كي يغادرني

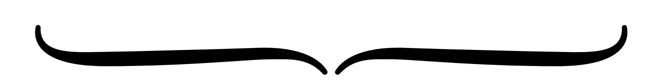
وعندما اختفى جلست موضعي وأسندت رأسي للخلف وأنا أتساءل ماذا يحدث لي؟! استمريت على وضعي هكذا وتذكرت أنني لم أعد أبكي قبل نومي، وضعت يدي على وجهي أتحسس ملامحهُ، فوجدت ملمسه أصبح خشنًا، شعرت بالضيق لأنني لا أستطيع أن أرى هيئتي في المرآة، فلا يوجد هُنا مرآه..مؤكد ملابسي متسخة ورائحتي كريهة جدًا، فأنا لم أعد أتأذى من رائحة المكان، يبدو أنني اعتدت أيضًا عليها، سقط كفي على رقبتي ومنها على صدري، لم أشعر بنبضات قلبي واضحة .

انتفضت بخوف، للحظة تخيلت أنني مت بالفعل! الفتاة التي شيعت جنازتها كانت أنا !.

هـذا هـو الـقبر الـذي يحـملني، والـكائـن الـعجيب مـا هـو إلا عملي السيء، خطوت وجسدي يرتجف نحو الرُكن الذي به أرى غرفتي فوجدت الدائرة الكبيرة أصبحت بالكاد تتسع كفي الصغير،

تـأمـلت نـبضـي ثـانـية فـلـم أجـده وقـد أصـبح جسـدي بـاردًا للغاية.. لو كنت ميتة بالفعل فكيف لي بكتابة ما حدث معي!

أم أنـني أتـخيل الأمـر؟! لا لا لابـد أنـني أهـذي.. تحسسـتُ جسدي بأكمله، قمت بقرصة شديدة لجلدي ولحمي، فشعرت بوخزة خفيفة ولكنني أشعر! لست بميتة.. سأختبر شيئًا ما مع هذا الكائن، وبعدها سأوقن حقيقتي.



اليوم التاسع والثلاثين

أنا لست بميتة...

لقد اقتربت منه بالأمس، لم يبتعد عني بل ظل واقفًا يحملق بـي، دنـوت، وشـعرت بـقلبي يـنبض كلما دنـوت، رفـعت كـفي على وجهه، تحسست جلده الخشن، نزلت بكفي على صدره البارد، وضعته ناحية قلبه، شعرت ببضع دقات خفيفة..

يا إلـهي إنـه حـي وله قلب! وضـع كفه على كفي وأمسك بـه، ألصقني بجسده، حدقتاه اتسعتا بضوء مثل النجوم، هالني رؤيـــتهما فـــاســـتمريـــت بـــالـــنظر إلـــيه، حـــاوط بـــكفيه خصري..اقشعر جسدي للمسته الباردة، اقترب من شفتاي وأخرج صوتًا فهمته على الفور:

- أنتِ لي غدًا.

تـوقفت للحظات لا أدرك مـاذا حـدث، كيف فـهمت مـا قـالـه.. وقبل أن أتساءل.. اختفى.. ذهول وإحباط يُغلفه شوق.. لقد تركني وذهب... غدًا.. لماذا غدًا؟! ما الذي سيحدث لي اليوم!

أنـا مـا زلـت أريـد أمـي.. أنـا جـائـعة.. أنـا أريـده هـو.. الآن وضعت يدي على قلبي..

بارد.. ليس به دقات.. لا أشعر بنبض على الإطلاق، وسأردد

السؤال ثانية، هل أنا ميتة؟!

لن أكتب اليوم ثانية.. سأنتظره حتى أشعر بالحياة...

اليوم الأربعين
والأخير

أنا حية ثانية.. لم أمت.. أنا حية

لقد كنتُ الفتاة المحمولة على ذراعيه وسط قبيلته.. وكنت أنا الفتاة خلف الباب ذات الثوب المتدلي والشعر المتساقط والحدقتان المتسعتان.. لقد كنت أتبدل.. أتغير.. أصبح مثله..

لقد أتاني البارحة بمرآة لأرى جسدي الذي أصبح كبير الحجم وضخم العضلات، عيناي السوداء القاتمة.. تشبهه كثيرًا.. أنا أنظر لانعكاسه هو! وجهي الذي أصبح أسود اللون؛ رأسي التي أصبحت دون خصلة واحدة، لقد تمزق ثوبي وأصبح جسدي عاريًا تمامًا.. هذه ليست أنا .

فتحت فمي لأتحدث فوجدتُ في مرآة لا أعرف من أين أتت، لاحظت في انعكاسي أني أخرج أصواتًا غريبة، لا أسمعها.. ولكني أفهمها.. نظرت في الركن فلم أجد الدائرة، مجرد حائط!

لقد أصبحتُ مثله.. أنا اليوم له.. من بعد اليوم لن أكتب لا أفهم ما كتبته بالأيام السابقة، هو الآن بجواري، ينتظر أن يأخذ دفتري، لم يتفاجأ من وجوده معي.. يهمس لي:

- أنتِ الآن لي.

***

وضـع بـنـي الـنعمان الـدفـتر الـصـغير فـي مـخبأه، حـين سـمـع صـوت أقدام روهـان تـقترب مـن الـغرفـة، ظـل عـقله يسـتعيد كـل مـا كـتبته الـفتاة ويـربـطه بـما عـرفـه مـن بـاريء ومـويـرا ، فـتاة إنـسية كـتبت عـنهم كـل أسـرارهـم، ثـم مـاتـت فـي غـموض، لتدفـنها والـدتـها وهـي تقول «هـذه لـيست ابـنتي» ثـم تـختفي روحـها خـلف الـظلال مـع الأرضـيين، لـتُصبح مـثلهم، ثـم تـظهر لـروهـان فـي غـرفـتها بـشكل ودي.. وإجـابـة هـذه الأسـئلة هـي.. «هـذه هـي ابـنتي الـتي أبـحث عـنها» لـقد اسـتخدمـت هـند أسـوء أنـواع الـسحر عـلى هـذه الـفتاة.

انتفض واقفًا فاختض جسد روهـان وهـي تقول له:

- ما بك يا نعمان، أحدثك منذ دقائق وأنت في عالمٍ آخر؟!

وضع كفه على وجنتها وهو يرسم ابتسامة رقيقة قائلًا:

- هناك أمرٌ يؤرقني وكنت أفكر مليًا به.

ثم اقترب يُقبل جبهتها بحنان وهو يُكمل:

- عليّ الرحيل الآن لأمرٍ هام، لا تنتظريني وتظلي مستيقظة.

فتحت روهـان فمها لتتحدث ولكنه كان قد اختفى على الفور، جلست على فراشـها زائـغة العينين تُفكر فيما يـحدث لـزوجـها مـنذ فـترة لـيسـت بـقصيرة، هـي تـعرفـه جـيدًا؛ هـو لا يُـصبح تـائـهًا هكذا إلا حين يتعلق الأمر بها .

نعمان يخفي سرًا أكبر من سر زواجه بهِند وهي لن تنتظر حتى تتفاجأ به كما حدث سابقًا، لتردد بهدوء قاتل:

- لن تفلت مني هذه المرة يا ابن الملك..



الفصل الأول

كانت تجلس بغرفتها تلعب مع أخيها التوأم؛ لتتوقف فجأة عن اللَعب بينما تغير لون عينيها للأزرق القاتم، وقفت وتركت أخيها يناديها ليُكملا لعبتها المفضلة «الغميضة»

كانا يستمتعان بالتنقل السريع لعالم البشر والرجوع لغرفتهم قبل أن يُمسك أحدهم الآخر كلٌا بدوره،

ظلت تتقدم من النافذة التي تطل على حديقة القصر الكبير، حديقتهم المحاطة بسور عظيم يمنع عنهم رؤية الصحراء الكبيرة ذات الرمال الصفراء التي تحاوط المملكة بأكملها..

بينما وضع بني النعمان دائرة حماية كبيرة تحمي قصرهم بدلًا من التي أفسدتها هند في زيارتها الفائتة، وهذه المرة وضع الجن المسلم على لائحة عدم دخول القصر نهائيًا دون إذن صريح من أبيه أو منه شخصيًا..

ورغم ذلك تسلل الصوت التي سمعته روهان الصغيرة مما جعلها تظل تقترب من النافذة حتى عبرت سورها الكبير، بينما نعمان الصغير يناديها من خلفها:

- إلى أين أنتِ ذاهبة يا روهان؟!

اقترب منها وهو يخفض صوته:

- لقد حذرنا أبي من التسلل خارج القصر..

لم تستمع له وظلت تواليه ظهرها وتقترب حتى تجاوزت السور، رآها نعمان الصغير تطفو في الهواء وهي تقترب من باب القصر الخارجي وكأن أحدهم يسحبها إليه، على الفور اختفى الصغير وظهر في غرفة والدتهم وهو يناديها بذعر اختض له جسد إلينا وهي تنظر إليه متسائلة:

- ما بك يا صغيري؟!

اقترب منها بصوت خفيض وهو يقول لها:

- روهان في خطر يا أمي، تعالي معي.

وبمشاعر أم هائجة انطلقت إلينا ركضًا لغرفة طفليها، لتجد الصغير الذي سبقها يقف أمام النافذة وهو يشير نحو أخته التي ما زالت معلقة في الهواء تقترب من باب القصر:

- نادي عليها لتعود قبل أن يراها أبي.

لم تنتظر إلينا أن يُكمل حديثه ونادتها بصوتٍ عالٍ وحازم، جعل نعمان الصغير يضم حاجبيه غضبًا وهو يلوم أمه:

- سيسمعك أبي هكذا وستقع روهان في ورطة.

لم تنتبه له إلينا وهي شاخصة أبصارها نحو ابنتها التي بدأت تحرك يديها بشكل غريب، بينما هي على مسافة قصيرة جدًا من بوابة القصر. لم تنتظر لحظة ثانية، وقامت بالنداء على يوناس بفزع واضح.

تغيير لون عين نعمان الصغير وهو يزفر بضيق، ولكنه لم يعترض مرة أخرى وآثر الصمت، فهو يشعر بتوأمته بشدة وشعوره هذا لا يطمئنه البتة عليها.

جاء يوناس على الفور وقبل أن تُريه إلينا ما تفعله ابنته اختفت روهان من أمامها!

فزعت من عدم رؤيتها وهي تقول له بخوف واضح:

- إنها روهان كانت تقف هنا مُعلقة في الهواء خلف باب القصر، تصنع بيديها حركات دائرية غريبة.

لتنادي إلينا عليها:

- روهان أين أنتِ؟! ابحث معي يا يوناس ما بك تقف هكذا؟!

استدارت بغضبٍ نحوه لتجد يوناس وروهان يضحكان، لتنطق الصغيرة بمرح:

- لقد خدعتك يا أمي.

ضيقت عينيها بغيظ ليخطو يوناس خارج الغرفة وهو يقول لها ومازالت ضحكاته العالية تُجلل الغرفة:

- لا تسمحي لهؤلاء الملاعين بخداعك مرة أخرى، ستفقدين هيبتك هكذا سريعًا.

انحنت إلينا لإبنتها التي ما زالت تضع كفها على فمها وهي تكتم ضحكتها، لتحذرها وهي تنظر لعينيها بجدية:

- لو فعلتِها ثانيةً سيكون عقابي لكِ أسوء بكثير من عقاب والدك.

ثم تركتها وخطت نحو غرفتها وهي تنادي ليوناس أن يلحق بها.

وقف نعمان أمام أخته وهو يقول لها:

- تستطيعين خداع أمكِ وأبيكِ ولكنك تعرفين جيدًا أنكِ لن تستطيعين خداعي.

طأطأت برأسها خجلًا من أخيها وهي تقول له:
- صدقني يا أخي لن أستطيع أن أبوح لك بسري الآن.

وقفت إلينا بتوتر واضح، بينما ظهر يوناس في الغرفة وهو يقول لها:

- ما الذي حدث لهذا القلق الذي يظهر جليًا في عينيكِ؟!

اقتربت منه بحنقٍ واضح وهي تدفعه بكلتا يديها على صدره بغيظ قائلة:

- أنا أعرف جيدًا الفرق بين الخداع والحقيقة، بينما أحفظ طبائع أبنائي عن ظهر قلب، فلا تتبجح باستهزائك بي أمام ولديك لكوني إنسية.

ضم يوناس حاجبيه وهو يُمسك كفيها التي ما زالت تدفعانه بهما:

- ما الذي تتفوهين به يا إلينا؟! لمَ هذه المبالغة؟!

سحبت كفيها بعنف من بين يديه وهي تبتعد عنه متوجهة نحو باب الغرفة وهي تقول بغضب:

- أنا لا أبالغ يا يوناس، وحذاري أن تُكرر فعلتك ثانية، أما بالنسبة لإبنتنا فهناك شيئ يحدث معها، ولا يعنيني تصديقك لي، فأنا أعرف جيدًا كيفية حماية أولادي.

ثم تركته يقف حائرًا لا يفهم ما الذي يجري معها، وخرجت من الغرفة تصفق الباب خلفها وهي تنادي:

- خالتي أين أنتِ.

وصل نعمان لجزيرة بوفيت، وهو يقف أمام البوابة الرئيسية لبضع لحظات بعدما طرق عليها ثلاثًا، خرج له الحاكم بنفسه يتبعه عددٌ لا بأس به من الجنود الغاضبين إثر ما فعله به آخر مرة زارهم بها،

دقق الحاكم النظر لعيني نعمان بحنقٍ واضح، ولكنه حاول اخفاءه ببضع كلمات:

- نحن سعداء لرؤيتك أيها العفريت، ولكني أتساءل عن سبب الزيارة؟!

وقف نعمان بشموخ كعادته وهو يقاوم ابتسامته قائلًا:
- سعادتكم تظهرُ جليةً على وجوهكم.

ثم استطرد بجدية مجيبًا إياه:

- لقد سلمتكم هند فتاة من الجن، وقد جئتك الآن لتُسلمني إياها.

ارتعشت حدقتي الحاكم ولكنه ظل على وقفته المُمتعضة وهو يقول:

- نحن لم نستلم من هند أية فتيات، هي كانت تُمدنا بالدماء فقط ولا نعرف حتى مصدرها، وإن لم تصدقني تستطيع النزول لها، فهي ما زالت خلف قضبانك بالأسفل كما تركتها.

وعلى حين غفلة كان يقف نعمان خلف الحاكم لينقله للاتجاه المخالف لجنوده، بينما يلف ذراعه على رقبته وهو يقول له:

- أنا لم أسألك طلبًا، أنا آمرك بأمرٍ واجب التنفيذ.

ركض الجنود فأوقفهم الحاكم بإشارةٍ منه،
فلف نعمان جسده ليواجهه وهو يُردف:

- أرى أنك لم تتعلم الدرس جيدًا أيها الحاكم، وأنا الآن على استعداد لتعليمك درسًا آخر إذا أردت ذلك، ولكنها ستكون الثانية وأنت تعرف أنها الأخيرة بالنسبة لي.

اهـتـاج جسـد الـحـاكـم، فـهـو يـكـرر فـعـلتـه، بـأن وضـعـه بـنـي النعمان في هذا الموقف الحرج أمام جنوده،

فمنذ الحادثة التي فعلها بهم، اضطر أن يقتل عددًا لا بأس به من الجنود والرعايا الذين قرروا الانشقاق عنه لعدم حكمته وقوته الكافية لمواجهة رجُلًا واحدًا من الجن وتركهم جميعًا عـرضـة للخـطـر. نـظـر نـحـو جـنـوده واقـتـرب خـطـوة مـن بـنـي النعمان وهو يقول له بصوتٍ خفيض:

- نستطيع التحدث بمفردنا في مكانٍ آمن.

مد له نعمان يده وهو يقول له:

- حسنًا انقلني في مكانك الآمن.

ضيق الحاكم عينيه وهو يقول له:

- سعيد لأنك بدأت في الوثوق بي.

ابتسم بني النعمان وهو يقول له:

- الأمر ليس له علاقة بالثقة، فأنا لا أثق بأحد في حياتي سوى اثنين فقط، ولكنني أعرف أنك لن تستطيع فِعل شيء معي.

ثم جاوره وهو يمسك ذراعه ليُكمل:

- وأنت أيضًا تعلم ذلك جيدًا.

نظر الحاكم لجنوده متحدثًا إليهم بلهجة لا يعلمها بني النعمان، ليختفوا عبر البوابة الأرضية على الفور، ثم نظر لبني النعمان بتدقيق وهو يقول له:

- أرى أنك ما زلت تحتفظ بعدساتنا.

أومأ نعمان برأسه وهو يقول له:

- لا ليست هي؛ لقد صنعت عدد كبير منها، فخاصتكم قد أتعبت عيناي.

ظهر الاندهاش على ملامح العملاق، ولكنه أخفى غضبه مبتسمًا وهو يُخرج النبتة الخضراء بجرعة كبيرة من جيبه ليناولها له:

كاد الرجل أن ينفجر غضبًا، حتى أن بني النعمان ابتعد عنه خطوة ليقول له:

- اهدأ يا أخي العزيز، لقد اعجبتني عُشبتكم وما فعلته بي، فقررت أن نتعلم زراعتها حتى تفيدنا، هل تكره لنا الخير؟!

سأله الحاكم بحنق بالغ لم يستطع إضماره:

- كيف فعلت ذلك؟ لم يستطع أحدٌ من قبل أن يصنع أدواتنا أو يزرع نباتنا الخاص ؟!

٣٢

هز نعمان كتفيه بإهمالٍ قائلًا:

- أنا استطعت فعل ذلك بمساعدة حكمائي المخلصين.

وقبل أن ينطق العملاق أستطرد بني النعمان:

- لن نُضيع يومنا بأكمله في مباحثات على العدسات والنباتات، فأنا ليس عندي وقتٌ لهذه التُرهات.

حاول الحاكم أن يفهم بعضًا مما يخفيه متسائلًا:

- ولمَ تريد إضاعة وقتك معي، وأنت بمقدورك معرفة ما تريده من زوجتك السابقة؟

نظر له نعمان بصدقٍ قائلًا:

- لن تُخبرني هند بشيء أريده حتى لو قتلتها، فأنا أعرفها جيدًا.

سأله بقلق واضح:

- وماذا تريد من هذه الفتاة؟!

أجابه نعمان:

- أريد رؤيتها فقط، فهي تعني لي الكثير.

٣٣

استسلم الحاكم لبني النعمان الذي يعرف جيدًا ما يفعله معه، فهو يثبت له في كل لحظة يمكثها معه أنه أقوى منه ومما يملكه، فلن يقدر مهما حاول؛ التغلب عليه، والحكمة والعقل يقتضيان أن رجُلًا يملُك هذا العلم والقوة والدهاء كنزٌ كبير لهم، ومعادته ليس من مصلحة مملكته ولا مُلكه، ومن الواضح أنه لا يريد أن يؤذيها، لذلك قرر ألا يخدعه ثانية وأن يتخذ صفه على الدوام، فكل ما عداه خاسر حتمًا. انطلق به نحو كهف جليدي بباطن الأرض قُرب بركان موتنوفسكى، وهو يقول له:

- أرجوك لا تُخبر أحدًا من رعيتي بما أخبرتني به منذ قليل، فأنا كدت أن أخسر مُلكي ومملكتي بأكملها بعد فعلتك الأخيرة بنا، وأتمنى أن تكون الأخيرة بالفعل، وكما وعدتك سابقًا فأنا ملكٌ لك ولكن ليس أمام جنودي ورعيتي.

مد نعمان كفه للعملاق الذي شعر بالصدق الشديد في صوته وهو يقول له:

- وأنا لا أريد سوى ولائك فقط.

صافحا بعضهم البعض، ليقول له نعمان:

- أما ما حدث من رعيتك تجاهك فهو خطأك وحدك، لو لم تقم بخداعي لما فعلت بكم شيئًا مُقيتًا كالذي صدر مني، ودعني أخبرك نصيحة أخوية، قم بقراءة أعدائك قبل أصدقائك، حتى لا تقع في فخ الغرور.

٣٤

هز الحاكم رأسه ثم ترك كف بني النعمان،

ليدعوه كي يتبعه للداخل، وبالفعل تقدم الحاكم ومن خلفه بني النعمان ليصل به لنقطة مظلمة للغاية، لم تستطيع عدساته التي يرتديها أن تبين له خطواته حتى لو بشكل ضبابي، وقبل أنا ينادي نعمان للعملاق رأي بعض الضوء الأحمر الطفيف يظهر من بعيد، أسرع في خُطاه ليتوقف حين أشار له الحاكم أن يجلس على مقعدٍ حجري من أحد المقاعد الخمس المُلتفة في دائرة حول بعضها البعض، بينما تتوسطهم منضدة حجرية مثلها مثل المقاعد، جلس الحاكم في مقعد أمام بني النعمان وهو ينادي بإسم غريب على مسامعه:

- وِيْوَن.

وبعد لحظات وقف أمامه شابًا ضخم الجثة، طويل القامة، ذو عضلات قوية، مثله مثل أبيه، أسود الوجه والعينان، له حوافر طويلة ومنبعجة، ورأسه يخلو من خصلة شعرٍ واحدة.

لاحظ نعمان ابتسامة الحاكم المرتعشة وهو يقول له:

- هذا ولدي الأوسط وِيْوَن.

نظر نعمان نحو الشاب الذي يرمقه بغضبٍ واضح وهو يشعر أن هذا الرجل الذي وصفتهُ ابنته في مُذكراتها، ردد بني النعمان وهو ما زال يحدقُ بوِيْوَن:

- يشبهُك كثيرًا.

٣٥

هز العملاق رأسه وهو يقول له:

- جميع أبنائي يشبهونني.

ثم وقف وهو يشير للقاعة التي يجلسون بها قائلًا:

- وهذه قاعة اجتماعاتنا الخاصة بحُكام طوائف الأرضيين أجمع، وأنت أول كائن من غير الأرضيين يدخلها، لذلك ترى أن وِيْوَن غاضبٌ مني.

ابتسم بني النعمان نحو وِيْوَن وهو يقول له:

- لا داعي لغضبك، فأنت وأبيك تستطيعان الوثوق بي، فأنا لم أخن صديقًا لي في حياتي.

أشار الحاكم بيده لولده حتى يجلس معهم، فأطاع وِيْوَن الأمر دون أن يفتح فمه بأي حديث حتى الآن، ورغم تعجب نعمان القليل لصمته، إلا إنه قد علم أن مصدر هذا الغضب لما اقترفه في حقهم، لذلك هو لا يثق به. نظر نعمان نحو وجه الحاكم المتوتر، ليشعر أن هناك شيئًا ما يريد إخباره به، ولكنه لا يأمن ردة فعل ولده وِيْوَن، فحاول نعمان إعطائه قليل من الوقت بسؤاله:

- أنا لا أعرف اسمك الحقيقي؟!
ابتسم الحاكم وهو يقول له:

- بما إنك ساحرٌ عظيم الشأن من الجن، فأنت تعرف مدى خطورة معرفتك لأسمي الحقيقي.

٣٦

هز بني النعمان كتفيه بإهمال وهو يقول له:

- تستطيع إخباري بإسم حركي أناديك به.

انتقلت نظرات وِيْوَن بين أبيه وبني النعمان، لتستقر على أبيه وهو يجيب بقوله:

- تستطيع مناداتي ياوي.

عينا بني النعمان التقطت صكوك أسنان وِيْوَن، ليستطرد ياوي:

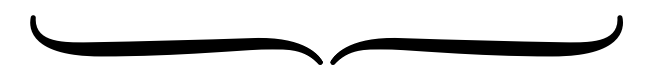
- وهذا هو اسمي الحقيقي.

وقبل أن يتحدث بني النعمان، قاطعه ياوي بقوله:

- دعني أخبرك أيضًا ما جئت هنا لأجله.

دقق بني النعمان النظر بـ ياوي الذي بدوره نظر نحوه ولده وِيْوَن قبل أن يُخبره بالأمر:

الفتاة التي جئت للبحث عنها هي زوجة ولدي وِيْوَن.



٣٧

الفصل الثاني

أغلقت (سارافيم) باب غرفتها جيدًا بعدما خرج زوجها، ثم خطت نحو الحائط الحجري القديم لتُحرك منه حجرين على اليمين وآخران على اليسار، أمسكت بقلادتها، لتفتح الدلاية الصغيرة المُعلقة بها، ثم أخرجت منها قطعة من حجر العقيق لتضعه في المنتصف، لفته بين إصبعيها نصف دائرة وهي تُتمتم بالكلمات التي جعلتها تحفظها عن ظهر قلب، انفتح جزء من الحائط يظهر خلفة مرآة ثنائية. همت أن تفتح فمها تناديها فوجدتها تنظر نحوها بعينيها الحمراوتين المخيفة، ثم اقتربت منها قائلة:

- ماذا فعلتِ اليوم؟!

تلكأت سارافيم لترتعد حدقتيها بخوف واضح وهي تجيبها:

- لم أستطع فعل شيء، وِيْوَن لم يخرج من المنزل اليوم وقد ناده والده منذ قليل فقط؛ حتى أنني..

أوقفتها عن الاسترسال في الحديث وهي تصيح بها:

- جبانة وضعيفة، يا ليتني قتلتكِ منذ خطأك الأول، ولكن ما جعلني أمنحكِ فرصة أخرى، أنك للأسف الشديد ابنتي.

ارتعد جسدها إثر صوت أمها القوي والحازم، ولكنها حاولت أن تقف بثبات وهي تقول لها:

- سوف تظلي هكذا كلما حدثتُك تُهينينني على عدم قتل الإنسية، لقد أخبرتك آلاف المرات أن أبي دخل الغرفة بعد دقائق من مقابلتي لها، لم يكن لدي الوقت الكافي.

أكملت جُملتها بينما هند تقترب منها حتى التصقت بالمرآة المُقابلة لها، وقد ازداد احمرار عيناها ليتحول للأسود القاتم، ابتعدت سارافيم خطوة للخلف وهي تُقسم أن هند ستُحطم المرآة وتخرج لها كي تقتلها. ولكنها توقفت ومازالت عيناها تتسع باللون وهي تضغط على كل حرف تنتطقه بقوة:

- لا تنعتيه بهذا اللقب أمامي ثانية، ولا حتى بينك وبين نفسكِ، أفهمتِ.

ومع نطق آخر جملة لها ارتجفت من قوة صوت أمها، ولم تستطع إلا أن تحرك رأسها مرددة بخفوت مرتعش:

- نعم؛ لقد فهمت.

لتُكمل هند بسخطٍ شديد، حتى أن النار التي بداخلها بدأت تظهر من حولها بشكلٍ دائري:

- هذا ليس أبيكِ، ولا يستحق أن تكوني ابنته، ولا يجب أن يراكِ حتى من بعيد، لقد تركنا تحت رحمة جدك الخائن، وفضل الإنسية وأبنها علينا، ولم يكتفِ بذلك فقط، بل سجنني في هذا المكان العَفن ولو كان يعرف طريقكِ لكنت الآن في عداد الأموات .

استشاط جسد سارافيم، لتستطرد هند ببث سمها البغيض في عقلها ولكنها في هذه المرحلة جعلت صوتها أهدأ قليلًا:

- لقد ضحيتُ ببُعدك عني وإخفائك في جسد إنسية ضعيفة حتى أجهز لكِ مكانًا أثق به تملُكين فيه القوة والجاه، وقد زوجتكِ ابن الحاكم الأكبر حتى تَصلي لمكانة لم يصل لها جنية من قبل، لقد مكثت نصف حياتي أبحث لكِ عن ملاذ آمن تتعلمين فيه أمور السحر التي ستجعلكِ جحيم حي على نعمان وعائلته الذين فضلهم علينا، زوجته وابنته وعشيرته بأكملها قد باعها لأجل الإنسية.

وضعت كفها على المرآة وهي تقول لها:

- اقتربي يا ابنتي.

وضعت سارافيم كفها أمام والدتها، لتمرر هند أصابعها المرتعشة على الزجاج قائلة:

- لقد حُرمت منكِ سنوات طوال، ولم أحظَ بقربكِ سوى وقت قصير جدًا قبل أن يسجنني من تَصفيه بقولك (أبي)، لقد أبعدني عنكِ حتى يستطيع إيجادك وحدكِ والتخلص منكِ، ثم بعدها سيقتلني لا محالة، افعلي ما طلبته منكِ قبل أن يعثر عليكِ هو.

سمعت سارافيم صوت وِيْوَن يدخل من البوابة الكبيرة للمنزل، فحدثت أمها سريعًا:

- لا تقلقي يا أمي، سأفعل كل ما أمرتني به؛ وأعدك أنني لن أترك أحدًا منهم يهنأ بحياته من هذه اللحظة.

تمتمت ببضع كلمات ليعود كل شيء كما كان، ثم نزعت الحجر سريعًا وضعته في قلادتها وانطلقت للخارج قبل أن يفتح وِيْوَن باب الغرفة بلحظات قليلة.

تعجبت سارافيم لعودته هكذا على عجلٍ، وتعجبت أكثر من مكوثه هذه الدقائق قبل أن يدخل غرفتهم. جلس وِيْوَن على مقعده شارد الذهن، فاقتربت منه سارافيم بحذر وهي تسأله:

- ما الذي حدث؟!

نظر نحوها بحدقتيه السوداء قائلًا:

- هل تعرفين الجني الذي عارك أمكِ وسجنها؟!

تلون وجهها بضيق وهي تتذكر أنها توسلت لياوي ولزوجها كي يُخرجوا أمها من هذا السجن ولكنهم رفضوا خوفًا من بني النعمان. لتجيبه بغضبٍ واضح:

- ما به؟!

وقف وهو يُمسك كفيها قائلًا:

- يقول أنه والدكِ؛ ويريد رؤيتك بعد قليل.

خفق قلبها بقوة، ولكنها تمالكت نفسها ليشتعل جسدها بغيظ واضح وهي تقول له بصراخ:

- لن أقابله، ولن يراني هذا الغادر؛ ولو أجبرتني أنت أو أبيكِ لن تراني مرة أخرى في حياتك يا وِيْوَن.

لم تمنحه حتى فرصة لكلمة أخرى، واختفت على الفور وهي تُردد بخفوت:

- لقد كنت أسرع مما أتخيل يا بني النعمان، يبدو أن أمي كانت مُحقة بشأنك، كما هي عادتها.

عاد وِيْوَن لأبيه وبني النعمان اللذان ينتظران قدومه ومعه زوجته، ولكنهم وجوده بمفرده يقف فاردًا جسده الضخم في محاولة منه لإخفاء خوفه من ردة فعله، ليدقق النظر نحو بني النعمان بقوة قائلًا:

- لقد رفضت مقابلتك.

وقف الحاكم ياوي بحنق ظاهر وهو يقول لولده:

- كيف أتتها هذه الجرأة أن تعصي أمرًا لنا.

وضع نعمان يده على كتف ياوي قائلًا:

- ابنتي ليست عبدًا لديكم، ولا هي حتى من رعاياكم، ولذا فهي تستطيع فعل ما تريده وقت ما تريد.

ضيق الرجل عينيه بتعجبٍ، ليقترب بني النعمان من وِيْوَن قائلًا له:

- حاول التحدث معها برفق ولين، وابلغها أنني أشتاق لرؤيتها كثيرًا وسأفعل أي شيء حتى تُقابلني.

تناهى لمسامع بني النعمان صوت والده يناديه، فرفع كفه ليصمت ياوي الذي كان على وشك التحدث مرة أخرى ،ثم قال :

موجهًا خطابه لهما:

- أنا مضطرُ الآن للذهاب وأشكركما على مساعدتي.

ثم نظر نحو وِيْوَن ليُردف:
- لا تنسى أن توصل لها رسالتي.

ثم اختفى وتركهما ينظران لبعضهما البعض بدهشة وتفَكُر، فكيف للوحش الذي قد رأوه من قبل، أن يتقبل هذا الرفض بهذه البساطة، لقد رسم وِيْوَن عدة سيناريوهات كلًا منهم أسوأ من الآخر، ليفاجئه هذا الجني بفعل لا شيء.

دخل بني النعمان غرفة اجتماعات الملوك السبعة وهو يلقي السلام عليهم، ليجدهم جميعًا حاضرين كلٌ على مقعده المُخصص له، تعجب من هذا الاجتماع العاجل دون معاد مُسبق، ولكنه اعتاد الأمر عندما يكون هناك أمرٌ طارئ، وكما توقع بالضبط.

جلس على مقعده ليستمع لما يقوله له والده:

- لقد غارت الشياطين على أراضينا الغربية وقضت على ثلاثة من قبائل المُعسرين، وهم الآن ينزحون لباقي مملكة الزفات، وأنت تعلم مدى خطورة هذا الأمر على ممالكنا، لذلك لقد قررنا أن تستعد بجيوشنا السبع وتنطلق نحوهم لتُبيدهم عن بكرة أبيهم، وتُسلم المملكة لأحد من قادتنا المخلصين.

أرخى نعمان كفيه أعلى المنضدة وهو ينظر للملوك السبع قائلًا:

- هل تثقون جميعًا بقراري؟!

نظر كلاً منهم للآخر، ثم تحدث الملك الأبيض:

- ما الغرض من هذا السؤال الساذج؟!

نظر له بني النعمان بجدية قائلًا:

- اسمح لي أيها الملك، أنا أريد إجابة كل ملكٍ على حدة.

انتظر لحظات حتى تكلم الملك ميمون:

- نعم يا بني النعمان أنا أثق بك.

ليتبعه الخمس الآخرون بالجملة ذاتها،

توقف بني النعمان عند أبيه وهو ينظر نحوه مائل الرأس، ليزفر الملك الأبيض بضيق قائلًا:

- بالطبع أثق بك.

وقف بني النعمان بشموخ قائلًا:

- إذا فأنا سأوكل قيادة الجيوش السبع والفوز بهذه الحرب لولدي يوناس.

تعجب الجميع بصمت، ليتكلم كبيرهم بلهجة حادة:

- هل سمعت ما قلته منذ قليل، أنا أحدثك عن مملكة الزفات، التي يعمل جميع من ينتمي لها في جمع اللآلئ والأحجار الثمينة، وجمع الكنوز من داخل الأرض، لو خسر يوناس هذه الحرب، سيكون نصف ما نملكه من المال بيد الشياطين.

ردد بني النعمان بثقة كبيرة قد عاهده الجميع عليها:

- أنا أعلم جيدًا ما تقوله أيها الملك، ولكنكم منذ لحظات أقررتم أنكم تثقون بي، وحين أخبركم جميعًا أن ولدي جاهز لقيادة الجيش والانتصار سيكون حليفنا، فعليكم تأييد كلمتي.

دار حديث بهمهمات مسموعة بين الجميع وهم يتداولون الأمر بينهم، ليصمت الجمع في انتظار الكلمة الأخيرة للملك الأبيض الذي تحدث قائلًا:

- حسنًا؛ لقد وافقنا على قرارك، ولكن ستتحمل أنت نتيجته الكاملة لو أخفق يوناس، فلن يُحاسب هو ولو بالقليل، وحساب هذا القرار لن يكون مجرد سجن لبضع سنوات، سيكون العقاب لا يُحتمل.

انتصب بني النعمان في وقفته وهو يقول لهم:

- وأنا موافق.

استأذن منهم وخرج لقصره كي ينادي ولده، فوجد روهان تقف أمامه بينما كان يوناس يتمرن عند قمة جبل إيفرست حتى أنه قد هدم جزءً منه أثناء تدريبه على أحد التعاويذ المُعقدة التي وجدها بداخله،

فقد جعلته هذه التعويذة يصنع إعصارًا ثلجيًا حاول التخلص منه وإيقافه بصعوبة، قبل أن يبتلع قمة هذا الجبل العظيم بأكمله. سمع صوت والده يناديه، فحاول إعادة هيكلة ما أتلفه سريعًا ليختفي على الفور من مكانه ظاهرًا أمام والديه اللذان يقفان أمام بعضهما البعض في صمت تام.

ضيق حاجبيه وهو ينظر إليها قائلًا:

- ما بكما؛ لمَ تقفان هكذا؟!

دون أن ينظر له والده، اقترب من روهان قائلًا لها:

- انتظريني هنا للحظات.

ثم خطى للأمام ليستطرد:

- اتبعني يا يوناس.

تبعه ولده وهو ينظر لأمه بتعجب، بينما جلست روهان على الأريكة الضخمة الموجودة خلفها وجسدها يهتز بغضب من زوجها الذي مازال يتجاهلها مخفيًا عنها أمرًا عظيمًا لا تعلمه بعد، ورغم استعانتها بزمردة التي تعلم عن نعمان كل شيء يُخبئه عن الجميع، ولكنها لم تصل معها لأي سبب مُقنع وهي تعرف زمردة جيدًا، هي لا تعرف طريقًا تسلكه للكذب عليها؛ هي تحديدًا، لذلك هي واثقة أن زمردة لا تعلم شيئًا هي تجهله. وفي خضم أفكارها التي تعصف بها، كان يشهق ولدها في مكان بعيد عنها بأميال وهو يردد:

- ما الذي تقوله يا أبي؟! أنا أقود جيش الممالك السبع وأحارب الشياطين الذي يهاجمون مملكة الزفات، وأقوم أنا بتنصيب أحد قادتنا هناك!

- أنت بالتأكيد تريد التخلص مني والانتحار.

رمقه نعمان بنظرة كادت تحرقه وهو يقول له:

- يبدو أنني ولأول مرة أخطئ في حياتي.

زفر يوناس بضيق من إهانة والده الظاهرة، وهو يحاول إيضاح الأمر له:

- افهمني يا أبي أرجوك، أنا لا أخشى دخول المعارك تلك وأنت تعلم هذا جيدًا، فأنا أصاحبك منذ سنوات ولم أخفق يومًا في حرب كنا بها معًا، ولكنك هُنا تحملني المسؤولية كاملة، سوف أُخطط وأقود وأحارب وأحافظ على أكبر قدر ممكن من الجنود، كيف ستثق بي الجيوش وأنت مازالت على قيد الحياة. ضيق نعمان عينيه قائلًا:

- حسنًا؛ سأقتل نفسي الآن حتى تستطيع الجنود الوثوق بك.

- يا أبي أرجوك.

صاح به بني النعمان وهو يدفعه في صدره بقوة حتى وقع يوناس أرضًا، لتُقصيه الضربة سحبًا على أرضية الحديقة وهو ينزع النباتات بظهره:

- سوف تقود الجيوش السبع، وستعود بنصرٍ مُحقق لم يحدث حتى في عهدي وستكون ولدي الذي تمنيت أن أراه يومًا أفضل مني، أنا هنا لا أستشيرك أنا آمرك. توقف جسد يوناس على بُعدٍ كبيرٍ من أبيه، ليقف متألمًا، فأردف بني النعمان قبل أن يختفي من أمامه عائدًا لروهان:

- جهز جيشك في الحال، وعند الفجر كن في مملكة الزفات، وخذ معك شاص وأخيه، ولا تخبر أمك ولا زوجتك بالأمر.

وجدها تجلس على أريكتها المفضلة أمام الحديقة، فتسلل من خلفها حاملًا إياها، وفي غمضة عين كان يقف بها على أعلى نقطة في «شلال دودجار» ثبت نعمان على حافة الشلال والمياه تنساب من تحت قدميه، بينما روهان مازالت معلقة على ذراعيه لا تُبدِ أي ردة فعل! حاول تجاهل غضبها الظاهر وهو يريها الأشجار الكبيرة من حوله:

- هذا المكان الخلاب، قد جئت إليه من قبل مرة واحدة، وعهدت نفسي أن المرة القادمة ستكون حبيبتي على ذراعي.

رفعت زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول له:

- هذا يعني أنك قد جئت مرتين إذًا وليست مرة واحدة.

أنزلها لتقف أمامه وهو يقول بتعجب:

- ما الذي تقصدينه؟!

تنهدت بعمق وهي تقول له:

- أقصد أنك قد جئت هنا من قبل مع حبيبتك الأولى.

مرر إبهامه على وجنتها وهو يقول لها:

- أنتِ حبيبتي الأولى؛ والأخيرة يا روهان.

ابعدت يده من على وجنتها وهي تقول له:

- لم أعد أصدق شيء تقوله لي.

أمسك كفها وقبل أن تسحبه من يده مرة أخرى برفض واضح، جرها لأحضانه بقوة لينتقل بها للكوخ الخشبي الخاص بهما. دفعته بقوة وهي تصرخ به:

- توقف عن نقلي هكذا من هنا لهناك، فأنا لستُ لعبة بين يديك.

اندهش من هياجها المُفرط دون داعي، ليقترب منها قائلًا بهدوء حاول التمسك به:

- ما بكِ يا روهان؟! لقد نقلتكِ إلى هنا حتى لا يسمعنا أحد.

دفعت ذراعه التي يمدها إليها وهي تقول له:

- ما بك أنت؟! كن صريحًا وواضحًا معي لمرة واحدة منذ أن عرفتك وقل لي ماذا بك .

حاول أن يتجنب النظر لعينيها وهو يجيبها:

- أنا لا أعلم حقًا ما الذي تعنيه.

تهدج صدرها، لتتعالى نبضات قلبها بقوة، فارتخى جسدها وهي تجلس على المقعد من خلفها مرددة بخوف ظاهر:

- لقد تأكدت الآن أنك تعلم جيدًا ما أعنيه، لذلك تتجنب النظر لعيناي حتى لا أكشف كذبتك التي تحاول إخفائها عني منذ أن عُدت للحياة.

جلس على المقعد أمامها وهو ينظر لعمق عينيها الدامعة بحزنٍ شديد قائلًا:

- لا تبكي أرجوكِ.

مسحت دمعتها بطرف سبابتها وهي تقول له:

- هذه ليست إجابة سؤالي.

لم يستطع أن يراها هكذا تكشف كل ما بداخله دون مجهود يُذكر، كما أنه لن يقدر على أخبارها أن هند مازالت على قيد الحياة ، وأنه هو من أبقاها حية حتى الآن، لن يستطيع البوح عن سبب عدم قتله لها حيث سنحت له الفرصة، وهذا السبب بالتأكيد ليس ابنته التي ترفض رؤيته حتى هذه اللحظة.

جذبها إلى أحضانه بقوة، لتتملل هي بين يده قائلة:

- اتركني يا نعمان.

لم يستجب لطلبها، وظل يشدد من احتضانه لها كي لا ترى عينيه وهو يقول لها برجفة واضحة في صوته:

- لا أريد تركك الآن، روهان أنا أحتاجك بشدة؛ أرجوكِ.

لم تستطع الصمود في مواجهته، لتستكين بين يديه وهو ينقلها لفراشهم المنعزل أعلى المياه الزرقاء التي تنساب أسفلهم في نغمات هادئة تعكس عشقًا ناريًا يمنحه لها كل مرة،

ولكنه هذه المرة ينقصه الكثير أو يزيد بمبالغة أكدت لها أن قلبه ينشطر نصفين بوجع تشعر به مع كل أنين يصدر منه،

أحست بالحيرة الشديدة بينما هو يعيش في عالمه الخاص معها بحِيرة أكبر، لتقرر هي إما أن يعود لها كاملًا كما كان أو أنها لا تريده على الإطلاق.



الفصل الثالث



تجلس الفتاة الصغيرة أمام تجسيد حي لشابة بجسدٍ أنثوي صارخ، حسناء ذات الجمالٍ الذي لا يقاوم، ورغم أنه تخلى عن ثوب البشاعة في الشكل والمظهر، إلا أنه كلما ازداد جماله كلما ازداد فساده وأصبح يُجسد الشر بأسوء طريقة يستخدمها الشياطين والسحرة كلاهما على السواء، قرب جسده منها قائلًا:

- ما ستتعلمينه مني الآن سوف يجعلك فتاة لا تُقهر يا روهان.

لمعت عين الصغيرة بفتنة أكبر من براءتها التي مازالت تحتفظ بها إلى الآن، وقف «بليفجور» وهو يلتف حول روهان ببطء دون أن يمسها ولكن صوته كان كافيًا لأن يتسلل إلى كل خلية في عقلها:

- دمائك غالية وثمينة، لدرجة أن هناك من يستطيع أن يُضحي بجنسٍ كامل من الجن للحصول على قطرة واحدة منه.

نظرت روهان لعينيه القاتمة كقلبه لتتساءل وهي تشير نحو صدره العاري إلا من قطعة قماش صغيرة تلتصق به:

- كيف تعيش وهذا الشر بداخلك؟!

تعجب بليفجور من سؤالها المفاجئ، ولكنه أجاب بثبات:

- لأن الشر بداخلي يقوم بتغذية كل خلاياي لأصبح أقوى وأقوى، لذلك وافقت على تعليمك السحر الخاص بي لأني أظن أنك ستكونين عظيمة في الشر المُطلق.

انحنى بليفجور مقتربًا من وجهها الجميل، ورفع حافره ليزيل خصلات شعرها من على وجهها ليضعها خلف أذنيها الطوليتين وهو يُردف مبتسمًا بجمال باهر:

- الذي وبالمناسبة هو أقوى سحر في الأمراء السبع للجحيم.

رفعت روهان رأسها نحوه وهي تتأمل وجهه الساحر متسائلة:

- لماذا إذًا تتخفى في هذا الجسد الجميل؟!

تعالت ضحكاته التي جعلت جسد الصغيرة يرتجف رغمًا عنها، ليبتعد بضع خطوات قام بها بعنج يُردي أعتى الرجال أمامه، ثم

جلس على مقعده الذي يلتف حوله الأفاعي الكبيرة جميلة المظهر ليتوقف عن الضحك وهو يقول لها مشيرًا لكل جزء في جسده بطريقة فجة لم تفهمها الصغيرة:

- القاعدة الأولى يا فتاتي هي: هذا الجسد الجميل البارز هو ما يجعلني أقوى ساحر من الشياطين السبع .

- القاعدة الثانية هي؛ كلما استفحل جمالي تضاعف شري، وكلما تضاعف شري تفاقمت قوتي، وهكذا تدور الدوائر يا صغيرتي.

وقبل أن تتحدث روهان ثانية أوقفها برفع سبابته أمام فمها وهو مازال جالسًا على كرسيه:

- القاعدة الثالثة هي؛ لا تُكثري من الأسئلة عني، اجعلي عقلك يركز على أهداف أقوى من المظهر، وسوف أعلمك في النهاية كيف تستخدمين مظهرك الجميل في استشراء قوتك، ومضاعفة شراستها.

ثم وقف وهو يُمسك ثعبان يقارب حجم الصغيرة، ثم اقترب وهو يقدمه لها، بينما هي تقف بثبات وتأخذه منه دون حتى أن ترتجف حدقتيها من المفاجأة، مما جعله يرفع زاوية شفته العليا التي يصبغها باللون الأحمر الجذاب بابتسامة متسلية وهو يقول لها:

- أعتقد أنني سأستمتع بتعليمك وسوف تكونين مبهرة بعد عدة أعوام.

تركت روهان الثعبان يلتف على جسدها بأكمله، ليرفع الثعبان رأسه خلفها بينما جسده أشتد عليها وفي نفس اللحظة فتح فمه أمام رأسها، عاد بليفجور خطوة للوراء وهو يراقبها وهي ثابته بشكل جعله يعتقد أنها لا ترى ما يفعله الثعبان خلف رأسها.

وحين اقترب فم الثعبان الذي يضاهي حجم رأسها الصغير، رفعت يديها الاثنتين لتُمسك بفكيه المفتوحان على وسعهما، وبكل قوة ورباطة جأش؛ شقته نصفين بداية من فكه نزولًا بجسده المرن حتى وصلت لذيله الرنان، ارتخى جسده ووقع أرضًا أمام نظرات بليفجور، اقتربت منه وهي تمسح كفيها في فستانها قائلة:

- القاعدة الخامسة هي؛ اترك عدوك يتمكن منك وحين يصل للحد الذي يجعله يغتر بقدرته ويظن أنك أصبحت بين فكيه، اسحقه بكل بساطة وامضِ في طريقك لتتعلم المزيد.

ردد بليفجور وهو يخطو أمامها بحماس للخارج:

- لقد عرفت منذ أن رأيتك أنني سأستمتع كثيرًا.

***

كانت مُمددة على الفراش، بينما هو يضع رأسه الضخم على صدرها، فتحت عينيها لتجده على هذا الحال، فبعدما كانت هي من تدفن رأسها بين ذراعيه، يحاول هو الآن إيجاد مكان يختبئ به بعيدًا عن عينيها. وضعت روهان كفها تمرره على على رأسه وهي تقول له:

- هل سنظل على الفراش طوال اليوم.

رفع رأسه ليقبلها على جانب شفتيها قائلًا:

- هيا انهضي كي أريكِ مكانًا ستنبهرين به.

وقف خلفها وهي تبحثُ عنه بعينيها في قاع الجزيرة، تلتصق بصخرة كبيرة من ظهرها حتى لا يُباغتها أحدٌ من الخلف، جلس بني النعمان على أعلى الصخرة وهو ينظر نحوها بإعجابٍ، ليقول لها:

ـ كان يجب أن تُؤَّمني مكانًا أفضل من ذلك، أستطيع الإمساك بك من أعلى، وصدقيني لن تستطيعي مقاومتي.

نظرت نحوه بشراسةٍ وهي ترتفع تجاهه كبركانٍ ثائر، ليبدأ الإثنان في نزالٍ شرسٍ وقوي للغاية، وبعد قليل استطاع بني النعمان أن يسيطر عليها، وهو يُمسكها بقوة بكلتا يديه، ليحاوط جسدها المتمرد بشدة، وهو يقترب من أذنها قائلًا :

ـ هيا بنا للأعلى يا هند، أنا لست عدوًا لكِ.

ظلت تتململ بين يديه وهي تصرخ عاليًا،

فتركها وصعد بعدما أيقنت أنها لن تستطيع الصمود معه.

جلس نعمان على صخرةٍ كبيرةٍ ثابتةٍ على الشاطئ، يصطدم بها المُحيط من جميع الجوانب، ظهرت هِند بجواره وهي تنظر نحوه بتَعُجبٍ قائلة:

ـ من أنت؟!

أمال برأسه لليمين، وهو يُدقق النظر لوجهها الذي أسره بجماله، ثم أجابها ببشاشة وجه:

تركها للحظات ثم عاد بطاولة خشبية يعلوها أكثر طعام تُحبه هي، وبعض الفواكه المفضلة لديها:

- هيا تناولي فطورك.

ثم اقترب يُقبلها ثانية وهو يغمز لها بعدما مرر عينيه على جسدها:

- ولا تنسي أن ترتدي ثيابك، ستجدينها تنتظرك في غرفة الاستحمام.

أمسكت بيده قبل أن يبتعد عنها، لتتأمل عينيه الزائغة بحيرة وهي تسأله:

- إلى أين أنت ذاهب؟!

رفع كفها لفمه يلثمها برقة وهو يتجنب التحديق بعينيها قائلًا:

- سأذهب لأمرٍ عاجل عدة دقائق وسأعود على الفور.

لم ينتظر منها كلمة أخرى واختفى سريعًا قبل أن تطيل النظر إليه. لم يترك المكان كما أخبرها، ولكنه ظهر في الخارج ليسقط جسده في الماء ويغوص لأقصى نقطة هناك، وقف في الأسفل تاركًا جسده للماء يلف من حوله،

ليقوم هو بصنع دوامة كبيرة بواسطة ذراعه وظل ينظر إليها وهي تدور أمامه وتسحب معها أفكاره التي تقتله كلما أقترب منها، هي كاذبة، ومخادعة، وتحمل شرًا وأذى بداخلها يستطيع إبادة كل ما هو خير ونافع، ولكنها امتلكت قلبه ولم يقدرعلى استخراجها من هناك، رغم عشقه الكبير لروهان، اختفائها من أمامه جعله يهنأ لسنوات شعر بها أنها لم تكن جديرة به وبعشقه لها، ولكن عودتها هكذا ثانية حطمت كل موازينه، جعلته يدخل دائرتها رغمًا عنه، لم يعد يعرف ما الذي يريده حقًا، ولأول مرة يقف بني النعمان في المنتصف لا يستطيع المُضي قدمًا ولا يقدر على العودة، خياران كلاهما مُر. توقفت الدوامة المائية حين سمع صوتها من أعلى، ارتفع بجسده ليجدها تقابله في منتصف المياه، فزع من رؤيتها أمامه على هذا العمق، فحملها وصعد للأعلى في لحظة واحدة. التقطت روهان أنفاسها بهدوء وهي تقول له:

- ما الذي أفزعك هكذا؟!

وضعها على الأرجوحة الموضوعة أعلى الشجرتين وهو يقول لها:

- ظننتك وقعتِ دون قصد.

ضمت روهان حاجبيها بتعجب، لم يكن نعمان بهذا الشرود وعدم الإدراك من قبل! كان يعرف من نبرة صوتها أتستجير به أم تلاطفه، ما الذي حدث حقًا! اعتدلت روهان بحدة وهي تقول له :

- أنا لم أناديك باستغاثة يا نعمان.

انتبه لخطئه فأكملت:

- لقد أخبرتني أنك ستذهب من هنا لأمر هام.

نظر للأعلى وظل يدور برأسه كأنه يبحث عن شيء وهو يسألها:

- كيف عرفتِ أنني بالأسفل؟!

اقتربت من وجهه وحاوطته بكلتا كفيها وهي تجيبه:

- رأيت دوامتك المائية التي لم تفعلها سوى أول مرة جئت بي إلى هنا.

ثم أكملت وهي لا تسمح له أن ينظر لاتجاه آخر، وأجبرته أن ينظر لعينيها اليائستين وهي تسأله:

- ما الذي يحدث معك يا نعمان ؟

لم يَعُد هناك مفر منها، أخذ نفسًا عميقًا وقبل أن ينطق بكل أسراره التي يخفيها عنها وجد شاص يناديه بصوت مرتفع. فزعت روهان لصوته، بينما أصاب نعمان ذُعر شديد أن يكون أصاب ابنه سوء، فتركها حتى دون أن ينطق واختفى في غمضة عين. وجد شاص ينتظره في وسط الصحراء، سأله بقلق حاول اخفائه:

- ما الذي حدث؟! هل يوناس بخير؟!

وجده يبتسم قائلًا:

- لقد انتصرنا يا سيدي.

لم يستطع بني النعمان أن يخبئ نظرة الفخر في عينيه، فتنهد بعمق وهو يقول:

- حمدًا لله.

أكمل شاص بحماس وانبهار شديدين:
- كان ينقصك رؤية ما فعله سيدي يوناس، لقد كان مثل الإعصار في منتصف المعركة، لم يقدر أحد من زعماء الشياطين حتى الاقتراب منه.

شد بني النعمان جسده بقوة وهو يشعر بالزهو والتعالي ليقول لشاص:

- أخبر باقي الملوك بما قلته الآن لي.
أحنى شاص رأسه بالطاعة وقبل أن يستأذن منه سأله بني النعمان:

- متى ستعودون؟!

أجابه شاص:

- فجر اليوم يا سيدي.

أشار له بني النعمان بالذهاب ولكنه استأذنه قائلًا:

- هل أستطيع محادثتك في شيء.

ضيق بني النعمان عينيه مرددًا:

- بارئ.

أومأ شاص برأسه وقبل أن يرجوه ألا يغضب منه، أوقفه بني النعمان قائلًا:

- سأخرجه اليوم لغرضٍ ما، ولكنه إن أخفق..
قاطعة شاص قائلًا: سأقتله أنا بيدي.

وقبل أن يختفي أحنى رأسه أمام بني النعمان قائلًا:
- أشكرك يا سيدي.. على كل شيء.

عاد بني النعمان لروهان التي ما زالت على وضعها أعلى الأرجوحة ليقرر أن هذا ليس الوقت المناسب لتعرف بأمر هند وابنته، فهو في هذه اللحظة لا يملُك من الكلمات ما يشفع له حتى لا تغضب منه بطريقة لن يتحملها، هو يريدها بشدة أن تسحبه من دوامة هند التي لا تريد أن تتوقف قبل أن تبتلع كل شيء في طريقها. اقترب منها لتتفاجأ به يقبلها من شفتيها بقوة جعلتها تدفعه حتى يتركها قبل أن يتمادى لتقول له:

- دعنا نُكمل حديثنا.

حملها أعلى ذراعيه وهو ينقلها لقصرهم ليخبرها:

- أعدك أننا سنكمله، ولكن الآن لابد أن أفعل أمرًا هامًا لا يمكن تأجيله.

وضعها على أرضية القصر وهو يُقبل جبهتها برقة، لتوقفه قبل أن يختفي قائلة:

- هناك أمورًا تأجيلها لن يعود علينا سوى بخسارة فادحة يا نعمان.

قَبل باطن كفها بأنفاس متلاحقة، واختفى دون رد. وقفت شاردة في المنتصف لتجد إلينا تركض نحوها متسائلة بخوف ظاهر:

- ألا تعرفين أين ذهب يوناس يا خالتي؟!

ثم تسمرت بدهشة وهي تقول لها:

- لمَ أنتِ مُبتلة هكذا؟!

***

وصل نعمان للكهف الذي يسجن به مويرا وبارئ، ليرى بارئ يمسك برقبة مويرا التي يرفعها حتى سقف الكهف الحجري وهو يحاول فصل رقبتها عن جسدها،

لتدفعه هـي بقدميها بأقصى قوتها فوقع تحت قدمـي بنـي النعمان، لتقع مويرا جواره وهـي تحاول لتقع مويرا جواره وهي تحاول التقاط أنفاسها بقوة.

نظر لهما بني النعمان قائلًا بسخرية:

- أرى أنكما تبليان حسنًا هنا.

أمسك بارئ قدمه بينما فعلت مويرا فعلته بالقدم الأخرى ليترجاه بارئ:

- أرجوك يا سيدي اخرجني من هنا، أو اقتلني في الحال.

سحب نعمان قدميه من أيديهم ليدوي صوته الحازم جدران الكهف:

- قف أيها الخسيس، وأنتِ أيضًا قفي.

وقف الاثنان أمامه مطأطئي الرأس ليقول لهما:

- سوف أخرجكما من هنا الآن ولكن..

وقبل أن يُكمل قَبل الاثنان يده وهما يقولان في صوتٍ واحد:

- سنفعل أي شيء، أرجوك يا سيدي لا تقل ولكن.

أبعدهما عنه بقوة وهو يقول لهما:

- هذه آخر فرصة وبعدها ستتمنون الموت والخلاص، ولن أمنحه لكما .

بدأ القلق يتسرب إليها بشكلٍ كبير، بعدما أخبرتها إلينا أنه خرج منذ يومين ولم يعود، وقدً استدعته عشرات المرات ولكنه لا يجيبها، فقامت روهان بالنداء عليه ثلاثًا ولكنه لم يأتِها.

وقفت تدور حول نفسها وهي تسأل جميع العاملين في القصر والجميع يخبرها أنه لا يعلم شيء كعادتهم، انقبض قلبها بقوة ودار عقلها في فلك نعمان الذي يخفى عنها شيء، يا ترى هذا الشيء خاص بيوناس؟! نفضت رأسها سريعًا وهي تستعيذ بالله من أفكار شيطانية بدأت في غزو عقلها بقوة، فقررت أن تنادي زوجها ليخبرها أين ابنها الآن، ولكنه هو الآخر لم يُجيب، فبدأت توقن أن هناك كارثة يخفينها معًا، أو أن ابنها في خطر كبير. ركضت وخلفها إلينا لقصر الملك الأبيض ولكن الخدم أخبروها أنه خرج في اجتماع مع الملوك السبع. زفرت بضيق وعادت لقصرها، بينما وقفت إلينا تنادي نعمان وروهان الصغيرين، فهما أيضًا مختفيان منذ ساعات، ظهرا الاثنان أمامهم ليركضا نحو جدتهم يحتضنان إياها بقوة. جلست روهان على الأريكة وهي تُقبلهم بابتسامة كبيرة، بينما وقفت إلينا أمامهم وهي تصيح بهم:

- أين كنتم منذ ساعات مضت؟!

نظر نعمان نحو روهان الصغيرة، لتجيبها الفتاة بثقة:

- ما بكِ يا أمي؟! هل غياب أبي عنكِ يجعلك مشتتة هكذا! لقد كنا أمامك منذ ساعة واحدة، وانطلقت بعدها أنا ونعمان نلعب في الحديقة وقد أخبرتك قبل أن نتحرك من القصر.

وقفت إلينا حائرة، فهي تتذكر أن ما قالته ابنتها كان منذ عدة ساعات كثيرة، ولكنها آثرت الصمت لتتحدث روهان معهما:

- وهل استمتعتم باللعب؟!

أجابتها الصغيرة بابتسامة كبيرة:

- جدًا جدًا يا جدتي.

نظرت روهان لنعمان قائلة:

- هل تترك أختك دائمًا تُجيب على جميع الاسئلة؟!

قالت الصغيرة بخفوت:
- نعمان يخجل من الحديث مع الكبار يا جدتي.

نظرت روهان لعين الطفل التي تُشبه جده في نظراتها الزائغة، لتقترب منه متسائلة:

- هل حقًا ما تقوله روهان يا حبيبي؟!

وقبل أن ينطق دخلت زمردة بصوتها المرتفع وهي تُهلل:

- لقد انتصر يوناس في المعركة، عاش القائد وولده.

تركت روهان حفيديها ووقفت أمام زمردة بوجه مكفهر بينما كانت نظرات إلينا الحارقة ترمقها بحدة،

فتوقفت زمردة عن الاحتفال بدهشة وهي تقول لهما:

- ما بكما غاضبتان هكذا؟!

هزت روهان رأسها وهي تسألها:

- يوناس ولدي وأبيه في حربٍ الآن؟! كيف حدث هذا؛ نعمان كان معي منذ قليل!

حركت زمردة كتفيها بتوتر وهي تقول لها:

- أنا لم أقل نعمان، لقد قلت يوناس.

نظرت إلينا لخالتها بصدمة، بينما رددت روهان:

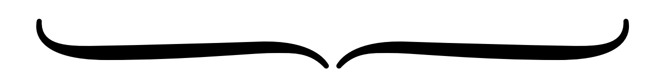
- ولدي يقود حربًا بمفرده دون علمي؟!

عضت زمردة شفتها السفلى بقوة، بينما وقفت روهان في المنتصف تصرخ بقوة:

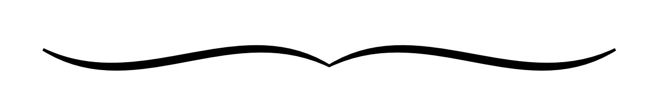
- نعمان.

زفر نعمان من أمام الكهف بعدما أخبر بارئ وموبرا ما يفعلانه، ليقول بضيق:

- لقد أخبرتها زمردة؛ اللعنة عليها ألف مرة.



الفصل الرابع



وقفت سارافيم أمام المرآة التي تعكس أمها قبالتها على الجانب الآخر، لتتحدث هند ببعض التعاويذ التي تُكررها على مسامع ابنتها عن طريق التخاطر، طريقة تعلمتها من الأرضيين التي يستخدمونها فيما بينهم، فقد استغلتها هند في تعليم ابنتها السحر الذي اتقنته من بني النعمان وزوجها الذي يسبقه،

كانت تكتب لها بعض الرموز الخاصة على المرآة في محاولة منهم أن تمر هند عبرها لتخرج من السجن الأبدي، ولكن بني النعمان لم يترك لها ولو ثغرة واحدة تستطيع بها المغادرة.

استشاط غضبها وبدأت في الصراخ حتى انهارت بعض الصخور من حولها، لتتحدث سارافيم بخوفٍ شديد:

- اهدئي يا أمي أرجوكِ.

لم تستمع لها هند حتى تحطم زجاج المرآة، صمتت هند وحاولت المرور سريًعا ولكنه عاد كمان كان في لحظة واحدة. ازداد غضبها أضعافًا للحد الذي جعلها تُشعل المكان بأكمله، بينما تقف ابنتها على الجانب الآخر مذعورة من حالة الهياج الذي أصابت أمها فجأة وبدون مقدمات.

حاولت سارافيم تهدئتها بكل ما استطاعت، فلم تجد إلا أن تقول لها:

- لقد وجدت الحل يا أمي.

هدأت النار من حول هند، بينما ظل جسدها يشتعل بنار حمراء ترتعش كلما خفتت وهي تقترب من ابنتها التيً استطردت سريعًا:

- هل تتذكرين التعويذة التي علمتني إياها عن الانتقال بين العوالم.

انطفأت النار من جسد هند التي وقفت تنظر لابنتها دون إبداء أي ردة فعل، لُتُكمل سارافيم بتوتر:

- معي الآن الأدوات المطلوبة، وسنجد سويًا طريقة أستطيع بها إدخال الأدوات إليك، فمؤكد أب..

صمتت لبرهة وهي تنظر لأمها التي ما زالت تستمع بترقب، لتقول سارافيم:

- أقصد بني النعمان قد منع الثغرات التي تستطيعين الخروج منها ولكنه مؤكد لم يمنعها عن الأشياء الصغيرة التي من الممكن أن تدخل، وإلا كيف يستطيع الجنود إدخال الطعام لكِ كل فترة .

هدأت عين هند التي كانت سوداء منذ قليل، لتعود للإحمرار بلمعة خاصة وهي تقول لابنتها التي أخرجت حقيبة قماشية من داخل أحد الأحجار في الغرفة:

- أسعدني ذكائك، ولكن هذه الفكرة بالتأكيد لن تمر على مثلي، لقد حاولت من قبل معرفة طريقة دخول الطعام ولكني لم أكتشف الأمر حتى الآن. رفعت سارافيم الحقيبة أمام أمها وهي تقول لها:

- هذه هي الأدوات.

وفي هذه اللحظة سمعت صوت زوجها العائد من يومه الطويل، فأغلقت الحائط بعدما وضعت الحقيبة أمام المرآة وهي تُتمتم لأمها:

- سنحاول سويًا وسننجح هذه المرة، اطمئنِ.

دخل وِيْوَن الغرفة فوجد زوجته ممددة على الفراش شاردة الذهن، نزع ردائه الأعلى حتى أصبح عاري الصدر، ليجلس بجوارها متسائلًا:

- ما بكِ؟!

هزت له رأسها نافيًا وهي مازالت شاردة:

- أنا بخير.

وضع سبابته أسفل ذقنها ليديرها نحوه وهو يقول لها:

- لم تسألينى منذ البارحة ما الذي حدث مع أبيكِ.

زاغت عينيها وهو تقول له بصوتٍ متوتر:

- لا أريد أن أعرف عنه شيء، ولا تقل لي أبيكِ هذه ثانية فأنا ليس لي أب.

ثم ضيقت عينيها بغيظ وهي تُردف:

- لو كان هذا الأب ليس هو من حطم عالمكم وهدد حياتكم جميعًا وأنتم عاجزون، هل هذا سيكون موقفك أنت وأبيك حينها.

اتسعت حدقتي وِيْوَن بغضب ظاهر وهو يقول لها:

- أتعنين أننا نحاول إجبارك على مقابلته لأننا نخاف منه؟!

كادت أن تتحدث فأوقفها وهو يُكمل:

- أنا لم أجبرك على مقابلته ولو فعلت لكنتِ البارحة تقفين أمامه رغمًا عنكِ، ولو هذا رأيك في أن وِيْوَن لن يستطيع حمايتك فأظن أننا لابد أن نفترق في الحال.

تركها وتحرك إلى الخارج فركضت خلفه لتوقفه قبل أن يُغادر، لتُمسك كلتا يديه برقة قائلة:

- أعتذر منك، أرجوك لا تغضب مني فأنا الآن مشتتة للغاية.

نظر لعينيها الحمراء التي تماثل أمها ليقول لها بنفس الحدة:

- يجب أن تعلمي أن أبيكِ هو من أوقف أبي عن إجبارك، ويجب أن تعرفي أيضًا أنني أستطيع حمايتك من الجن أجمع وليس فردًا واحدًا منهم، ولكن أبي الحاكم هنا والأوامر التي يُصدرها يجب علينا تنفيذها دون حتى استفسار، هكذا كنا وسنظل هكذا؛ وإلا سيُصبح عالمنا فوضى عارمة، نحن هنا لا نبحث عن مصالح شخصية، نحن عائلة حاكمة تعلمنا أن ننظر أولًا لرعايانا.

هزت سارافيم رأسها بتفكُر وهي تسأله:

- كيف أوقف بني النعمان أبيك على عدم إجباري؟!

قال لها وهو مازال على وقفته الغاضبة:

- لقد قال له ابنتي ليست عبدًا لديكم، ولا هي حتى من رعاياكم، ولذا فهي تستطيع فعل ما تريده وقت ما تريد.

شعرت بالفخر الشديد أنها تنتمي لهذا الرجل القوي، ولكنها تراجعت على الفور وصوت أمها الغاضب يتسلل لخلاياها بقوة، لتعود عينيها للاشتعال قبل أن يستطرد وِيْوَن:

- لقد بعث لكِ رسالة من خلالي، ولم أرد أن أبلغك إياها بالأمس لأنني وجدت غضبك لم يهدأ بعد، لذلك جئت الآن لألقيها عليكِ وبعدها تستطيعين التصرف كما تريدين.. ضيقت عينيها وهي تسمع رسالته « يقول لك إنه يشتاق لرؤيتك كثيرًا وسيفعل أي شيء حتى تُقابليه».

شعرت بقلبها ينشطر نصفين مثل أبيها الذي يعاني الآن بسبب نفس الشخص وهي «هند»

أحست بوخزة داخل عينيها لتقبض كفيها بقوة وهي تقول له بحزنٍ شديد وغضب أشد:

- ما الذي جعله يتذكرني؟! لقد كرهني ونبذني وتركني أنا وأمي، وتابع حياته مع الإنسية التي أنجب منها ولده، لقد باعنا بلا شيء لنلاقي مصير كهذا.

أنهت جملتها وهي تشير لبيتها.

أمسك وِيْوَن كفيها وهو يقول بأسى كبير:

- هل تندمين على زواجك بي يا سارافيم؟!

مسحت دمعة سقطت على خدها وهي تتعجب أنها لم تعش مثل هذه المشاعر الإنسانية منذ وقتٍ طويل، ما الذي ذكرها بها. نظرت نحو زوجها لتحاوط وجهه بكلتا كفيها قائلة:

- أنا لم أندم في حياتي سوى على الوقت الذي عشته بدونك يا وِيْوَن.

اقترب منها يُقبل شفتيها المبتلتان بدموعٍ لم يرها منذ أن كانت في سجنه قبل أن تُدرك ماهيتها، ليحًملها على ذراعيه واضعًا إياها على فراشهما كي يثبت لها أنه لم يحيَ هو الآخر قبل أن يلتقيها.

وفي ظل هذا العشق الذي يستمتعان به، جاءهم صوت طرق بابهما جعله يتوقف بضيق، ليتحرك نحو الباب وهو يضع عليه ردائه، فوجده حارس من الحراس يخبره أن أبيه ينتظره الآن في المُختبر الخاص بهم. أخبره أنه سيوافيه على الفور، ثم عاد لسارافيم التي سحبت الغطاء على جسدها العاري متسائلة:

- ما الذي حدث؟!

أخبرها وهو يرتدي ردائه بشكلٍ صحيح ليواري جسده بأكمله:

- أبي يريدني الآن في المختبر، يبدو أن هناك أمرًا هام.

انتهى من ارتدائه وأقبل عليها يخطف قُبلة سريعة قبل أن يذهب وهو يقول لها:

- سأعود على الفور..

انتفضت سارافيم بعدما سمعت صوت البوابة الخارجية للمنزل تُغلق خلفه، وارتدت فستانها على عجل لتفتح المرآة وهي تقول:

- لقد عُدت يا أمي، دعينا الآن نحاول إخراجك.

جحظت عيناها الحمراء حين وجدت غرفة السجن الخاص بأمها فارغة، ظلت تبحث بعينيها وهي تناديها بخفوت، ثم نادتها عن طريق التخاطر إلا أنها لم تجب، أغلقت سارافيم الحائط كما كان وهي زائغة العينين مرددة:

- أين ذهبتِ الآن يا أمي؟؟

وصل وِيْوَن لوالده الذي يقف أمام الأنابيب الزجاجية الملتفة حول الغرفة مثل المواسير المغذية لعالمهم، وهو يشير للسائل الأحمر بداخلها قائلًا:

- هل ترى هذا؛ منذ أن قام بني النعمان بحبس هند ونحن نخسر الدماء التي تغذينا كل يوم.

نظر وِيْوَن لأبيه وهو يسترجع اتهام زوجته لهم بالخوف منه، ليقول له بغيظ واضح:

- حسنًا؛ دعنا نُخرج هند لتقوم بعملها كما كانت تفعل.

هز والده رأسه برفض قوي وهو يقول له:

- لن أجازف بإغضابه أو خسارة حليف مثله، أنت لا تعلم قوته بعد، ولو ظننت أن ما فعله هذا اليوم المشؤوم مجرد استعراض لقوته الحالية فقط وهذا هو أقصى ما يستطيع فعله؛

فأنت مازالت صغيرًا لتفهم قوة وعقل هؤلاء العفاريت من فصيلته. زفر وِيْوَن بضيق وهو يقول له:

- وما الحل إذًا؟! أنت تعرف أنه لن يفعل ما تفعله هند، فجميعنا يعلم أنها تتمتع بجانب شيطاني، أما عن بني النعمان فهو ليس مثلها على الإطلاق، ولن يطيع لنا أمرًا ولن يأخذ قطرة دم واحدة من إنسي. وضع والده كفه على كتفه وهو يقول له:

- رغم أنكَ أوسط أبنائي ولكنك أذكاهم وأقواهم أيضًا لذلك أنا أعتمد عليك في أمور كثيرة، ولذلك أيضًا فإن الحل معه هو استرضائه، بأن نجعل ابنته هي من تطلب منه ذلك بدلالها، فمن الواضح أنه يحبها كثيرًا وأن هناك أمرًا لا نعلمه من هند يجعلنا نفهم لمَ لا تريد سارافيم مقابلته.

نظر له وِيْوَن قائلًا:

- هي تقول أنه تخلى عنهم وتركهم ليتزوج من الإنسية وقد أنجب ولدًا منها وتابع حياته دونهم.

ضيق ياوي عينيه السوداء بتفكر قائلًا:

- لا أعتقد أن رجلًا مثله يفعل ذلك، حاول إقناع زوجتك بمقابلته واشرح لها المأزق الذي نقع به الآن؛ علَّها ترضى وتنقذنا، فأنا لن أستطيع أمرها بالقوة كما رأيت ما قاله لنا بتهديد واضح.

اكتفى وِيْوَن بإيماءة من رأسه وهو يُفكر بعقل سارافيم وكيف سيستطيع إقناعها بذلك.

حضر بني النعمان أمام روهان التي تشتعل بالغضب، لتقف أمامه بهدوءٍ يسبق العاصفة قائلة:

- لقد بعثت ولدي وحده لقيادة الجيوش السبعة دون معرفتي.
ضم نعمان حاجبيه وهو يجيبها:

- ولدك لم يعُد في العاشرة، لقد أصبح رجُلًا قويًا، وأنا في مثل سنه كنت قد حققت رقمًا قياسيًا في عدد الحروب التي قمت بقيادتها والانتصار بها، بالإضافة لأن هذه القرارات تصدر من الملوك في غرف الاجتماعات ولا يجب على من خارجها معرفة ذلك. كادت أن تصرخ بها ثانية ولكنها صمتت حين اقتربت منه إلينا بغضبٍ مماثل لخالتها، ولكنها لم تستطع إلا أن تُخفض صوتها المرتجف وهي تقول له:

- لماذا لم يُخبرني أنا يا أبي؟!

نظر بني النعمان لحفيديه اللذان مازالا يجلسان على الأريكة يشاهدان ما يحدث، ليلفت نظره بني النعمان الصغير الذي يطأطئ رأسه ناظرًا لأرضية القصر بخجل، بينما عين الصغيرة روهان ترمقه بتدقيق شديد، وهي تبتسم نحوه بجراءة لا تُصدق. ابتسم وهو يغمز لها فركضت نحوه قائلةً :

- جدي هيا بنا نترك هتان الإنسيتان الغاضبتان هنا ونذهب لنزهة؛ فأنا أريد أن أريك شيئًا سيبهرك.

أطلق ضحكة عالية وهو يحملها على ذراعه، بينما نظرات إلينا الحارقة تكاد تُشعل جسد الصغيرة، أما عن روهان فقد ابتسمت لقوة هذه الفتاة وكلمتها الكبيرة على سنها. قبلها نعمان على وجنتها برقة وهو يقول لها:

- أعدك أنني سأرافقك لرحلة خاصة بنا فيما بعد نحن الإثنان فقط،

ولكننا الآن لا يجب أن نتجاهل أمك وجدتك لأن هذا غير لائق ومهما كانت مشاعرهما فيجب علينا أن نحترمها، لذلك.. نظر لروهان وإلينا قائلًا:

- يجب أن أعتذر منكما أيتها السيدتان، ولا تغضبا على يوناس فأنا من أمرته بعدم إخباركما لكي لا تقلقا عليه بقلبكما الرقيق.

ضمت روهان الصغيرة حاجبيها بعدم اقتناع، فنظر لها بني النعمان بحزم قائلًا:

- هكذا يجب أن نتعامل مع بعضنا البعض، فنحن عائلة لا يجب علينا أن نُغضب أحد منا، وإن فعلنا دون قصد فيجب علينا الاعتذار والتبرير هل فهمتِ يا صغيرتي؟!

هزت روهان رأسها قبل أن يُقبل جبهتها وينزلها من أعلى ذراعه قائلًا:

- اصحبي أخيكِ واذهبا للعب في الحديقة حتى يعود والدكم.

ركض الاثنان للخارج، فنظر بني النعمان لهما بضيق قائلًا:

- أعتقد أننا من خُلقنا من نار وليس أنتم، ولكنكم هنا تثبتون لي أن هناك شيء خاطئ في تكوينكما.

وفجأة ظهر يوناس خلف أبيه وهو يقول:

- لقد استفرد بك الإثنان؛ مسكينٌ يا أبي.

ابتسم له والده وهو ينظر للجروح الغائرة في وجهه وذراعيه قائلًا:

- هل تعرف أن هذه الإصابات التي في جسدك أهون عليّ مما أعايشه هنا.

انطلقت روهان نحو ولدها تحتضنه بشوق وعيناها تدمعان بخوفٍ ظاهر قائلة:

- حمدًا لله على سلامتك يا بني.

حملها يوناس بذراعٍ واحدة وهو يُقبل رأسها قائلًا:

- زوجك قذفني في النار وتركني أخرج بمفردي، ولكني كما ترين لقد أبدتهم جميعًا؛ ولدك أصبح القائد يا أمي.

ضحكت رغمًا عنها، بينما اقترب منه والده ليبعده قليلًا عن روهان، ثم على حين غرة أمسكه بكلتا يديه ليوقعه أرضًا وهو يضع قدمه فوق ظهره، شهقت روهان وركضت نحوه فأوقفها نعمان بإشارة منه، بينما عجز يوناس عن الوقوف والتصدي لقوة أبيه، لينحني نعمان قليلًا وهو يقول له:

- مازالت أنا القائد هنا، لا تحلُم أن تأخذ مكاني وأنا على قيد الحياة.

حاول يوناس النطق وهو على هذا الوضع:

- حسنًا أيها القائد اتركني الآن فهذا ليس وضعًا تراه زوجتي.

رفع نعمان قدمه من أعلى ظهر ولده لينتصب يوناس على الفور يضبط هندامه الذي أفسده والده،

ليقول له بني النعمان:

- زوجتك عادت لغرفتها حين ظهرت.

ثم اقترب منه وهو يربت على كتفه مُردفًا:

- أبيك لن يقوم بتعنيفك هكذا أمام زوجتك.

ابتسم يوناس ليُكمل بني النعمان:

- أحسنت يا ولدي؛ فهذا ما كنت أثق به.

استأذنهم وذهب خلف إلينا، بينما تغيرت ملامح وجه بني النعمان المازحة أمام روهان التي مازالت تقف بصمت، فأقبل عليها حتى التصق بجسدها وهو يمرر إبهامه أعلى شفتيها قائلًا:

- هل اشتقتِ لي؟!
ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تقول له:

- لقد اشتقت لزوجي بالفعل؛ ولكنه بالتأكيد ليس هو هذا الواقف أمامي.

زفر بضيق وهو يبتعد عنها خطوة للخلف قائلًا:

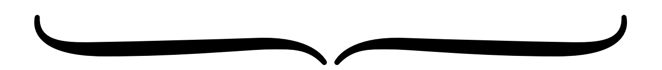
- كلما حاولت الهروب تحاولين إعادتي إلى هناك؛ روهان أرجوكِ توقفي.

اقتربت منه هي تنظر لعمق عينيه القاتمة متسائلة:

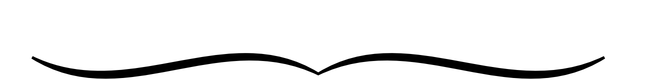
- تحاول الهروب ممن يا نعمان؟!

صوت الملك الأبيض صدح في القصر ليقطع حديثهما:

- بني النعمان احضر يوناس وأتني في الحال.



الفصل الخامس



كانت تجلس على فراشها بجسدٍ يهتز غضبًا منه، دخل الغرفة ليلتف أمامها بينما هي أدارت وجهها بحنقٍ وهي تقول له:

- اخرج من الغرفة يا يوناس، فأنا لا أريد التحدث معك.

اختفى بالفعل كما أمرت، فاستدارت وهي تنظر خلفها فلم تجده؛ فوقفت كي تبحث عنه ولكنه بالفعل خرج كما أرادت. جلست على طرف الفراش بحزن شديد وهي تردد بخفوت:

- وكأنه كان ينتظر أن أطلب منه الخروج، فهذه هي عادته حين يعلم أنني غاضبة منه؛ فبدلًا من أن يسترضيني يختفي من أمامي وحين يظهر يقول لي..

ظهر يوناس أمامها في نفس اللحظة ليردد معها:

- كان هذا بناء على طلبك؛ وأنا لا أستطيع أن أرفض لكِ طلبًا.

ابتسمت وهي تحاول إخفاء وجهها، ليقترب وهو يزيح كفها من على وجهها قائلًا:

- مؤكد لقد قال لكِ أبي أنني لم أخبركما بناءً على أمره.

زفرت بضيق وهي تقول له:

- ولكنني زوجتك يا يوناس، كيف تفعل هذا بي؟!

جلس أمامها وهو يقول لها بملامح جدية:

- وهو أبي يا إلينا؛ وفوق هذا هو قائدي وإن أمرني بشيء لا أستطيع سوى تنفيذه وأنتِ تعلمين ذلك جيدًا.

وضعت كفها على صدرها بحزنٍ وهي تقول له:

- والأوامر هذه تقتضي أن تتركني يومين كاملين لا أعلم عنك شيئًا، وقد ناديتك بهما آلاف المرات وأنت لم تُجيب! هل تعلم شيئًا عن شعوري بالخوف أن يكون حدث معك مكروه، حتى خالتي وأبي لم يكونا هنا كي أطمئن قليلًا، أنا لم أنم حتى هذه اللحظة، وما زال قلبي يؤلمني كلما تذكرت ذعري في الساعات الماضية.

أمسك يدها التي تضعها على صدرها ليُقبلها بحزنٍ وهو يقول لها:

- أنا حقًا لم أكن أعلم ما مررتِ به، وأنا أعتذر منك أنني كنت سببًا في خوفك الشديد عليّ، ولكنني واثق أن هذا الشعور كان سيتضاعف بشكلٍ لن تتحمليه لو كنتِ تعلمين قيادتي للجيش

وحدي في حربٍ مثل التي كنتُ بها.

وقعت عيناها أعلى ذراعه المُصاب بشدة، لتشهق بفزع وهي تضع يدها على الإصابة:

- ما هذا؟! هل تؤلمك!

ابتسم نحوها وهو يقربها منه قائلًا:

- لا.. ولكن هناك شيء آخر يؤلمني.

ضربته في إصابته فتأوه قائلًا:

- قلبي.. قلبي هو ما يؤلمني وأنا بعيدٌ عنكِ.

تعلقت عيناها بعينيه الزرقاء اللامعة بعشق، ليقترب منها وهو يُقبلها بعُمق حتى سمع صوت جده:

- بني النعمان أحضر يوناس وأتني في الحال.

ابتعد عنها بصعوبة وهو يزفر بضيق قائلًا:

- لقد بدأت أكره هذه العائلة.

ضحكت إلينا بصوتٍ مرتفع، فطبع قُبلة رقيقة على شفتيها قبل أن يختفي قائلًا:

- لقد اشتقت لأبنائي؛ أريدهم حين أعود.

وصل لقصر جده ليقفُ بثبات أمامه، وهو يجلس على عرشه في منتصف الغرفة، فوجد والده يجلس هناك على مقعده جوار أبيه، ضيق يوناس عينيه متسائلًا:

- كيف سبقتني إلى هنا؟!

نظر له بني النعمان بطرف عينيه وهو يجيبه:

- حين تكبر قليلًا بعد؛ سوف أخبرك.

جلس يوناس على المقعد أمامهم وهو يبتسم، ليصدح صوت الملك بقوة قائلًا:

- اتركا المزاح قبل أن أغضب منكما.

حاول يوناس رسم ملامحه الجدية على وجهه ليبدأ الملك الأبيض حديثه وهو ينظر نحو يوناس:

- أريد أولًا أن أفخر بك يا ولدي على ما فعلته، لقد جعلتني أشعر بالزهو الشديد من أن ابني وحفيدي بهذه القوة والبأس، لقد أصبحنا أقوى مملكة في الممالك السبع بفضلكما.

أنهى جملته وهو يشير لهما، ثم أردف وهو ينظر لبني النعمان قائلًا:

- لقد بعث لي كيبورا أحدًا من خادميه ليُبلغني أنهم يريدون ذهاب يوناس لقبيلتهم، والتعلم على يد كيبورا بذاته.

ضم بني النعمان حاجبيه بدهشة قائلًا:

- هل أنت واثق أنه خادم كيبورا؟!

أجابه الملك بثقة:

- لقد رأيت الوشم على يده.

رمقهم يوناس متسائلًا:

- من هذا الكيبورا الذي من الواضح أنه رجُلٌ هام؟!

تطلع الملك الأبيض لبني النعمان، الذي بدوره نظر نحو ولده ليُجيبه:

- كيبورا هذا نستطيع القول؛ بأنه أعظم ساحر في الجن المُسلم، لقد تعلمتُ على يد أخيه الأكبر، ولكني كنتُ يومًا أتمنى أن يختارني هو، ولكنه لم يختَر تلميذًا له حتى الآن، لذلك أنا بالفعل مندهش من اختياره لك.

وقف يوناس بتباهٍ وهو يقول لهما:

- وأنا سأفكر قليلًا قبل أن أوافق على الذهاب إليه.

اقترب بني النعمان من ولده وهو يضع كفه على كتفه المُصاب ضاغطًا عليه كي يؤلمه وهو يقول:

- لا تغتر؛ فأنت منذ دقائق قليلة كنت تحت قدمي ولم تستطع النهوض حتى أذنت لك أنا بذلك .

تنحنح يوناس بحرج، فاستأذن بني النعمان من أبيه قبل أن يختفي.

ليبتسم الملك من وجه يوناس المكفهر قائلًا:

- اذهب لبيتك وحضر نفسك جيدًا، كي توافيه عند قبيلة الشنفري، وهناك سيأخذك خادمه إليه.

أومأ يوناس برأسه قبل أن يستأذن جده بالخروج من قصره، صوت الملك الأبيض محذرًا:

- لا تجعله يندم على اختيارك.

***

وقفت هند في وسط الصحراء تستنشق الهواء النقي وهي مُغمضة العينين، بينما تقف مويرا وبجوارها بارئ يَقصان عليها ما حدث معهما، وكيف سجنهما بني النعمان، ومحاولة خروجهما المستحيلة حتى استطاعا أن يهدما جزءً من الحجارة كانت كافية لتسللهما منها.

فتحت عينيها وهي تقول لهما:

- أشكركما على مساعدتي، فلولاكما ما استطعت الخروج من هذا المستنقع ولا بعد مئة سنة.

أحنت مويرا رأسها وهي تُمسك يد سيدتها تقبلها قائلة:

- لقد رأينا الموت والعذاب من بعدك يا سيدتي، نحن من نريد أن نشكرك على القرون التي قد عشنا معكِ فيها بغنى ورغد.

سحبت هند يدها من يد مويرا لتحدثهم بقوة اعتادوا عليها:

- الآن يجب علينا التخطيط كي ننتقم ممن فعل بنا هذا، ولن ندع ثغرة واحدة يستطيع بها الوصول إلينا؛ هل تفهمان.

حرك الإثنان رأسهما بقوة وهما يقولان:

- سنفعل كل ما تأمريننا به يا سيدتي، وسوف نكون حذرين هذه المرة.

اشتعلت عينيها الحمراء بغضبٍ وهي تقول:

- سوف نبدأ أولًا بالأرضيين الخونة، وعلى رأسهم ياوي الخسيس.

نظر الإثنان بعضهما لبعضٍ بتوتر، ولكنهما رددا بثقة:

- حسنًا؛ ما الذي علينا فعله الآن؟!

خرجت إلينا للحديقة الكبيرة وهي ما زالت تنادي على ولديها بخوفٍ شديد، فتحت روهان نافذتها الكبيرة المُطلة على الحديقة بعدما سمعت صوت إلينا المرتفع لتسألها:

- هل ما زالتِ تبحثين عنهما؟!

رفعت إلينا رأسها كي تنظر لخالتها لتجيبها:

- نعم يا خالتي؛ لقد اقترب قلبي أن يتوقف بسببهما، فأنا أظل طوال اليوم على هذا الحال، لقد تعبتُ حقًا.

شعرت روهان بالقلق على الأطفال، ولكنها قالت لها:

- هيا اصعدي عندي، سنبعث أحد الخدم كي يبحث عنهما.

أومئت إليها وعادت للقصر ومنها للصعود حتى غرفة خالتها. فتحت لها روهان باب الغرفة بعدما نادت أحد الخدم لتأمره بالبحث عن الطفلين وعدم العودة دونهما. دخلت إلينا بتوتر ظاهرٍ جليًا على ملامح وجهها، لتجلس على الأريكة التي أمامها وهي تقول لها:

- لقد طلبتُ من الخدم أجمع البحث عنهما، وكلًا منهم يأتيني بقولٍ مختلف؛ فأحدهم قال لي أنهم يمرحون في الجانب الغربي، وآخر قال لي أنه رآهم يختبئون في الحديقة الشمالية، وثالثهم أخبرني أنه وجدهم في قصر الملك الأبيض يجلسون معه وسيعودون قريبًا.

ضيقت روهان عينيها وهي تمد لها يدها بفنجانٍ من القهوة، لتجلس جوارها قائلة:

- حسنًا؛ لمَ كل هذا القلق إذًا؟! لقد توقعت أن لا أحد يراهم لذلك انتابتك هذه النوبة من الذعر.

وضعت إلينا فنجانها على المنضدة دون حتى أن تتذوقهُ، لتخبر خالتها بيأس:

- منذ مدة ليست بقصيرة وهما على هذا الحال يا خالتي، لا أراهما سوى بضع دقائق في اليوم بأكمله، وباقي اليوم أظل من هنا لهناك أبحث عنهما.

حركت روهان رأسها باستفهام:

- لا أرى شيئًا يدعوا لهذا القلق يا إلينا، فهم أطفال من الجن هذا طبعهم؛ الاختفاء واللعب طوال الليل والنهار.

نظرت إلينا لخالتها بتيه وهي تقول لها:

- لا؛ الأمر ليس كذلك، أطفالي يخفون شيئًا عني وبالأخص روهان.

اقتربت إلينا منها وهي تقول بخفوت:

- لقد حاول نعمان إخباري بالأمر أكثر من مرة ولكنه يصمُت حين يجد أخته أمامه.

سألتها روهان بتفكُر:

- هل أخبرتِ يوناس بهذا؟!

صكت إلينا أسنانها بغيظ قائلة:

- لم يُصدقني وقال لي..

«أنتِ فقط لا تعرفين طبائع الجن وخاصة الأطفال منهم؛ فالمكر والخداع جزء أصيل فيهم، وهم يحبون ممارسته مع الإنس بشكلٍ لا يُصدق، فلا تهتمي لأمرهما».

رفعت روهان زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تردد:

- يبدو أن ولدي يعرفهم أكثر مني بكثير.

تسألت إلينا بحيرة:

- ماذا تقصدين يا خالتي؟!

حركت روهان رأسها بإهمالٍ قائلة:

- لا تهتمي؛ واسمعي كلام زوجك فهو على حق.

ثم ناولتها فنجانها مرة أخرى وهي تقول لها:

- هيا احتسي قهوتك ودعينا نُفكر في شيءٍ مفيدٍ تفعلينه كي ينصرف تفكيرك على ولديك قليلًا؛ ولا تدورين حولهم طوال يومك دون فائدة.

وفي هذه الأثناء أنهى بليفجور كتابة خطوات تعليمها السيطرة على الشياطين وهو يقول لها:

- أنا أعرف يا صغيرتي أن هذا مستوى صعبٌ عليكِ، ولن تتعلمي هذه الخطوات جميعها في وقتٍ واحد، لذلك سأعلمك أول خطوة وهي اختيار شيطانٍ ضعيف.

ثم أمسك كفيها وأخذها في مكانٍ يعُج بالشياطين، ليشير لها نحو أحدهم قائلًا:

- هل ترين هذا الأحمق الذي يبحث في المزابل عن طعامٍ له؟!

أومأت برأسها وهي تنظر نحوه بتقزز، ليرفع بليفجور يده تجاه هذا الشيطان الضعيف، وبعد بضع حركات كان يصنع له طاولة خرافية من الطعام، ودون تفكير تبع الشيطان الطاولة المتحركة مثل المجذوب حتى توقف بليفجور فوضع الشيطان رأسه في عمق الصحن الموضوع به أحشاء حيوانات بريه. وظل يلتهمها مثل المسعور حتى انتشى جسده وهنا قال لها بليفجور :

- سوف ننتقل للمرحلة الثانية.

أخفى الطعام من أمامه في لمح البصر، حتى ظل الشيطان يشتعل نارًا من الغضب وحين وصل لنقطة معينة أخبرها:

- وهنا أصبحنا في المرحلة الأخيرة

قام بفرقعة إصبعه فتوقف الشيطان عن الحركة، ليبدأ بسرد كلمات متعددة بعضها متشابه وبعضها متضاد، ثم فرقع مرة أخرى لينظر نحو روهان الصغيرة قائلًا:

- وهكذا أستطيع الآن أن اطلب منه ما أريد.

نظرت له الصغيرة بعينين تلمعان بتحدٍ واضح قائلة:

- أرني ذلك.

ابتسم لها برقة أنثى، بينما حدقتيه السوداء تتسع برعب جعله ينظر نحو الشيطان الذي مازال واقفًا ينتظر الأوامر، ليقول له بليفجور:

- قم بقتل نفسك في صمت.

ودون تفكير قام الشيطان بتقطيع جسده بطريقة وحشية دون حتى أن يفتح فمه حتى وقع أرضًا فاشتعل جسده بانفجارٍ شديدٍ للحظة ثم اختفى.

نظرت له الصغيرة بطرف عينيها، ليعيدها إلى قصره قائلًا:

- مؤكد أنك لن تقدري على فعل هذه الخطوات في هذا السن الصغيرة، لذلك ما عليك الآن سوى اختيار الضحية، وإن استطعتِ معرفة رغبته الحقيقية ستكونين حينها تلميذة ليس لكِ مثيل.

ضيقت روهان عينيها بتساؤل قائلة:

- ولكن لم يكن من الصعب معرفة رغبة شيطان يبحث في المزابل عن طعامٍ.

اقترب بوجهه منها قائلًا:

- هذا صحيح، وما فعلته الآن كان مجرد تدريب على مستوى بسيط تستطيعين استيعابه، وهذا الشيطان أيضًا هو نوعٌ ضعيفٌ للغاية.

وقفت روهان أمامه بابتسامة متسلية وهي ترفع يدها مثلما فعل منذ قليل لتقوم بفعل الحركات التي فعلها، ثم قامت بصُنع تجسيد له على شكل أنثى صارخة الجمال، وقف بليفجور ينظر نحو أنثاه بفمٍ مفتوح، لتبتسم روهان وهي تقربها منه بخطواتٍ فجة وجسدٍ عاري، ارتعش بليفجور وهذا المُجسم يقترب منه بفجورٍ سافر، حتى أنها بدأت تتلمس جسده بخبرة جعلته واقفٌ أمامها في ثباتٍ واستمتاع شديد. وعند هذه النقطة أخفتها روهان من أمامه ليبدأ فيً نوبة غضبٍ شديدة جعلته يشتعل بالنار، تركته هكذا بضع ثوانٍ ثم فرقعت بإصبعها لتوقفه مثل الأصنام، ثم رددت التعويذة التي حفظتها من مرة واحدة لتقوم بفرقعة ثانية وهي تقول له:

- أخبرني كيف أقوم بقتلك أنت وباقي أمراء الجحيم السبع.

وبالفعل قام بإخبارها أنه من الشياطين الخالدة، ولا أحد يستطيع قتله حتى قيام الساعة.

فتفكرت قليلًا قبل أن تقول له:

- إذا أخبرني كيف أستطيع معاقبتكم؟!

فأخبرها دون تفكير:

- تستطيعين سجننا بطريقة واحدة وهي..

وقبل أن يُكمل أوقفته حين سمعت صوت والدها، زفرت بضيق وهي تخبط الأرض بقدميها ليتصاعد شعورها بغيظ شديد، لم تجد أمامها سوى فرقعة إصبع قامت بها فعادً بليفجور لوعيه وهو يسألها بغضبٍ كاد يحرقها مما جعلها ترتعب من هيئته:

- ما الذي فعلته بي؟!

لم تجد أمامها وسيلة سوى البكاء بطريقة طفلة فزعة، قبل أن تبتعد عنه سريعًا وهي تقول له:

- أنا لم أفعل شيئًا بك؛ ولن أعود إليك ثانية.

ثم تركته في حيرة شديدة وعادت للقصر كي تُخرج أخيها من محبسه ليدفعها بكلتا يده بقوة وهو يصرخ بها:

- أقسم لكِ يا روهان لو سجنتني هكذا ثانية لسوف أخبر أبي وأمي بفعلتك هذه ولن أصمت ثانية.

ثم اختفى من أمامها وذهب لوالده لتتبعه وهي تركض نحو والدها تحتضنه بقوة كبيرة بعدما رسمت السعادة على وجهها بحرفية شديدة:

- لقد اشتقت إليك كثيرًا يا أبي.

حملها يوناس ليُقبلها في وجنتها ويحتضنها قائلًا:

- وأنا أيضًا كذلك.

ثم انحنى ليحمل نعمان الذي مازال ينظر لأخته بسخطٍ شديد ليسأله يوناس:

- ألم تشتاق لي يا نعمان؟!

أجابه نعمان بنظراتٍ حانيه:

- بلي يا أبي؛ حمد لله على سلامتك.

أنزلهم يوناس من أعلى ذراعه وهو يسألهم:

- أين كنتما؛ لقد أخبرتني أمكما أنها تبحث عنكما منذ ساعات.

أجابت روهان كعادتها:

- لقد كنا في الحديقة الشمالية نلعب هناك لُعبة البحث عن الكَنز، ولم نسمع صوت أمي.

جلس يوناس على ركبتيه أمامها وهو يسألهما:

- هل تُخفيان عني شيء؟!

هزت روهان رأسها وهي تنظر لأخيها نظرة ذات مغزي، ليتبعها قائلًا:

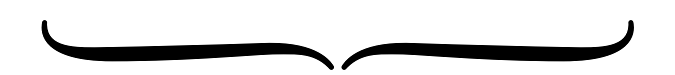
- لا يا أبي لا يوجد هناك شيئًا نخفيه عنك أو عن أمي.

عاد للوقوف مرة أخرى وهو يحذرهما:

- أنتما تسمعان صوت أمكما فلا تكذبا بقولكما لم نسمعها، ومرة ثانية لو أخبرتني أنها قد استدعتكما ولم تجيبا سيكون عقابي أليم.

حرك رأسهما بإيجاب ليتركهما يوناس وهو يقول:

- اذهبا للاعتذار لأمكما وحاولا استرضائها بأي شكل حتى أعود، وإن لم تسامحكما فسيكون هناك عقاب لكما.



الفصل السادس



كانت تجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا بحيرةٍ شديدةٍ وخوفٍ أشد، ليس على أمها ولكن مما قد تفعله بأبيها أو عائلته، لا تعلم حقًا ماهية هذا الشعور بداخلها نحوه، هذا الذي لم تسمع عنه من أمها إلا كل سوء، فهل كذب عليها زوجها حين أخبارها رسالته! لمَ يريد رؤيتها بهذا الإصرار حتى إنه قد يفعل أي شيء لتقابله، ألم تُخبرها أمها أنه يكرهها ويريد قتلها والتخلص منها، هل هذه الكلمات التي أرسلها لها هي مجرد خِداع حتى توافق، ولو وافقت وقابلته فهل سيتركها حيه!

زفرت بضيق وهي تفكر أن لا زوجها ولا والده الحاكم يستطيعان حمايتها منه لو أراد بالفعل أذيتها.

حركت رأسها بعنف وهي تردد:

- لا.. لن أجازف، مؤكد أمي مُحقة بشأنه.

توقفت سارافيم حين سمعت صوت طرق خفيف بين أحجارها المتحركة، ركضت على الفور لترج بعضهم بعضاً بسرعة كبيرة، حتى ظهرت لها المرآة ومن خلفها تقف هند مبتسمة بملامح قوية.

وضعت سارافيم يدها على المرآة وهي تسألها بقلق:

- كيف استطعتِ الخروج والعودة يا أمي؟! لقد قلقتُ عليكِ كثيرًا، هل أنتِ بخير؟!

صاح صوت هند بانفعالٍ واضح وهي تقول لها:

- توقفي عن الحديث، ما هذه البلاهة التي على وجهك.

لاحت نظرة حزنٍ على وجه سارافيم وهي تقول لها بتوتر بان في صوتها:

- أنا .. فقط .. لقد قلقت عليكِ.

نظرت لها هند بغيظ وهي تقول لها:

- لقد عشت معكِ لبضع سنوات، عرفتِ من خلالها هويتك، وقد زوجتكِ من أحد أمراء مملكة من ممالك الأرضيين، أشرس مخلوقات قد خلقها الله على هذه الأرض، وبدأت بتعليمك السحر منذ فترة بعيدة وأنا أتمنى أن تُصبحي مثلي يومًا، مع أنني أعلم جيدًا أنكِ حتى لن تقتربي من جزء صغير مما أقدر عليه، ورغم كل هذا وذاك مازالت مشاعر الإنس تحاوطك في كل اتجاهاتك، وفي كل مهمة أوكلتُكِ بها؛ لم ألقَ سوى الخزي والعار.

شعرت سارافيم بالإحباط الشديد فأحنت رأسها للأسفل، بسبب كلمات أمها المسمومة التي لا تدخر جهدًا ولا تتجاوز حركة واحدة منها، حتى تُسمعها إياها بقسوة تشتد كل مرة عن سابقتها.

ركلت هند المرآة بقدميها وهي تصرخ بها:

- انظرِ لي.

رفعت ابنتها وجهها كي تنظر نحوها وهي تحاول بأقصى ما استطاعت ألا ترى رقرقة عينيها الحبيسة وإلا لن تتركها اليوم بجسدٍ سليم، لقد استطاعت الخروج من سجنها لذلك هي تقدر ببساطة أن تنتقل إليها وتعذبها بدمٍ بارد. أكملت هند بامتعاضٍ:

- اسمعيني جيدًا ونفذي كل حرف مما آمرك به، وإلا أقسم لكِ يا سارافيم أنني لن أتراجع ولو لحظة واحدة عن قتلك بأبشع طريقة لم تخطر على خيالك يومًا.

سيطرت سارافيم على اهتزاز جسدها بخوف، وهي تردد بصوتٍ حاولت إخراجه عاليًا:

- حسنًا يا أمي؛ سأفعل كل ما تأمرينني به.

تغيرت ملامح هند للشراسة وهي تقول لها:

- سوف أبدأ الآن بتلقينك عدة تعاويذ ستستطيعين من خلالها السيطرة على زوجك.

شهقت سارافيم رغمًا عنها بارتياع وهي تردد:

- ماذا؟!

لم تتحمل هند اعتراضها، وفي لحظة واحدة كانت تُخرج من جيبها عدة قطع صغيرة من حجر العقيق المميز،

لتنثرها في الهواء مع بضع كلمات تمتمتها بغيظٍ شديد تحت أنظار ابنتها التي لا تفهم ما الذي تفعله أمها حتى الآن، وقبل أن تُدرك الأمر وجدت أحدًا من خلفها يدفعها بقوة حتى تحطم الحائط من اصطدامها به. صاحت سارافيم بألم فأمسكتها هند من رقبتها وهي تخنقها بقوة قائلة:

- لو كُنت أخطأت في الاحتفاظ بكِ وأنتِ ما زالتِ مُجرد مُضغة في أحشائي، فسوف أُصلح خطئي الآن.

جحظت عينا سارافيم وهي تحاول البحث عن نفسٍ يحفظ حياتها التي تنتهي بيد أمها الآن، ولكنها لم تجد في ظل قبضتها القوية التي ترفع بها جسدها للأعلى حتى إنها استنشقت رائحة احتراق شيء لم يكن سوى أحشائها الذي بدأ في الذي بدأ في الاستسلام للنهاية. وفي هذه اللحظة تركتها هند لتقع أرضًا، بشهقات متتالية تحاول بها التقاط أنفاسها التي اختفت، انحنت هند قليلًا وهي ترفعها بيدٍ واحدة:

- قفي أيتها الضعيفة التي أخجل الآن من نفسي لأن هذه الخرقاء ابنتي.

دفعتها نحو الحائط للمرة الثانية وهي تُكمل:

- دقيقة كاملة لم تدافعي بها عن نفسك ولو مرة واحدة، كدتِ تفقدين حياتك بهذا الخزي والاستسلام.

قامت بالبصق عليها وهي تُردف:

- لقد أضعت سنوات وأيامًا قد ذهبت هباءً منثورًا على فاشلة مثلكِ.

ظلت هند هكذا تنهرها بكل ما استطاعت من قوة، حتى اشتعل جسد سارافيم بغضبٍ كبير، فقامت لتشُد قامتها بمتانة، وفي لحظة واحدة قامت بتسديد ضربة قوية لصدر أمها التي منعها الحائط عن الرجوع للخلف، بينما صرخت سارافيم بها:

- كفى.. اصمتِ.

تمكنت هند من الوقوف بصلابة بعد لحظة واحدة وهي تقول لها:

- أداء ضعيفٌ للغاية، لو لم أكن أحتاجك الآن في انتقامي لكُنت قتلتكِ على الفور، فأنا لا أتشرف أن تنتمي لي ابنة ضعيفة وحمقاء مثلكِ.

لم تترك لها فرصة للرد أو حتى الأسف على حالها، لتبدأ في إلقاء الأوامر عليها:

- ستحفظين تعويذة السيطرة على العماليق، وسوف تستخدمينها على زوجك، وتأمريه أن يسجن أبيه وأخويه الأكبر والأصغر ويقود هو المملكة، وحينها سوف أخبركِ المهمة التالية.

لم تنتظر ردها وعادت لسجنها على الفور قبل أن يقوم الحرس بكشف أمرها حين يُدخلون لها طعام اليوم. سألتها سارافيم بأنفاسٍ متلاحقة من الغضب بينما الألم يأكل جسدها من الداخل وهي تحاول بناء غرفتها كما كانت:

- ولمَ لا تفعلين أنتِ كل هذا؟

أجابتها هند وهي تجلس على أريكتها الكبيرة التي أدخلتها الغرفة منذ قليل:

- أولًا: لأن تعويذة السيطرة تقتضي أن يكون المسيطر عليه متعلقًا قلبه بالمُسيطر وهذا ينطبق على زوجك. ثانيًا: لأن ما ستفعلينه فيما بعد لو فعلته أنا لقتلني بني النعمان بدمٍ بارد دون أن يرف له جُفن، ولكنه لن يستطيع فعل ذلك معكِ.

توقفت سارافيم عما تفعله وهي تقترب من المرآة بقلبٍ يرتعد، هل ما قالته للتو صحيح!

صاحت بها الفتاة:

- لقد كذبتِ عليّ إذًا حين أخبرتني أنه يريد العثور عليّ كي يقتُلني؟!

شعرت هند بالخطأ الذي أوقعت نفسها به، فقامت على الفور لتقف أمام ابنتها محاولةً أن تُنقذ ما أفسدته سريعًا:

- وهل القتل بالنسبة لبني النعمان هو انتقامٌ كافي! ألا ترين أين وضعني منذ سنوات، وهو مستعدٌ ليتركني هنا لقرون كي أتعفن؛ فقط كي يعرف مكانك.

كادت أن تخبرها أنه بالفعل وجدها دون الحاجة إليها، ولكنها تداركت الأمر سريعًا حين سمعت صوت الحرس أمام باب سجن أمها، أغلقت الحائط وهي تائهة وزائغة العينين، بينما تئِن من الألم بصوتٍ مكتوم. ولكن عقلها ظل يتساءل.. ما الذي يجب عليها فعله الآن؟! هل تنفذ ما أمرته بها أمها، أم عليها أن تُقابل أبيها في أسرع وقتٍ لتتأكد من صدق حديث هند؟!

وقف بني النعمان أمامهم في حديقته الكبيرة وهو يضيق عينيه بتركيز، بينما يُخبره بارئ:

- لقد فعلنا ما أمرتنا به يا سيدي، صنعنا لها ثغرة كي تخرج من خلالها، وحين خرجت وجدتنا أمامها.

استمر بني النعمان في النظر إليهما، ليبدأ التوتر البالغ يظهر على ملامحهم الغليظة، فأكملت مويرا برجفة واضحة في صوتها:

- لقد قصصنا عليها كل ما أمرتنا به، وأخبرناها بمكان سجننا ومحاولاتنا العديدة للهروب حتى استطعنا في النهاية.

شعر بني النعمان على الفور بأنها تُطيل الحديث الذي لا يُهمه على الإطلاق، حتى تُخفي ما أمرتهم به هند. اضطربت أجسداهم بقوة وهما يشاهدانه يقف هكذا مثل الأصنام ينظر نحوهما فقط دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة، صمت الإثنان أمامه حتى نطق بارئ:

- هل تأمرنا بشيءٍ آخر يا سيدي.

نطق بني النعمان أخيرًا بحرف واحد:

- لا

ثم اختفى من أمامهما بينما صدح صوته قائلًا:

- اذهب لأخويك فهما يريدان رؤيتك.

نظر بارئ لمويرا قبل أن يبعدها عنه بقوة حتى وقعت أرضًا وهو يقول لها:

- اللعنة عليكِ أيتها الشيطانة، لا أعلم حقًا لمَ أنُصت لكِ، لقد كشف أمرنا وعرف أننا نُخفي عنه شيئًا.

ثم تركها واختفى وهو يقول لها:

- سوف أقابل أخواي وأعود لسيدي لأخبره كل ما حدث مع سيدتك اللعينة مثلكِ.

وصل يوناس القبيلة التي تحاوطها أسوارًا حديديه مدون عليها حروفًا ذهبية اللون تلتف على الأسوار جميعها، اقترب يوناس منها وهو يُدقق النظر بها، رفع يده بفضول نحوها فتحركت الحروف تحت يديه مثل الماء، ضم حاجبيه وعاد خطوة للخلف، ولكنه سمع صوت أحد الجن يقترب من المكان، اختبأ في موضع لا يراه به، فوجده يقف أمام السور وهو ينظر حوله بريبة، ثم قام برفع كفيه متمتمًا بضع كلمات قبل أن يضع يده على الكلمات التي ظلت مكانها ولم تتحرك كما كانت تفعل معه، وفي اللحظة التالية خرجت الكلمات المصفوفة لتلتف حول الجني وكأنها تُصفده كي لا يفر هاربًا، حاول الجني الفكاك منها ولكنه فشل فصاح بصوت قوي لتلتصق الحروف بعضها ببعض والرموز فعلت كذلك لتُصبح مثل السلسال ثم قامت بتقيده وظلت تضيق على جسده ليطلق الجني صرخة أخيرة قبل أن يحترق جسده ويُصبح رمادًا منثورا! عادت الحروف موضعها على الفور، ليظهر يوناس أمام الأسوار مرة أخرى ينظر نحوه بتعجب، كيف استطاع هؤلاء القوم حماية مملكتهم بهذه الطريقة؟! لمعت عيناه بتحدٍ وهو يضع كفه على الكلمات التي تحركت لتتوجه نحوه ملتفه ولكن بطريقة مختلفة عما فعلت مع الجني السابق، وقف يوناس بثبات ليرى ما الذي ستفعله معه، ولكنها ظلت تدور حوله دون أن تفعل شيء،فرفع كفيه ليحركهم في الهواء بشكل دائري فتجمعت الحروف والرموز في قبضته لتتشكل على هيئة كلمات متواترة ومنتظمة،

رددها يونـاس بـهمس لتعود لأماكنها قبل أن تنفتح أمامه البوابات الضخمة التي دخل منها بشموخ ليجد صفًا عريضًا من الجنود يصطفون أمامه،

زفر يوناس بضيق ليجد قبالته جنيٌ ضخم الجُثة يبتسم نحوه قائلًا:

- لقد وُكلتُ باستقبالك من هنا؛ لقد أنرت قبيلتنا.

بادله يوناس ابتسامته بوجهٍ جدّي يُشبه أباه وهو يسأله:

- أين أجدُ كيبورا؟!

ضيق الجني عينيه قائلًا:

- لمَ أنت مُتعجل هكذا، أنت ضيفنا اليوم فدعنا نُحسن ضيافتك أولًا وبعدها سيأخذك خادم سيدي لتقابله.

فكر يوناس قليلًا قبل أن يعترض، ولكنه فضَّل أن يرى هؤلاء القوم عن قُرب أولًا قبل أن يتعلم على يد كبيرٍ منهم. أشار الجني ليونـاس أن يسير خلفه بخطوة واحدة حتى يصل للقصر الذي سيستقبله به، وفي لحظات قليلة كان بداخل القصر الذي وجد به جنيًا آخر يقف لاستقباله قائلًا:

- لقد سعدتُ لرؤيتك أيها القائد، تفضل بالجلوس.

جلس يوناس فاردًا جسده بتباهٍ، ليقف الجني قائلًا:

- أنا (إدريس) القائد الأعلى لقبيلتنا.

اكتفى يوناس بإيماءة مُرحبه، قبل أن يقف إدريس وهو ينحني أمامه ليخبره:

- لحظات قليلة وسيأتي خادم سيدي كيبورا لموافاتك؛ فهو الآن ينتظرك.

اختفى إدريس من أمامه، فوقف يوناس وهو يشعر بالملل ليشاهد المُعلقات الموضوعة في هذا البهو، أقبل على أحد المُعلقات التي لم تكن سوى صفحة عملاقة من النحاس مدّون عليها قصص شعرية بلغة الجن، أحس بوجود أحد يتسلل خلفه، فظل على وقفته حتى اقترب منه هذا المُتسللً لحد لن يستطيع الهرب منه بعدها، ثم استدار سريعًا وقبل أن يختفي كان يقبض يوناس على رقبته لتظهر أمامه فتاة فاتنة بعينين تلمعان باللون الزمردي، وشعرٍ غجريٍ أسود يصل لكاحليها.

ترك رقبتها وعاد خطوة للخلف وهو يسألها:

- من أنتِ؟!

نظراتها الفاتنة الحيية، جعلته يبتلع ريقه بصعوبة، بينما هي ظلت واقفة لتفتح فمها بصوتٍ ساحر:

- أنا اسمي (تيما) ابنة القائد الأعلى، أعتذر منك على ظهوري المفاجئ ولكني كنت أريد رؤية القائد الذي انتصر على الشياطين في معركة دامية دون أن يخسر جنديًا من جنوده.

شعر يوناس بقلبه يهوي مع كل كلمة تنطقها، ليُطن اسمها في أذنيه بطنين مميز جعله يهز رأسه بعنفٍ حتى يقف هذا الطنين، ضيقت عينيها الزمردية باستفهامٍ، فنطق يوناس بصعوبة وهو يفسر ما يفعله بأي حديث قرر أن يظهر على لسانه:

- من الذي أخبركم أنني لم أخسر جنديًا واحد من جنودي؟!

ابتسمت تيما برقة جعلت جسده يشتعل، ثم تحدثت بهذا الصوت الأخاذ الذي يجعل رنين أذنيه يزداد:

- قبيلتنا بأكملها تتحدث عنك منذ عدة أيام.

ظهر إدريس في هذه اللحظة وهو يقول له:

- لقد تعرفت إذًا على ابنتي تيما.

هز يوناس رأسه إيجابًا، ليخلُف إدريس ماردٌ من المرَدة الذي وقف أمام يوناس قائلًا:

- أنا خادم السيد كيبورا، هو يريدك الآن.

وقبل أن يختفي مع المارد رأى ابتسامة تيما نحوه فاهتز جسده إثرَ ابتسامتها الجذابة؛ ليُردد يوناس بداخله:

- اللعنة على هذه الفتاة.

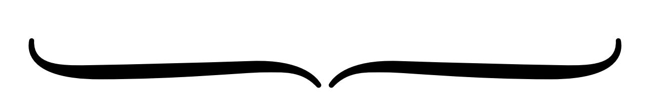
صرخت روهان باسمه، فظهر بني النعمان فزعًا وهو يراها تنحني على ركبتيها أرضًا،

تُمسك بطنها بكلتا يديها وتبكي من الألم وهي تنظر نحوه قائلة:

- اغثني يا نعمان بطني ستنفجر.

ركضت إلينا بذعر حين سمعت صوت خالتها تصرخ هكذا فوجدت بني النعمان يقف تائهًا لثانية واحدة قبل أن يحملها ويختفي بها من الغرفة، ليظهر أمام الحكماء صائحًا بهم:

- انظروا ما الذي يحدث معها.



الفصل السابع

جسدها كان يرتعش بتوتر بالغ وهي تنتظر قدوم زوجها الذي أمرتها أمها أن تُسيطر عليه في الحال، فبعد تفكير عميق لساعات طويلة قررت أن تظل تحت رحمة أمها التي قد عرفتها منذ سنوات؛ بدلًا من أن تواجه أبًا لا تعرف عنه شيئًا سوى غلظته وقوته التي يتباهى بها أمام الجميع،

مؤكد سيكون أسوء من هند في معاملتها، فحتمًا سيقتلها حين يرى ضعفها هذا، فقد كرهت هوِيتها الجنية من كل قلبها، فالكل ينتظر منها القوة والثبات وعدم إظهار المشاعر الإنسانية التي اعتادت على العيش معها، وقفت تدور في الغرفة كعادتها حين تشعر بالخوف أو التوتر، وأفكارها تعصف بها من كل اتجاه، لتتوقف فجأة حين تذكرت أنها قد قابلت زوجة أبيها الإنسية، لقد كانت سيدة لطيفة وجميلة للغاية، هي لم ترَ نظرة أبيها لها لأنها كانت تواليه ظهرها وهربت على الفور حين شعرت بوجوده، ولكنها لا تنسى أبدًا لمعة عين الإنسية حين رأته، ولن تغفل أيضًا عن سماع صوت دقات قلبها المتسارعة التي لم تسمع مثلها من قبل، ولن تُهمل شعورها بارتفاع حرارة الغرفة من حولها حين دخل أبيها وتقابلا سويًا، رغم أنهم يسكنون أبرد بُقعة على وجه الأرض،

لتتسأل سارافيم بداخلها.. «لن تُحب الإنسية رجُلًا يُخالف هويتها كل هذا الحب إلا إن كان بالفعل يستحق امتلاك قلبها» عادت لحيرتها ثانية ليدوي صوت أمها في عقلها عن طريق التخاطر..

«لقد اقترب زوجك من العودة، هيا اعيدي حفظ التعويذة جيدًا، فخطأٌ واحدٌ كفيلٌ بأن يكشف أمرنا أمامه، ووقتها سيعاقبك على محاولة السيطرة عليه ولن يأمن معكِ ثانية، وحينها سنخسر كل شيء»

هكذا تفعل هند كل مرة، لا تترك لها عقلها كي يُفكر حتى بالقليل، فهي تعلم أن ابنتها تعيش في صراع بين كونها عاشت في جسد إنسية لسنوات طويلة، وبين ذاتها التي تنتمي لعالم الجن بقوته ومهارته المتعددة، لذلك هي لا تدع أفكارها تنقاد سوى لأوامرها فقط، عاد وِيْوَن ليجدها واقفة بشرود، فضم حاجبيه متسائلًا:

- ما بكِ يا سارافيم؟!

حركت رأسها نفيًا وهي تُجيبه:

- لا شيء؛ أنا بخير.

اقترب منها وهو يمرر إبهامه أعلى شفتيها مُرددًا:

- لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا..

ضاعت في عينيه وهي تقول له:

- وأنا أيضًا يا وِيْوَن.

تركته يهيم في جسدها عشقًا، لتقترب من أذنه هامسه بتمتمات قد حفظتها رغمًا عنها، لم ينتبه وِيْوَن لما تفعله من حركات بجسدها وكفيها التي تُمسك به حبرًا أسود اللون قد جلبته لها أمها،

كانت تتلمس بضعًا من أجزاء جسده المتعددة وهي ترسم عليها رموزاً مختلفة بينما همهماتها بدأت تعلو شيئًا فشيئًا حتى توقف جسد وِيْوَن فوقها، وهنا توقفت عما تفعله وقد سقطت من عينيها دمعة وهي ترى وجهه الجامد جمود الموتى ينتظر أمرًا واحدًا منها، أمرته بصوتٍ مرتعش:

- ابتعد عني يا وِيْوَن.

اعتدل وهو يفارقها بهدوء دون أن يرف جفنه مثل الرجل الآلي، التقطت شالها من على الفراش جوارها لتضعه على جسدها وهي تخطو نحوه بحزنٍ يشطر قلبها نصفين، مؤكد وِيْوَن لن يسامحها على فعلتها هذه، دنت منه وهي تنظر لعمق عينيه السوداء القاتمة التي تعكس وجهها دون روح،

لم تكن هذه نظرته لها المليئة بالعشق، هي لم تشعر أنها حية منذ أن واجهت هوِيتها الغريبة إلا في أحضانه، لولاه ما استطاعت العيش لحظة واحدة بعد ما عاشته في هذا العالم، رفعت كفها على وجهه تتلمس وجنته الخشنة برقة وصدرها يعلو ويهبط باستياء بينما ملامحها مغتمة من رؤيته جامد هكذا، اقتربت من أذنه لتهمس له ودموع عينيها تأبى أن تتوقف:

- أرجوك يا وِيْوَن سامحني، لقد حاولت الاعتراض وأبيت أن أفعل هذا بك، ولكني لم أستطِع الصمود أمامها.. أنا آسفة.

عادت للخلف لتنهار أعلى فراشها ببكاءٍ مرير حتى بدأت تتمالك نفسها وهي تنظر للساعة الرملية التي أعطتها لها أمها محذرة:

- قبل أن ينتهي الوقت يجب أن تكوني أنهيتِ مهمتك، وإلا أنتِ تعلمين ما سأفعله بكِ.

جففت وجهها جيدًا وارتدت ثيابها كاملة، ثم طلبت منه:

- ارتدِ ثيابك واتبعني لنُخرج أمي من سجنها.

توجهت عيناه نحوها بآلية تامة وهو ينطق قائلًا:

- أمركِ يا سيدتي.

حاولت التحلي بالقوة التي لم تعد تملُكها بعد أن خسرت آخر شخص كانت تعيش معه إنسانيها، لتنطلق نحو مرآتها بينما يقف وِيْوَن خلفها بثبات مثل الحارس الشخصي، لتتهلل أسارير هند وهي تسألها:

- هل تم الأمر؟!

أمت برأسها وعيناها تأبيان الخضوع، بينما يمتلئ صدرها بالغضب والغيظ الشديدين، لتفعل هند طقوسها للخروج من السجن وهي تقف أمام ابنتها بسعادة قائلة:

- ارني ذلك.

ظلت تحدق في أمها التي ما زالت لا تصدق أنها تملك لو قدرًا صغيرًا من القوة مثلها، لتنطق سارافيم بحزم:

- ستذهب مع أمي كي تُسجن أبيك موضعها، وحاول أن تجعل إخوتك يخضعون لك، وإن اعترضا فعليك سجنهم في سجنٍ انفرادي خاص، وسوف تنادي شعبك بأكملهم في الساحة الكبيرة وهناك ستقول أمي لك ما تبلغهم به.

عيناه تعلقت بجسدها الذي يقف أمامه، بينما هي مازالت تواليه ظهرها وتنظر لأمها بتحدٍ حتى قال لها وِيْوَن:

- أمرك يا سيدتي.

وضعت هند كفها على كتف ابنتها مرددة بفخر:

- هذه هي ابنتي التي تمنيتها.

ثم تقدمت وِيْوَن وهي تأمره:

- اتبعني.

ظل واقفًا كما هو، فاستدارت هند له تنظر إليه وإلى ابنتها قائلة لها:

- اذهبي أنتِ كما أمرتك.

لم تُبدِ ردة فعل سوى بضعة كلمات ألقتها قبل أن تختفي:

- طِعْ أمي في كل ما تأمرك به يا وِيْوَن.

أعاد كيبورا ظهره للخلف، بينما ظل يوناس يتفحصه بتدقيق وهو يستمع لحديثه..

غولٌ فريدٌ بلونٍ أبيض، وهذا اللون نادرًا ما يتمثل في الغيلان سوى المميزين منهم، يبدو على نظرات عينيه الطولية الفِطنة والذكاء الشديد، ويبدو أيضًا أنه كما قال له والده مُخالف لكبرائه.

أكمل كيبورا بصوته الأجش المُغاير لأصوات الجن أجمع:

- لقد رأيت والدك مرة واحدة منذ قرنين من الزمن، فتمنيت وقتها أن يكون تلميذي لما فطنت ما بداخله من قوة لم أرَها في فصائل الجن أجمع.

ابتسم يوناس قائلًا:

- لقد أخبرني بذات هذا الحديث.

ابتسم كيبورا نحوه قائلًا:

- كنت أعلم أنه يريدني كما أردته، ولكن أخي قد اختاره من قبلي لذلك تخليت عن رغبتي وانتظرتُ حتى الآن تلميذًا آخر يكون مثله.

ربع يوناس ذراعيه وهو ينظر إليه:

- وبالطبع لم تجد أحدًا مثل أبي؛ سواي..

حرك كيبورا رأسه بإهمال:

- ولا حتى أنت تُشبهه..

أرخى يوناس كلتا ذراعيه بحفيظة وهو يقول له:

- بالفعل أنا أتمنى أن أكون مثل أبي، ولكن في ذات الوقت أريد أن يكون لي أسلوبي الخاص.

أشار كيبورا نحو صدره بحافره الطويل مخاطبًا إياه بضيقٍ:

- بداخلك شهوات تُكبلك يا ولدي، وهذا ضعفٌ لم أرَه من قبل في جنيٍ قويٍ مثلك.

كاد أن يتحدث ولكن كيبورا أوقفه ليُردف:

- بوابات هذه المملكة لا تُفتح سوى لجنيٍ يملُك من القوى والبأس ما يجعلنه جديرًا بأن يخطو قبيلتناً، لذلك حين رأيتك سعدتُ كثيرًا لاختياري لك بعد كل هذه القرون التي قضيتها في انتظار عِفريتٍ مميز، ولكن بالنظر بداخلك قد خاب أملي وأصابني تشتت ولأول مرة أختبر هذا الشعور، لقد توقعت أنني قد حصلتُ على أسطورة تماثُل بني النعمان ولكن للأسف أنت حتى لا تقترب منه.

استاء يوناس من حديثه فوقف بغضبٍ قائلًا:

- إذن؛ أستئذن منك يا سيدي للانصراف الآن.

وقف كيبورا ليدور حوله ببطيء قائلًا:

- ذكائكُ وأخلاقك يبهراني، بالإضافة لأن تحكُمك في غضبك يجعلني أستنتج كيف استطعت قيادة جيوش المسلمين بهذه المهارة، ولكن يظل بداخلك نقطة سوداء لا تُغادر قلبك.

توقف إزائه ليستطرد:

- أنا أعلم جيدًا أن مخالطتك للشياطين قبل سنوات لن تتركَ سويًا بشكلٍ كامل، ورغم سيطرة الخيرِ بداخلك إلا أنه حين تتُاح لك فرصة لاستخدام الشر لن تُفكر ولو لحظة واحدة لاستعمال كل طاقتك لتُرضي غرورك دون النظر لمن أمامك هل هو شيطان أم من جَلدتك.

حديثه هكذا أثقل صدر يوناس ولكنه ظل على وقفته يستمع له بتركيز:

- وهناك خطيئة قاتلة بداخلك ستُمكن منك أحد الأمراء السبع ليجعلك خادمًا له بكل بساطة.

سألها يوناس بتعجب:

- ما هي؟!

أجابه وهو يضع كفه على صدره:

- هنا تتخذ الرغبة موضعًا مناسب لا يُستهان به على الإطلاق،

لتكون رغبتك هي سلاحًا جلل لأعدائك.

ضيق يوناس عينيه باستفهام، ليُتابع كيبورا وهو يعود لمقعده بينما يرفع كفه ليعُد على أصابعه:

- رغبة في علاقات نسائية متعددة.

أوقفه يوناس نافيًا الأمر بصوتٍ مضطرب:

- أنا لم أعاشر سوى زوجتي منذ سنواتٍ طوال.

ابتسم كيبورا بسخرية وهو يقول:

- إرادة الفعل ليست بفعل يا ولدي.

وقبل أن يتحدث ثانية رفع إصبعًا آخر:

- رغبة في السيطرة على كل ما يملكه والدك .

اعترض يوناس بحدة:

- أنا لم أرغب يومًا في شيء يملكه أبي.

اتسعت حدقتي كيبورا بتركيزٍ قائلًا:

- بلى؛ لقد اشتهيت كل ما يملكه، عشقه للإنسية..

فما لبثت إلا أن تخطوا مثل خطواته في امتلاك مثلها، ذكائه وحكمته.. مما جعلك تغتر بما في داخلك لتركض خلف الشياطين هنا وهناك حتى تُثبت لنفسك أنك تستطيع مضاهاته، ولولاه هو ما عدت حتى الآن، وأخيرًا قوته وبأسه.. فقد قمت بقيادة الجيش وأصررتُ على أن لا تتبع خطاه بل عليك أن تكون حديث الممالك أجمعها من مطلع الشمس لمغربها.

جسده بدأ بالاضطراب لما يسمعه، فتبرم بضيقٍ ظاهر وهو يحتج على حديثه:

أنا لم أسعَ يومًا لقيادة الجيوش، وأبي هو من أمرني بذلك حتى دون أن يستشرني، بالإضافة لأنني لن أطمس شعوري بأنني أريد القوة والبأس ولكني كما أخبرتك سابقًا أنا أبحث عن أسلوبي الخاص.

ضم كيبورا كفيه الكبيرين بعضها ببعض وهو يقول له :

- حين تستطيع السيطرة على الرغبة التي تلتهم داخلك، سأستدعيك مرة أخرى، وحينها سأجعل منك أسطورة خاصة بك وحدك وليست تابعة لوالدك.

وقبل أن يختفي يوناس من أمامه أخبره كيبورا:

- عُد كما جئت بنفس الترتيب، وإلا لن تستطيع الخروج من هنا.

امتثل يوناس للأمر وظهر في قصر الحاكم الأعلى فلم يجده هو، ولكنه وجد تيما تقف في استقباله بعينيها الساحرة وصوتها الخلاب تسأله:

- ماذا فعلت مع سيدي؟!

تنهد يوناس بعمق وهو يتذكر كلمات كيبورا التي ألقاها على مسامعه منذ لحظات عن الرغبة التي بداخله، ليحاول السيطرة عليها وهو يجيبها بسؤال آخر:

- كيف علمتِ أنني سأعود إلى هنا؟!

اقتربت خطوة منه وهي تحدثه:

- لأنه لن يمكنك العودة للبوابات إلا بمرورك على نفس الأماكن التي زرتها.

اندهش يوناس من نظام مملكتهم العجيب هذا، ليعاود بسؤال آخر:

- لمَ تفعلون ذلك؟!

ابتسمت برقة وهي تقترب منه خطوة أخرى جعلت قلبه يتسارع من جمالها:

- حتى لا يستطيع أحد الخروج من مملكتنا دون إرادتنا، فنحن من نأذن له بالدخول والخروج أيضًا.

عيناه تشبثت بعينيها بينما أنفه يستغيث من رائحتها المُسكرة حتى اضطربت أنفاسه، ليصدح صوت إلينا وهي تستنجد به فاهتز جسده بإفاقة كالمسحور، ليختفي من أمامها على الفور دون كلمة أخرى.

ظهر أمام إلينا التي وجدها تدور حول نفسها في غرفة أمه ليسألها بقلق:

- ما الذي حدث؟! وأين أمي وأبي؟!

أمسكت كلتا كفيه بارتعاشة واضحة تنُم عن خوفٍ شديد وهي تُخبره:

- لقد سمعتُ خالتي تصرخ بشدة منذ قليل، فركضت إلى هنا فوجدت أبي يقف حائرًا لا يفهم ما بها، ثم حملها وذهب للحكماء، جعلت أحد الخادمات تقوم بنقلي إليها ولكني لم أجدهم في المشفى، فأعادتني إلى هنا لأستدعيك فمؤكد أنت تعرف مكانهما.

عاد شعوره بالرعب على أمه الذي ما لبث أن نسيه، ليقف قليلًا يُفكر بعقل والده، فلم يجد سوى المكان الذي خصصه بني النعماء للصفوة من الحكماء الذين يُصنفون من جميع أنواع الجن وخاصة المائي، كي يعملوا على تجارب طبية قد عرفها من الأرضيين أثناء زياراته المتعددة لهم.

لف ذراعه على خصرها وانتقل بها إلى هناك، كان المكان عبارة عن حديقة كبيرة على مسافة واسعة، يتوسطها مبنى عظيم من دور واحد، خطى يوناس نحو المبني دون أن يترك جسد زوجته التي حاولت أن تُبعد عنها ذراعه حتى تستطيع المشي بشكلٍ سليم، ولكنه سحبها نحوه حتى التصقت به وهو يقول لها: لا تبتعدي عني.

لفت إلينا رأسها نحوه لتنظر له بغرابة، وقبل أن تتحدث كانا يقفان أمام غرفة يصدح صوت صراخ روهان داخلها بشكلٍ متألم للغاية.

فزع يوناس حين سمع صوت أمه، وانتقل للداخل على الفور ليجدها نائمة في فراش معدني وحولها ثلاثة من الحكماء بينما أبيه يجلس خلف ظهرها يحاوط جسدها وهو يقول لها:

- أرجوكِ يا حبيبتي اهدأي قليلًا.

اقترب يوناس منها بوجلٍ بينما انفتحت إلينا في البُكاء وهي تضع كفها على فمها لتكتم شهقاتها المتتالية. نظر يوناس للحكماء الواقفين بعجز لا يفعلون شيئًا، ليقف أمام أبيه قائلًا:

- ما الذي يحدث هنا؟! لمَ يقفون هكذا يا أبي؟!

تأمل نعمان ولده بضعفٍ جعل يوناس يرتبك ليسأله بصوت يرتعدُ خوفًا: ما بها؟!

نطق أحد الحكماء من خلفه مرددًا:

- ليس بها أي شيء يا سيدي.

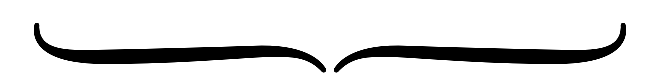
استدار له يوناس بغيظ قائلًا:

- بلى؛ هي تعاني من شيء أنتم لا تعرفونه إلى الآن، وإلا لمَ تصرخ هكذا بألمٍ لا يُحتمل، أمي لم تفعل ذلك في خضم مرضها الذي قد كادت تخسر حياتها بسببه.

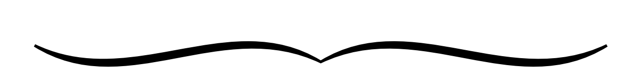
تحدث آخر بأسى:

- للأسف يا سيدي جسد سيدتي روهان ليس به أي علة لا ظاهرة ولا باطنة.

تعالى صوت روهان بصرخات متتالية وهي ما زالت تُمسك بطنها، ليتوتر الجميع بقلقٍ شديد حتى أمسكها بني النعمان بقوة كي لا تؤذي نفسها، فحقنها أحد الحكماء سريعًا بمخدر جعلها تدخل في سباتٍ على الفور.



الفصل الثامن



جالسًا هو في مختبره أمام الأنبوب الذي يحوي الجنين البادئ في التحرك للتو، شعوره بالسعادة طغى على خوفه مما سيحدث في المستقبل بيد هذا الصغير، فبعد بضعة ساعات قليلة سوف تولد هذه الطفرة التي لن تجعلهم يحتاجون لمساعدة السحرة من الجن مرة أخرى، عيناه تعلقت بالأنابيب الطويلة الموصولة بالجنين، ليتوتر ياوي بشدة وهو ينظر نحو الدماء الحمراء التي قد وصلت للحد الأدنى، فهو لن يخرج مكتملًا في أبهى صورة إلا إذا أمده بالقليل بعد..

قرر أن يتحرك الآن كي يجد حلًا مع ابنه وزوجته، لابد أن يأتيه بني النعمان بطفلٍ من الإنس يستطيع مساعدتهم، وإلا سيموت هذا الجنين بعد مخاطرته الكبيرة الذي عقدها على نفسه بين الممالك.. فتح باب المختبر ليخرج منه فوجد وِيْوَن يقف أمامه بثبات، فتهلل وجهه قائلًا:

- لقد كُنت قادم إليك الآن؛ خيرًا فعلت هيا بنا نذهب لزوجتك كي نُقنعها بمقابلة أبيها، فنحن لم يعُد لدينا سوى سويعات قليلة قبل انتهاء الدماء التي تغذيه.

تقدم خطوة للأمام ولكنه وجد ابنه يقف مثل التماثيل الحجريه، التفت ينظر خلفه متسائلًا :

- ما بك يا وِيْوَن؟! لمَ تقف هكذا؛ ألم تسمعني؟!

تفاجأ بصوتٍ من خلفه يحدثه:

- هل جاءك بني النعمان كي يسألك عن ابنته، وأنت أخبرته مكانها!

اختض جسد ياوي من مباغتتها إياه، لينظر نحو ولده بغضبٍ قائلًا:

- كيف استطعت إخراجها من السجن دون أمري؟

دفعته هند بكلتا يديها ليرتد جسده الضخم نحو الأنابيب الزجاجية، فتوقف سريعًا قبل أن تتحطم، ليثور بهياج نحوها وهو يسدد لها ضربة قوية بقبضتيه جعلتها تخرج من غرفة المختبر،

وفي لحظة أخرج ولده بالقوة ثم قام بإغلاق الباب من خلفهم ببصمته الخاصة قبل أن تعود هند للغرفة وتُفسد ما خطط له.. اعتدلت هند في لحظات وضيقت عينيها بشراسة، وقبل أن تُكمل عراكها معه فكرت قليلًا أنها لن تتفوق عليه دون أصابات كبيرة، وهذا لأنها في عالمه الآن وبالطبع هي لن تستطيع الانتقال أو الاختفاء هنا لأنها لا تعرف إلى الآن متاهاتهم الكثيرة في هذا العالم، فتوقفت قائلة:

- هيا يا وِيْوَن قم بالسيطرة على والدك..

لم يُصدق ياوي ما سمعته أذناه، وقبل أن يستدير نحو ولده كان قد أمسكه وِيْوَن بكلتا ذراعيه ليكبله ويمنعه من التحرك، ثبتَ ياوي مكانه وهو ينظر لولده شاخصًا بصره يُنكر ما تراه عيناه،

هل ما يشاهده حقيقي! ولده يعوق تحركه بهذا الشكل المُهين.

لم ينتبه في خضم صدمته، بما تفعله هند من خلفه؛ وهي تُتمتم ببعض التعاويذ التي سوف تجعل جسده في سبات بينما يرى ويشعر بكل ما يحدث أمامه.. وحين انتهت أخبرت وِيْوَن:

- احمله الآن واتبعني.

حمله وِيْوَن أعلى كتفه بسهولة ويُسر، بينما جسد ياوي متراخي بعجز وعيناه تنظران نحو هند التي تخطو أمامهم بهدوء، حتى وصلا لموضع سجنها، أمرت وِيْوَن أن يضعه بالسجن الخاص بها، لتُردف وهي تنظر نحو ياوي بابتسامة ساخرة:

- اتركني معه قليلًا يا وِيْوَن وأذهب أنت كي تجمع قومك بأكملهم في الساحة الكبيرة، فأنا أريد إلقاء كلمة هامة لهم من خلالك..

انصرف وِيْوَن دون أن ينطق بحرف؛ ليفعل ما أمرته به.

اقتربت من جسد ياوي الجالس على أرضية الغرفة بوهن، لتجلس على ركبتيها أمامه وهي تنظر لعينيه القاتمة بثبات:

- لقد بعتني أنا من أجل بني النعمان، أنا التي تعاونت معك لقرون كي تظل مملكتك هي الرائدة بسبب الدماء التي كنتُ أمدك بها .

أنا التي استخدمت سحري لحمايتك أنت ومملكتك من المعتدين، أنا التي زوجت أبنتي لأحد أبنائك كي أضمن ولائك ولكني أخطأت حين أئتمنتُك أيها الغادر الخائن.

اقتربت بوجهها منه وعينيها تزداد قتامة وهي تقول له:

- لذلك ستظل هُنا وحدك كي تعيش خيانة أحب أبنائك إليك، فأنا الآن في قمة سعادتي وأنا أرى الحسرة الكبيرة في نظرتك تلك بعدما رأيت ولدك يكيد بك لأجلي.

انتصبت بجسدها لتخرج من باب الغرفة وهي تستطرد:

- لا تقلق بعد قليل سيعود جسدك كما كان، ولكن دون فائدة فهذا فهذا السجن كما تعلم لا يوجد به ثغرة واحدة تستطيع الهروب منها، لذلك انتظر بني النعمان للأبد حتى يُخرجك من هنا.

أغلقت الباب خلفها، ثم أخفته بواسطة سحرها؛ وانطلقت حين سمعت صوت الأجراس العالية التي تُطلق حين يحدث أمرٌ جلل

فاقت روهان بنفس الصرخات التي جعلت بني النعمان يفقد السيطرة على أعصابه ليهتاج بقوة وهو يدمر الغرفة بغضب شديد، حاوط يوناس جسد إلينا المرتعش، وهي تضع كفيهاً على أذنيها بارتياع لينقلها خارج الغرفة في لمح البصر..

ثم عاد ينظر لأمه ليطمئن عليها فوجدها تصيح بكل ما أوتيت من قوة علها توقف زوجها عما يفعله.. وقف يوناس أمام أبيه الساخط ولأول مرة في حياته يراه يفقد تعُقله بهذا الشكل، رفع كلتا يديه وهو يحدثه بصوت مرتفع كي يسمعه في خضم صراعه الداخلي:

- اهدأ يا أبي أرجوك؛ سوف نجد حلاً، عليك أن تتوقف الآن من أجل أمي.. أتوسل إليك أنت تؤذيها هكذا.

نظر بني النعمان لجسد زوجته التي تنتفض بألم وحزن على حالته، لم يتذكر أنه قد فقد سيطرته على نفسه هكذا سوى بضع مرات قبل أن يلتقيها، لم يستطِع التحُكم فيما يحس به من عجز أمام ما تعانيه الآن، هو لم يعتَد على شعورٍ كهذا من قبل وبالأخص معها.. نظر بعينيه التي تلونت بالأحمر القاني نحو ولده، ليبدأ العودة لطبيعته بأنفاسٍ متلاحقة، أضاء عقله بفكرة لم تخطر على باله سوى في هذه اللحظة، فنادى بصوتٍ مرتفع على الحكماء الذين اختفوا من الغرفة عندما تصاعدت نوبة غضبه. جاءوا على عجل، بينما حاولت روهان أن تكتم صرخاتها حتى لا يهتاج نعمان ثانية فكاد أن يُغشى عليها من الألم، انتقل يوناس جوار أمه ليسحبها على صدره، وهو يضع كفه على رأسها ليتمتم بما تيسر من الآيات والذكر المعروف لتخفيف الألم. حاول بني النعمان العودة لهدوئه وهو يقول لهم:

- لقد فكرت في شيء نستطيع تجريبه كي يُخفف آلامها إلى أن تعرفوا علتها.

سأله أحدهم:

- ما هو هذا الشئ يا سيدي؟!

اختفى من أمامهم وعاد في لحظة واحدة وهو يحمل العُشبة الخاصة بالأرضيين قائلًا:

- هذه.

نظر بعضهم لبعض بريبة، ليعترض السائل:

- نحن لم نجرب العُشبة مع الإنس يا سيدي، ونخشى أن يسوء الأمر عما هو عليه الآن.

ضم نعمان حاجبيه بتفَكُر قائلًا:

- لقد أعطاني قائدهم حبة بيضاء أعطيتها لروهان قبل أن تنزل لعالمهم.

حدثه الحكيم بتخوفٍ:

- كما توقعنا ياسيدي؛ هذه العُشبة لا تصلُح للإنس وبالطبع لا يوجد لديك عينة من الحبة البيضاء.

نظر بني النعمان لروهان التي تإن بخفوت ليلعن نفسه على غضبه الذي جعلها تخاف من أن تُظهر ألمها. ليتقدم أحد الحكماء قائلًا لهُ:

- نستطيع تجربة جزء صغير من العُشبة على عينة من دمائها ولنشاهد ماذا سيحدث.

نظر له بني النعمان قائلًا:

- هيا افعل ذلك في التو.

اختفى باقي الحكماء وظل هو ليأخذ عينة من روهان، فقام يوناس بفرد ذراع والدته التي استسلمت لهم في خضوع حتى انتهى من سحب العينة واختفى من أمامهم، اقترب بني النعمان من ولده الذي يحوى رأس أمه على صدره بكفه، وكفه الآخر يضعه على بطنها ويردد :

- أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما تجد وتُحاذر..

أشار لولده محدثًا إياه:

- أذهب لزوجتك؛ مؤكد ما زالت خائفة مما رأته وأنت تركتها في الخارج منذ وقتٍ ليس بقريب.

أومأ يوناس واختفى على الفور تاركًا جسد أمه الذي ارتخى بين يديه في غفوة ثانية، أسندها نعمان في نفس اللحظة جالسًا جوارها وهو يجهل ما يحدث معها وهذا الشيء يُمزق قلبه دون رحمة، جذبها نحوه حتى التصقت بصدره ليضمها برفق قائلًا:

- أعتذر منك على ما فعلته، ولكنكِ تعرفين أنني أفقد صوابي حين تكونين في خطر.

ثم أبعدها عن صدره هنيهة وهو يحاوط وجهها بكفه، واضعًا رأسها أعلى ذراعه ليُردف:

- لم أشعر بالوهن والضعف وعدم السيطرة هكذا من قبل، كُنت دومًا أعرف ما الذي يجبُ عليَّ فعله، ولكني الآن لا أعرف ما بكِ يا حبيبتي حتى أجد لكِ حلًا كما أفعل على الدوام.

حاجبيها مضمومان بوجعٍ ظاهرٍ على ملامحها، يجعل قلبه يتصدع كلما نظر لوجهها الذي يعتريه الأسى، لتبدأ بأنينٍ ضعيفٍ مرة أخرى، فوضع كفه على بطنها كما كان يفعلً ولدها منذ قليل وبدأ في التسمية سبعًا ثم ردد:

- أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما تجد وتُحاذر.

ارتاحت تعابير وجهها قليلًا، فشعر ببعض الطمأنينة ليجد الحكيم أمامه قائلًا:

- لقد حدث شيءُ عجيبٌ جدًا.

انتبه له نعمان بكل حواسه، ليستمع للحكيم وهو يقول له:

- لقد تفاعلت العُشبة مع الدماء واختلطت به بشكلٍ غريب حتى ظننا أن الدماء سترفضه، ولكنها التحمت به وأصبحت أقوى من ذي قبل بهيئةٍ نراها لأول مرة.

تهلل وجه بني النعمان وهو يقول له :

- هيا اجلب القليل منها لنتخبره على جسدها.

وقف الحكيم حائرًا للحظات، فضيق نعمان عينيه بغرابة، ليستطرد الحكيم:

- لقد راجعت فحوصات سيدتي وشكوتها مرة أخرى، وقد وجدتُ ما هو أعجب من تأثير هذه العُشبة على دمائها.

لاح القلق على وجه بني النعمان، فأسرع الحكيم:

- سيدتي تُعاني من ألم المخاض.

وقفت هند أمام وِيْوَن قبل أن يصعد لمُرتفعٍ حجري كي يُلقي كلمته، قام هو بأمر الجنود أن يقبضوا على أخيه الأكبر ليضعه في سجنهم الخاص بعدما رفض الانصياع إليه، بينما لاذ الصغير بالفرار قبل أن يمسكوا به، لم تهتم هند لم تهتم هند للصغير بقدر اهتمامها بالأكبر منه والذي من المقرر له تولي الحكم بعد والده. ومن خلال اختلاطها بهذا العالم لقرونٍ عدة، تعرف جيدًا قوة باقي الممالك الأربع لو قرروا الهجوم عليها وضم مملكة العماليق لهم، لذلك هي أرسلت ابنتها كي تأتي بحصانها الرابح الذي سيجعلها تتحكم بالجميع. حاوطط بكفيها وجه وِيْوَن المُغيب، لتنظر نحو عينيه الغائرتين في سباتٍ قائلة:

- سوف أخبرك كل ما ستُلقيه على قومك عن طريق التخاطر الذي تُفضلونه، لذلك عليك أن تُنصت لي جيدًا.

لم يُجبها وِيْوَن وحرك رأسه بإيجابٍ فقط، تعجبت للحظات قبل أن تقول له:

- امتثل لأمري.

أجابها بكلماتٍ مُقتضبة:

- أنا لا أنصاع سوى لأوامر سيدتي سارافيم.

ضيقت هند عينيها بغيظٍ قائلة:
- وهي قد أمرتك أن تُطيع أوامري.

أحنى رأسه مرددًا:
- أمر سيدتي سارافيم.

زفرت بضيق وهي تردد:

- لن أُضيع وقتي مع غبي مثلك، هيا اصعد للأعلى وانتبه لكل ما أخبرك به، ولا تنس أن تجعل صوتك جهوريًا حادًا ومُسيطرًا حتى لا تُفسد خططنا.

صعد الدرج لتجعله هند يُشير للجنود كي يزيلوا الحاجز الزجاجي الذي يحول بينه وبين قومه، لتبدأ هند في تلقينه:

- انتبهوا لي أيها العماليق من قومي، أحدثكم أنا وِيْوَن ابن ياوي بعدما قمت باحتجاز والدي الذي عرَّض حياتنا جميعًا للخطر من قبل دون التصدي لهذا العفريت الملعون،

ولم يكتفِ بذلك فقط، بل قام بحراسة مشددة لمساعدته في احتجاز الجنية الساحرة التي كانت تمُدنا بالدماء النقية حتى نستمر في التقدم والازدهار.

عَلت الهمهمات بين الجميع فصاح بهم:
- اهدأوا جميعًا وانصتوا لي..

صمت الجميع ليستطرد وِيْوَن بلسان هند:

- لقد قُمتُ بالمخاطرة من أجلكم، وبعثُ عائلتي حين وجدتهم يقفون عاجزين عن الإتيان بالدماء التي تُحيينا بعد أن نفذ كُل ما نملكه، لقد خارت قواهم وتمكن الضعف والجُبن منهم معارضين قراري بالإفراج عن الساحرة الجنية وإطلاقها كي تنقذنا من الهلاك.

للحظة ساد الهرج والمرج باعتراض على ما فعله وِيْوَن بحاكمهم الذي يحبه ويقدره الجميع، فهو دائمًا يفعل ما يخُص مصلحتهم، وقد استصعبوا تصديق أنه يقصد هلاكهم. وفي هذه الاثناء ظهر الحكام الأربع للممالك الأرضيين، صمت الجميع ليصعدوا جوار وِيْوَن ليتحدث الملك كابيوت بالنيابة عن البقية:

- أنت تعديتُ حدودك يا وِيْوَن، ولا نعرف كيف جرؤت على سجن والدك وأخوَيك والإطاحة بهم مقابل أن تتولى أنت السلطة دون حتى أن تُظهر لنا كيف ستتخطى الأزمة التي سجنت عائلتك لأجلها، لذلك..

أوقفتهم هند وهي تصعد لتقف جواره قائلة:

- وِيْوَن يمتلك ما لم يستطِع والده ولا أنتم أن توفروه للجميع.

ظهرت ملامح الغضب على وجوه الحكام الأربع حين رأوا هند تتدخل في شؤنهم بهذا الشكل السافر، ليتقدم الملك كانهاش قائلًا:

- من سمح لكِ بدخول هذه الساحة والحديث هكذا معنا!

ثم توجهت أنظارهم نحو وِيْوَن ذو الملامح الجامدة، لينطق ملك الرماديون بسخطٍ واضح:

- هل سجنتُ عائلتك من أجل أن تُخرج أم زوجتك؟! الآن لقد اتضحت الصورة، أنت تستغل خطأ والدك في السابق حتى تستميل قلوب وعقول القوم ليَتبَعوك، ولكن هيهات لك يا وِيْوَن.

ليصيح الملك كابيوت بالجنود:

- اقبضوا على هذا المُحتال وابحثوا عن حاكمكم قبل أن تنقلب هذه المملكة لفوضى ولن تتمكنوا من السيطرة عليها.

وقبل أن يقترب الجنود من وِيْوَن، ظهرت سارافيم أمام زوجها لتقول لهم بشراسة:

- لو لم تكن حياتكم ذات قيمة لديكم فتقدموا خطوة أخرى.

ثم نظرت نحو الحُكام بهياج قائلة:

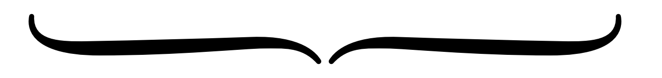
- لقد ضحى وِيْوَن بعائلته لأجلكم، وأنتم الآن تريدون سجنه! اللعنة عليكم جميعًا. امنحوني ساعة واحدة وسوف أثبت لكم أنه لم يفعل ما فعله إلا لأجلكم.

قامت هند في هذه اللحظة بتلقين وِيْوَن سريعًا:

- يا قومي العزيز أنتم تعلمون مدى حبي لعائلتي واخلاصي لهم، ولكني تعلمت وتربيت على أن مصلحتكم فوق كل شيء، لذلك اعدكم انني لن اخذلكم فقط امنحوني فرصة واحدة لأريكم بها ما عندي، وحينها تستطيعون أن تفعلوا بي ما تشاؤون.

نظر الحكام لبعضهم البعض، وقاموا بمشاورة سريعة انتهت بقبول ملك مملكة الرماديون ومملكة الانانوكي منهم الانتظار لساعة واحدة، بينما رفض الملك كابيوت وكنهاش الانصياع له وخيانة صديقهم، ومع انضمام جيش العماليق لحاكمهم الجديد وِيْوَن قرروا الانسحاب وتركهم.

نزل وِيْوَن من أعلى وخلفه هند، ومن حولهم الجنود، بينما اختفت سارافيم من المملكة بأكملها كي تنفذ مهمتها التالية قبل أن تنقضي الساعة.



الفصل التاسع



هـدأت روهـان بـعدمـا اسـتخلص الـحكماء جـزء سـائـل مـن العشبة وصنعوه على هيئة دواء يستطيع جسدها الاستفادة به، ارتخى جسدها الذي عانى لساعاتٍ طويلة بعدما حقنوها به، نظرت نحو بني النعمان الجالس جوراها بشرود قائلة:

- انـقلني لـغرفـتي يـا نـعمان، لـقد سـئمت مـن هـذا المـكان الموحش.

نظر يوناس لوالده بتفكُر بينما أمسكت إلينا يدها قائلة:

- دعينا نظل هنا قليلًا بعد يا خالتي؛ حتى نتأكد من أن هذا الألم لن يعود لكِ ثانية.

حركت روهان رأسها برفض وهي ما زالت تنظر نحو زوجها الذي يتجنب النظر إليها:

- لا.. أريد أن أرحل الآن.

استدار نعمان برأسه ينظر إليها مرددًا:

- حسنا؛ هيا بنا..

نـزلـت روهـان مـن أعـلى الـفراش بـخفة جـعلت إلـينا تـتطلع نحوها بتعجب وكأنها لم تتلوى ألمًا لعدة ساعات حتى فقدوا جميعًا صوابهم. اقترب بني النعمان من زوجته كي يطوقها بذراعًا واحدة ليختفي من الغرفة تاركًا إلينا حائرة لتستدير نحو يوناس متسائلة:

- أنا لم أقتنع بما قاله والدك، خالتي لم تمر بما حدث هذا من قبل، يبدو أن هناك شيئًا لا يريد إخبارنا به مثل عادته.

توهج وجه يوناس بغضبٍ وهو يقول لها:

- أبي لم يكذب في حياته قط، ولن يخشانا كي لا يخبرنا بالحقيقة.

توتر صوت إلينا وهي تقول له:

- أنا لم أقصد لا هذا ولا ذاك، أنا قصدت أنه لا يريد أن يُشعرنا بالقلق عليها.

لم يتحدث يوناس ثانية، واكتفى بأن أحاط خصرها بذراعه كي ينتقل بها للقصر.

أوقفته وهي تُمسك بكفه قبل أن يطرق باب غرفة أمه:

- توقف قليلًا؛ فأنا أريد التحدث معك.

سحب يوناس يده التي تتعلق بها قائلًا بضيق:
- هذا ليس بالوقت المناسب للتحدث في أمورٍ لا تستحق الذكر.

ارتفع صوت إلينا بحنقٍ واضح:

- انتظر هنا؛ كيف تحكم على حديث لم أنطقه بعد؛ أنه تافهٌ ولا يستحق الذكر!

زفر يوناس بضيق وهو يصيح بها:

- لأنني أعرف جيدًا ما ستنطقين به.

كتفت إلينا ذرعيها وهي تقترب منه بعينين يضيقان بسخط:

- حسنًا؛ اخبرني ما كنت سأنطق به يا قارئ أفكاري ومطلع على ما بداخلي.

تجاهلها يوناس وهو يواليها ظهره طارقًا باب غرفة أبيه ليستأذن بالدخول. جحظت عين إلينا وهي تراه يغُض الطرف عنها بهذا الشكل المُهين. خطت نحو غرفة خالتها بعصبية واضحة لتراه يجلس جوار أبيه وأمه التي تقول له:

- لقد أصبحت الآن بحالٍ أفضل حتى مما كنت عليه .

أقبلت إلينا على خالتها فقام يوناس من موضعه موجهًا الحديث لوالده:

- تعال معي يا أبي للخارج، أريد التحدث معك.

خرج نعمان مع ولده وكأنه كان ينتظر خروجه من الغرفة، بينما جلست إلينا جوار خالتها تُقبل جبهتها بحنوٍ وهي تقول لها بملامح حزينة:

- حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي.

ضيقت روهان عينيها بتدقيق وهي تسألها:

- ما بكِ مُستاءة هكذا؟! ما الذي حدث معكما.

وفي هذه اللحظة قد أخذ بني النعمان ولده وانتقل في أقصى مكانٍ يستحيل أن يسمعه فيه أحد، ليبدأ في نوبة غضبٍ أخرى أشد مما واجهها يوناس قبل قليل في المُختبر. ابتعدً يوناس عن والده بمسافة بعيدة، وهو يتطلع نحوه يحرق ويُدمر كل ما يراه أمامه، من شجر وصخر وحتى التلال لم يتركها كما كانت. تركه هكذا بمدة ليست بقصيرة، حتى هدأ جسده فأقبل ليجلس جوار ولده بصمت، فسأله يوناس بقلق:

- هل استرحت الآن؟!

حرك نعمان رأسه نفيًا وهو يقول له:

- لا؛ ولا حتى اقتربت من الراحة.

راقبه يوناس بإهتمامٍ وهو يقول له:

- ما الذي يحدث معك يا أبي؟! أنا لم أشاهدك في مثل هذه الحالة من قبل.

تسارعت أنفاسه وهو يجيبه بوجوم:

- أنا على وشك أن أفقد أمك.

اختض جسد يوناس وهو يسأله بأنفاسٍ تكاد أن تتوقف:

- ما بها أمي؟!

تطلع نعمان نحوه قائلًا:

- لا تقلق ليس بها شيء؛ أنا أتحدث بأمرٍ آخر.

فَهِم يوناس مقصد والده، ليلتقط أنفاسه براحة وهو يقول له:

- أخبرني أولًا ما الذي قاله لك الحكماء.

لمعت عيناه بغضبٍ وهو يقول له:

- هذا من ضمن الأسباب التي أشعلت غضبي.

انكمشت ملامح يوناس بارتباك، ليستطرد بني النعمان:

- أخبروني أن الآلام التي عانت منها أمك هي آلالام المخاض.

ردد يوناس بضجة:

- ماذا؟!

نظر له نعمان بجانب عينه قائلًا:

- شعوري كان أسوء من هذا بكثير.

حرك يوناس كتفيه:

- أنا لا أفهم! هل أمي حملتَ بطفل وأجهِضت وهذا سبب صراخها المستمر؟!

ولكن كيف لم نعلم بذلك الطفل؟!

رفع نعمان رأسه نحو ولده ليرمقه قائلًا:

- هل انتهت اسئلتُك؛ روهان لم تحمل بطفل، ولم يكن في رحمها ولا حتى نطفة، ولكنهم حين وضعوها تحت جهاز كاشف لجسدها الداخلي، وجدوا أن رحمها ينقبض وينبسط وكأنها تلدُ طفلًا لا وجود له.

حاول يوناس أن يتوقف عن الاندهاش مما يسمعه من والده، ليتحدث بمنطق أراد أن يُقنع نفسه به قبل أن يُقنعه هو:

- هل من الممكن أن تكون هذه أعراض طبيعية لإناث الإنس تحدث لهم من آن لآخر؟!

أدام نعمان النظر نحوه للحظات قبل أن يقول له:

- هل تسألني أنا هذا السؤال بجدية؟!

وقبل أن يسترسل يوناس بالحديث، لكمه بني النعمان في صدره فأطاح به ليصطدم بالتلة من خلفه وهو يقول له:

- هذا الحديث لا يصدر من طفلٍ في السادسة من عمره فضلًا عن رجل متزوج منذ سنواتٍ وعنده طفلان.

عاد يوناس يجلس موضعه وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بعدما أصيب في صدره من لكمة والده:

- لقد كُنت أفكر معك في سبب.

اشتعلت عينا بني النعمان وهو يرمقه قائلًا:

- لا تُفكر ثانية بعقلك هذا.

زفر يوناس بضيق وهو يقول له:

- حسنًا؛ هل لديك تفسير لما حدث؟!

زاغت عينا بني النعمان ليجيبه بانفعال:

- غبائك يزيد من غضبي سوءًا.

ثم أردف وقد توغر صدره من هذه المحادثة العقيمة:

- هل لو كنت أعرف السبب كنت سأعرضها للخطر حين فلت مني زمام أمري؟!

وهل لو كنت عرفت السبب بعدها كنت سأجلس معك الآن لنتبادل هذا الحديث الذي أصابني بالسأم؟!

ثم دقق النظر في عيني ولده؛ الذي قال له على الفور:

- أعتذر منك يا أبي، لا تغضب مني وقل لي ما الذي جعلك تحتدم غيظًا منذ قليل غير ما أصاب أمي من شيءٍ لا تعلم له سبب حتى الآن.

أخذ نعمان نفسًا عميقًا وهو يقول له:

- أنا لم أقتل هند لقد سجنتها في مملكة العماليق.

لم يتحمل يوناس الجلوس ووقف ليواجه أباه قائلًا:

- بعد ما فعلته بنا!

رفع نعمان بصره تجاه ولده ليُجيبه:

- لقد أخبرتني أن ابنتي التي كانت تحملها ما زالت حية.

- وهل صدقتها؟!

رددها يوناس وقد اكفهر وجهه، ليخبره أبوه:

- لقد تأكدت من الأمر، وعلمت أيضًا أنها تزوجت وِيْوَن الإبن الأوسط للحاكم ياوي.

اهتز جسد يوناس رغمًا عنه، فجلس سريعًا في موضعه لتتوقف حدقتيه في الجبل أمامه بشرود وهو يقول:

- أنا لدي أخت الآن!

- لم أستطِع إخبار أمكَ، ولو علمت هذا الأمر لن تسامحني طوال عمرها.

التفت يوناس ليثبت نظره على أبيه متسائلًا:

- هل قابلتها؟!

هز نعمان رأسه:

- لا؛ لقد رفضت مقابلتي، فأنا أعلم هند جيدًا، لقد أخبرتها أنني إن قابلتها سأقتلها على الفور.

حرك يوناس كتفه بإهمالٍ قائلًا:

- لم أتعجب؛ فهي تستطيع فعل أكثر من ذلك.

ليستطرد بقلق:
- ما الذي تنوي فعله مع أمي؟!

زم بني النعمان شفتيه قائلًا:
- ليس لدى أي فكرة، أنا أشعر الآن بضعفٍ لا أستطيع تحمله أو حتى مجارته، لم تخرج أموري عن سيطرتي هكذا يومًا، أنا الآن لا أقدر على التكهن في أي شيء لا ردة فِعل أمك ولا حتى إن وافقت سارافيم على مقابلتي فما ينبغي عليّ فعله معها.

لاحت ابتسامة هادئة على وجه يوناس وهو يقول:

- هل اسمها هو سارافيم؟!

نظر بني النعمان لوجهه مشيرًا إليه:

- ما هذه النظرة إذًا؟!

أجابه يوناس ببهجة:

- أنا سعيدٌ لأن لدي أخت، لقد كُنت أحسد ولدي على وجود أخته معه.

ابتسم بني النعمان على سذاجة ولده قائلًا:

- وردة فعلك هذه أيضًا لم أتوقعها.

عاد وجهيهما للجدية سريعًا ليفاجئه بني النعمان بقوله:

- دعك مني الآن؛ فمشكلتي المستعصية ليس لها حلٌ، وأخبرني ما بك.

ضيق يوناس عينيه باستفهام قائلًا:

- ما بي!

أطال نعمان النظر لعينيه دون أن يتحدث، فارتبكت حدقتي يوناس بتوتر وهو يقول له:

- لا تنظر لي هكذا يا أبي.

- هيا بُح لي عما بداخلك.

قالها نعمان وهو ما زال يدقق النظر نحوه، فأخبره يوناس ما حدث معه في قبيلة الشنفري دون أن يقص عليه الجزء الخاص بـ تيما ليُكمل قائلًا:

- وبعد مقابلته أخبرني أنني أضمر داخلي شهواتي التي لا أستطيع السيطرة عليها، وصرفني من المملكة على وعدٍ بلقاءٍ آخر حين أستطيع التحكم في رغباتي.

آثر بني النعمان الصمت قليلًا، ليتعجب يوناس من سكوته هذا متسائلًا:

- ما رأيك بما حدث؟!
أجابه والده وهو يتنهد بقوة:

- حين تُخبرني عما أخفيته عني، سأخبرك لمَ رفضك كيبورا بعدما اختارك بنفسه.

اضطربت عينا يوناس فلاحظها والده على الفور، وقبل أن ينطق يوناس ثانية وقف بني النعمان قائلًا:

- لا تكذب عليّ، فأنا من الممكن أن أتجاوز عن إضمارك لشيءٍ لا تريد إخباري به في الوقت الحالي؛ ولكني أبدًا لن أمرر لك كذبة سوف تخترعها للتو حتى تحجب سرك عني.

وقبل أن يدافع يوناس عن نفسه، سبقهم صراخ إلينا..

عاد الإثنان للقصر بفزع لظنهم أن روهان قد عادت لحالتها السابقة، ولكنهما وجد الإثنتان تقفان برعبٍ واضح وأمامهما نعمان الصغير الذي يقاوم شعوره بالخوف ًالشديد.

ردد بني النعمان بجهير:

- ماذا حدث؟!

استدارت إلينا التي تتساقط دموعها على وجنتيها وهي تقول لهما:

- نعمان يقول لنا أن هناك فتاة غريبة جاءت وأخذت روهان من القصر ولم تعود ثانية.

أدخلتها سارافيم غرفة صغيرة في منزلها وهي تقول لها:

- هذا مسكنكِ الآن؛ لا تتحركي من هنا فلو قمتِ بالاختفاء هنا لتظهري في موضع آخر لن تستطيعي العودة، فهذه الممالك الخمس مثل المتاهات لا يقدر على الولوج فيها سوى الأرضيين فقط.

ابتسمت لها روهان الصغيرة وهي تقول لها:

- لا تقلقي؛ فأنا لن أتحرك من هنا برغبتي، وذلك لأنني أريد معرفة كل شيء عن هذا العالم.

نظرت لها سارافيم بغرابة شديدة، فهذه الفتاة الصغيرة لم تخف ولم يرف لها جفن ولو للحظة واحدة منذ أنت بها إلى هنا، بينما هذه الابتسامة لم تفارق وجهها.

سألتها سارافيم بعجبٍ:

- هل أنتِ شجاعة بالفعل، أم تحاولين طمس خوفك؟!

تعالت ضحكات روهان، فازداد اندهاش سارافيم وهي تستمع لها:

- خوفي! ممن؟! منكِ أنتِ، الفتاة المسكينة التي تقودها أمها في أي اتجاه تريده دون حتى أن تفتح فمها برأيٍ خاص.

جحظت عينا سارافيم، لتقف الصغيرة رافعة رأسها لتواجهها قائلة:

- أم من أمكِ التي تحمل من الحقد والغضب ما يكفي لتدميرها بأسهل الطُرق.

كادت سارافيم أن تفتح فمها، لتستطرد روهان وهي تضع سبابتها على ذقنها بتفكر:

- أم تقصدين خائفة من الأرضيين؟! الكائنات العمالقة المتعطشة لدماء من هم مثلي حتى تستمر سلالتهم قبل أن ينقرضوا بسبب الضوء الذي بدأ بإطاحة عالمهم.

عادت سارافيم للخلف بضعة خطوات بخوفٍ واضح على وجهها، لتشهق روهان ببراءة قائلة: - هل أنتِ خائفة مني الآن!

عبرت سارافيم من باب الغرفة سريعًا وأغلقته خلفها، لتهرول نحو بيت زوجها الجديد الذي يخص الحاكم، وهي ما زالت تستمع لصوت ضحكات روهان التي جعلتها تشعر بضآلتها أمام نفسها.

غادرهم بني النعمان بعدما حذرهم من الظهور خارج القصر، بينما صاح يوناس بجميع الخدم ليبدأ تحقيقه معهم.. تركه والده وأخذ نعمان الصغير معه للحديقة الخارجية وهو يطلب منه:

- اخبرني الآن عن هيئة هذه الفتاة وفي أي مكان ظهرت بالتحديد.

أشار له الصغير على البوابة الداخلية وهو يقول له:

- لقد ظهرت عند هذه البوابة، ونادت روهان فقط وحين أقدمنا عليها انحنت قائلة لها..

« أريدك معي في أمرٍ هام ، ثم أخذتها واختفت».

جلس نعمان على ركبتيه قبالة الصغير، وقبل أن يسأله ثانية أكمل :

- أما عن هيئتها فقد كانت بعينٍ سوداء قاتمة، وبشرتها ليست بيضاء مثل جدتي ولكني أعتقد أنها مثلك.

خمن بني النعمان تخميناً خطير، لذلك حثه على أن يُكمل، فأردف:

- كانت تضع رداءً أسود اللون على جسدها بأكمله حتى رأسها كانت تغطيها بنفس الرداء.

نهض بني النعمان وهو يربط على كتف حفيده قائلًا:

- حسناً؛ أشكرك على مساعدتك يا صغيري، اذهب الآن لأمك وجدتك ولا تغادرهم فأنا سوف أتركك حارس لهم حتى نعود بأختك أنا وأبيك.

وقف نعمان الصغير فاردًا جسده بزهو ليختفي من أمام جده وهو يقول له:

- لا تقلق عليهن يا جدي فهن في حمايتي.

ابتسم بني النعمان رغمًا عنه، ثم تجهم وجهه حين عصفت به أفكاره نحو هند،

فوقف ليُصفي ذهنه وهو مُغمض العينين، ليرفع ذراعيه للأعلى بفعل حركات مختلفة وهو يُتمتم تعويذة التتبع على آثارها، ليتوقف بقلبٍ يؤلمه حين تأكدت ظنونه،

هي ابنته التي اقتحمت قصره وبدلًا من أن تقابله لتُفرغ غضبها به ويتضح لها أمر أمها المُضللة، قررت أن تتبعها وتقوم بخطف إبنة أخيها لأجل هذه الفاسقة. فتح عينيه التي تلونت بالأسود الفاحم وهو يردد:

- لماذا تحاولين بكل ما أوتيتِ من قوة أن تكون نهاية حياتك بيدي يا هند، اخبريني لمَ تفعلين بي ذلك.

ترك ولده الخدم ولحق به أمام البوابة الداخلية وهو يقوله له بصوتٍ يرتجف خوفًا على ابنته:

- يقول الخدم أنهم لم يشاهدوا دخول أحدٍ للقصر، هل تظن أن بارئ أو مويرا لهم يد فيما حدث؟!

حرك نعمان رأسه بإيجابٍ وهو يقول:

- بالتأكيد يعلمون بالأمر.

حاول يوناس الاختفاء وهو يردد:

- سأقتلهم في الحال.

أمسكه نعمان من ذراعه قائلًا:

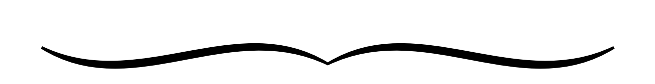
- اهدأ قليلًا؛ أنا لا أريد قتلهم بيدنا كرامة لأخويه، اتركهم الآن ودعهم لي.

ثـم أكمل وهـو يـأخـذ بـيد ولـده مـختفيًا ليظـهرا أمـام بـوابـة العماليق قائلًا:

- لقد عرفت من خطفها وأين هـي تحديدًا.



الفصل العاشر



كانت تسير بخطواتٍ هادئة داخل الغابة ذات الأشجار الكثيفة، لم تملُك حينها سوى الخوف من المجهول وخاصةً في هذا الظلام المُعتم، أتاها صوت بكاء مولود جعل قلبها يرتجف من الألم عليه، لا تعلم لمَ داهمها هذا الشعور بأن هذا الرضيع في خطر ويستنجد بها! استمرت في التحرك ببطء وهي تنظر نحو موضع قدميها اللذين يَخلفان صوت حفيف أوراقِ الشجر المتساقطة، فحاولت تخفيف ضغط خُطاها قليلًا حتى لا يسمعها وحوش الغابة التي لا تعرف حقًا من الذي دفعها للسير فيها في هذا الوقت الغريب، وعلام تبحث الآن.. توقفت لتُغمض عينيها بقوة بينما صوت الرضيع يعود أقوى من ذي قبل؛ لتردد بهدوء حاولت التحلي به وسط ضوضاء عاطفتها التائهة:

- الأمان.. نعم أنا هنا أبحث عن الأمان.

فتحت عينيها لتجد أمامها مجموعة كاملة من الضِباع اللذين أخذ كلُ منهم موضعه بحذر ليلتفوا حولها على شكل دائري، ضيقت عينيها وهي تنظر لحدقاتهم الحمراء بتدقيق لتتذكر هؤلاء الضباع جيدًا، هذا بالفعل حُلمُها القديم الذي مرّ عليه عشرات الأعوام،

ولكنها تتذكره جيدًا وبكل تفاصيله حتى ولو مرّ عليه ألف عام. وقفت بهدوء وهي تتوقع القادم، أسدٌ كبيرٌ بحجم بيت ضخم، يأتي ليقف أمامها بشراسة، ثم يركض نحو الضباعَ جميعها، يمزق من تطوله أنيابه منهم، ليهرب البقية مذعورين، ثم يعود هو إليها،

ينظر إليها بعينيه الرمادية اللامعة، التي تشعر نحوها بالضعف التام، وكأنه يسيطر على قلبها الهادر بداخلها، ثم يختفي في غمضة عين! وحين تستيقظ وتمارس حياتها العادية، تجد أن الجن المؤذي حولها قد اختفى كليًا، ولم يتبق سوى أصدقائها المقربين من العالم الآخر.. توقف عقلها عن التذكر لتعود مع اقتراب أحد الضباع منها، وهي تردد:

- لمَ أنا هنا الآن؟! لقد أصبحتُ فردًا منهم!

وقبل أنا يبدأ قلبها بالخفقان المرتعب، ظهر (عِفِرِّين) كما أخبرها أسمه من قبل، وبصوته الرنان الهامس الذي جعلها تتأثر بشدة من نبرته حين استيقظت حتى ظل طَنينه يرافقها طول اليوم..

وكما يفعل كل مرة، أمسك بالضباع بين أنيابه ليمزق جميعهم هذه المرة، فهو لم يترك فردًا منهم يهرُب كما في السابق. حين اقتحم بني النعمان حياتها، ظنته هو للوهلة الأولى، ولكنه حين تحدث إليها علمت وقتها أنه ليس عِفِرِّين، فصوته المميز كان يأسر قلبها كل مرة حين يقول لها..

«أنتِ في أمان الآن» ولكنه اختفى حين ظهر بني النعمان ولم ترَه من حينها، انتهى من بعثرة أحشاء الضباع جميعهم، ثم بحركة واحدة تمثل إليها بجسد رجُلٍ جميل الهيئة طويل الشعر، عيناه رمادية تخطف الأنفاس؛ لتراه لأول مرة في حياتها،

يمسك بيده عصا خشبية في قمتها رأس أسد ذهبي اللون.. هذا العِفِرِّين بهيئته هذا أجمل جني رأته في حياتها حتى الآن.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وقد توردت وجنتيها بقوة إثر ابتسامته الرقيقة وهو يقول لها بصوته الأخاذ:

- هل تتذكرينني يا روهان؟!

لم تستطعْ فتح فمها من تأثير صوته عليها، واكتفت بإيماءة رقيقة يعقُبها ابتسامة هادئة شجعته ليمد لها ذراعه كي تضع كفها فوق معصمه المُغطى بأسورة جلدية عريضة، بها تموجات ذهبية تسرق الأنظار. وضعت كفها أعلى الأسورة كي لا تمس يده، لتجده ينقلها لقصرٍ كبير لا يشبه أحد قصور الحكماء الذين تعرفهم، فألحَّ سؤالٌ على عقلها لتنطق به في الحال:

- هل أنت جني مسلم؟!

وقف أمامها بشموخٍ يليق به، ليُجيب بتعجبٍ بان على حدقتيه الرمادية اللامعة:

- أتعتقدين غير هذا؟!

اتبعت أنفاسها بسؤالٍ آخر لم تتحمل كتمانه بين طيات فكيها:

- لمَ اختفيت حين ظهر بني النعمان؟!

اقترب منها خطوة واحدة محافظًا على المسافة بينهما، لتهتز ملامح وجهه الجميلة بتوتر شعرت به على الفور وهو يقول لها:

- كان يكفي أحدنا لحمايتك.

ضمت حاجبيها بدهشة وهي تقول له:

- هل كنت الحارث الأول الذي أخبرني عنه نعمان، ليحميني في غيابه؟!

رفع زاوية فمه بابتسامةٍ متواضعةٍ وهو يقول لها:

- لقد قُتل هذا الحارث بعد تواليه حمايتك بعدة أسابيع.

شهقت روهان بخفوت وهي متفاجأة، لتعاود سؤاله:

- إذًا من أنت؟!

التفت حولها وهو يدق بعصاه الأرض حتى شعرت باهتزازها من دقته، ليقف أمامها ثانيةً وهو يقول لها:

- إجابة هذا السؤال ليست مهمة بقدر معرفتك ما الذي جعلني بعد كل تلك السنوات أعود إليكِ الآن.

شعرت بالحرج من اهتمامها الزائد بمعرفة كل شيء عنه النابع من شعورها الغريب به، فهي لم تنجرف بعواطفها هكذا مع أحدٍ سوى بني النعمان.

لذا تنحنحت بحذر وهي تقول له:

- حسنًا؛ لمَ ظهرت لي بهيئتك الحقيقية بعد كل تلك السنوات؟!

رفع عصاه وحركها بشكلٍ دائري حركة خفيفة، بَدر عنها مقعدين أثيرين، ليشير نحو الذي خلفها قائلًا:

- تفضلي بالجلوس أولًا.

جلست ليتبعها هو وقد بدأ صوته الرخيم المُغلف بنبرة ساحرة يُشعرها بالضيق الشديد لكونها ستتحمل منهُ محادثة كاملة، في حين أنها من قبل لم تتحمل نطقه لاسمه فقط بكلمةٍ واحدة؛ ليطاردها صوته هذا لأيامٍ قبل أن تحاول نسيانه وإخراجه من عقلها.. وفي خِضم نظرات عينيها التائهة والمسحورة من نبرته، طرق الأرض بعصاه؛ لتفيق بهزةٍ منه يتبعها صوته الذي حاول أن يجعله رخيمٌ بشكلٍ أقوى:

- روهان، هل سمعتِ ما قُلته للتو؟!

هزت رأسها على استحياء، ليتنحنح هو بقوة قبل أن يعيد ما قاله ثانية:

- كُنت أخبرك أنكِ الآن في خطرٍ لن يستطيع بني النعمان حمايتك منه، لذلك كان يجب عليّ العودة إليكِ..

ضيقت عينيها وهي تتسأل بقلقٍ بان على وجهها المتعرق:

- هل تقصد أن روهان الصغيرة في خطر، وأن نعمان وولدي لن يستطيعوا إنقاذها؟!

لمعت عيناها وهو مازال يحافظ على المسافة بينهما لتتوتر نبرته الساحرة بشكلٍ ملحوظ وهو يقول لها:

- روهان الصغيرة لا تحتاج لإنقاذ أحد وأنتِ تعلمين ذلك جيدًا.

اقترب خطوة ثانية ليزداد تأثر صوته وهو يهمس لها:

- أنا لا أهتم بأحدٍ غيرك يا روهان..

وقفت سارافيم أمام أمها التي تجلس على عرش الملك ياوي بقوةٍ وهيبة رغم خوفها وكرهها لها إلا أنها في داخلها كانت تتمنى أن تنال ولو القليل من هذه الخِصل، ترفع هند كلتا قدميها عن الأرض بينما تستند برأسها للخلف وهي مُغمضة العينين،

وفي خِضم توتر سارافيم وتأملها لأمها، حدثتها هند بضجر:

- لمَ تقفين هكذا منذ دقائق دون أن تفتحي فمك..

وبحركةٍ سريعة وقفت هند أمامها وهي تقول لها:

- ماذا فعلتِ مع بنت الإنسية؟!

لم تستطِع سارافيم الإجابة لأنها بالطبع سوف تسمع وصلة توبيخ حادة منها، فأبدلت إجابتها بسؤال:

- أين وِيْوَن؟!

لمعت عينيها باللون الأحمر وهي تسألها بهدوءٍ يسبق العاصفة:

- ماذا تريدين منه؟!

ابتلعت سارافيم ريقها بصعوبة وهي تُجيبها بصوتٍ مضطرب:

- أريد أن أطمئن عليه.

دققت هند النظر في عين ابنتها وهي تضغط على حروفها:

- هل جهزتِ ابنة الإنسية حتى نصعد بها أمام الشعب وباقي ملوك الممالك الأرضية.

ثم بحوافرها الطويلة أمسكت فكها بقوةٍ لتُكمل بغضبٍ مكتوم:

- أم أن هذا العقل لا يُفكر سوى بشهواته وضعفه فقط.

تركت فكها وهي تدفعها مرددة:

- لقد تبقى القليل من الوقت حتى نجتمع بهم، اذهبي الآن لتحضير الفتاة واجلبيها للأعلى.

وقبل أن تتركها هند وترحل من الغرفة، أوقفتها سارافيم وهي تشعر بألمٍ داخلها من معاملة أمها لها:

- يجب أن تقابلي هذه الفتاة أولًا، فهي ليست مثلي.

ثم تركتها دون كلمةٍ أخرى واختفت من المكان، خرجت هند عبر الباب الكبير وهي تلعن هذا المكان كما فعل بني النعمان من قبل، فالجن هنا لا يستطيع التنقل كما يفعل بالأعلى، ولكن ابنتها تستطيع فعل ذلك لأنها تحفظ هذه الممرات عن ظهر قلب. وصلت لغرفة الفتاة لتدخلها فجأة، فوجدت روهان تحلق أسفل سقف الغرفة، مستوية على ظهرها مغمضة العينين، تضع كلا كفيها الصغيرين أسفل عنقها. تأملت هند جسدها بتعجب، لتقف شامخة وبصوتٍ غليظ قالت لها:

- انزلي في الحال.

فتحت روهان عينيها، ثم احنت رأسها تنظر لهند وهي ما زالت على وضعها في هذا الارتفاع الشاهق، ثم قالت لها:

- من أنتِ؟! وأين هي الفتاة الخرقاء التي أحضرتني إلى هنا؟!

ضمت هند حاجبيها لجرأة هذه الصغيرة وقوة ملاحظاتها، لقد عرفت أن ابنتها تتسم بالجُبن من أول لحظة قابلتها فيها. لم تُغير هند لهجتها الصارمة وهي تأمرها:

- لقد قُلت لكِ انزلي في الحال، لا تختبري صبري يا صغيرة فأنا لا أملك منه سوى الفُتات.

في لحظة وقفت روهان أمامها فلم تتخط طول ركبتيها، ولكنها وقفت بثباتٍ أمامها وهي ترفع زاوية فمها بابتسامة؛ ليتغير لون عينيها للأسود القاتم وهي تقول لها:

- أنا أتذكرك جيدًا، لقد اقتحمت قصرنا من قبل، وقُمتِ بحبسنا في كهفٍ داخل المحيط بمساعدة منسا بنت مركومَ، أليس كذلك ؟!

جلست هند على ركبتيها كي تنظر إليها جيدًا، لون عينيها الذي يتغيير مثل جدها وأبيها، ابتسامتها التي أخذتها من بني النعمان بكل تفاصيلها، وكل هذا في كفة ونبرة التعالي المُغلفة بالانتقام التي تتحدث بها في كفةٍ أخرى،

لقد أبهرتها هذه الطفلة حقًا، لذلك قررت هند أن تتحدها لترى قوة هذه الفتاة التي أعجبت بها منذ دخولها للغرفة، فهي تحمل كَمًا من الطاقة لم ترَه من قبل لا على إنسي ولا جني. أجابتها هند بنظرة تحد يليها صوتٌ قوي:

- نعم؛ أنا من فعلت بكم هذا.

لم تتلاشَ ابتسامة روهان وهي تقول لها:

- لقد علمتُ أن جدي لم يقتلك، وأنا أعلم أن لديه سببٌ قويٌ كي لا يفعل ذلك بعدما دمرتِ قصرنا.

دققت هند النظر لعين الفتاة وهي تسألها:

- وهل جدتك تعلم أيضًا أنه لم يقتلني؟!

اقتربت روهان من وجه هند وهي تهمس لها:

- جدتي لا تعلم بوجودك على وجه الأرض نهائيًا.

صكت هند أسنانها بغيظ، ولكنها حاولت التمسك أمام الطفلة الصغيرة في نظرها، لتقول لها:

- وهل تعلمين سبب ذلك؟!

هزت روهان رأسها بإيجابٍ وهي تبتعد عنها لتجلس على مقعد خلفها قائلة ببراءةٍ لا تلِيق بها:

- جدي يعشق الإنسية كما تسمينها، لدرجة أنه لا يجرؤ على إخبارها بوجودك حتى لا يخسر ولو ليلة واحدة تغضب عليه فيها.

اشتعل جسد هند من الغضب، فوضعت الصغيرة قدمها على الأخرى وهي تقول لها:

- هل ستأخذيني في جولة كي أكتشف هذا العالم، أم ستتركيني وتهربي مذعورة مثل ابنتك البلهاء؟!

وقفت هند بتباهٍ وهي تقول لها:

- هل تعلمين أن الفتاة التي تنعتيها بالبلهاء هي عمتك؟!

رفعت روهان حاجبيها لتتصنع الدهشة للحظة واحدة، ثم قالت لها:

- لقد اندهشت حقًا مما قلته، ولكن كما يُقال لي، عش أبدًا ترى عجبًا.

اقتربت هند منها وهي لا تستطيع إخفاء إعجابها الذي يزداد كلما طال حديثهما، ثم أحنت رأسها قليلًا لتنظر إليها وهي تسألها:

- هل تعلمين لمَ جعلت ابنتي تختطفك من قصرك وتأتي بكِ إلى هنا؟!

انفجرت روهان في الضحك، مما أثار حيرة هند، وظلت هكذا لثوانٍ لتتوقف وهي تقول لها:

- هل تظنين أن فتاتك الخرقاء..

توقفت وهي تضع كفها الصغير على فمها بشهقةٍ خفيفة وهي تقول:

- أقصد عمتي الخرقاء اختطفتني!

نظرت روهان لعين هند التي تلمع بلون الدم لتُردف:

- مسكينةٌ أنتِ وابنتك.

ثم وقفت لترفع ذراعيها تشير بهم نحو الغرفة:

أنا تركتها تأخذني حتى آتي إلى هنا كي أكتشف هذا العالم، فلم أسمع عنه سوى القليل وأعلم جيدًا مدى تقدمهم العلمي وأنا شغوفة جدًا بالتعلم.

ضيقت هند عينيها وهي تسألها:

- ومن أين عرفتِ أنها ستأتي بكِ إلى الأرضيين؟!

اقتربت روهان من أذن هند قائلة:

- من السهل جدًا معرفة أي شيء أحتاجه، وخاصة عندما يكون عقل من أمامي وقلبه ضعيفًا مثل ابنتك.

١٦٦

أعادت هند رأسها للخلف وهي تتطلع إلى وجهها متسائلة:

- حسنًا إذًا، فأنتِ تعرفين الآن ما الذي سأفعله بكِ.

قربت روهان وجهها من هند وهي تقتحم حدقتيها قائلة:

- هل تعترفين الآن أنكِ تملكين عقلًا وقلبًا ضعيفًا مثل ابنتك؟!

اهتزت حدقتي هند، لتبتسم روهان بخُبث وهي تقول لها:

- أنا أرى أن عشقك لجدي يُضعفك كثيرًا.

أخفضت صوتها بهمسٍ قاتل وهي تُردف:

- نصيحة مني لا تجعلي أحدهم يمتلك قلبك بعشقٍ كهذا، ولا تسمحي أيضًا لشعورك بالانتقام منه أن يمتلك عقلك هكذا، لأنك حينها ستقعين أسيرة له في النهاية ووقتها لن تنهضي مرة أخرى.

وقفت هند سريعًا وكأن عقرب لدغها، هذه الفتاة خطر عليهم جميعًا وعليها بالأخص.

انطلقت خارج الغرفة على عجل وهي تقول لها بصوتٍ حاولت إخراجه قويًا:

- بعد قليل ستعرفين ما سأفعله بكِ.

ارتفعت روهان بجسدها لتحلق أسفل السقف ثانيةً مغمضة العينين وهي تردد بخفوت:

- لقد أحببت هذا اللعبة حقًا.

لم يصعد أحد الحرس إلى نعمان ويوناس الواقفان منذ دقائق ينتظران أن يخرج عليهم أحد، لذلك تقدم نعمان أمام ولده وهو يقول له:

- اتبعني.

وانطلق نحو الكهف الذي قابل ياوي فيه من قبل، وكما توقع لم يجد به أحد، ظل يلتف حوله وداخله ليجد أي مدخل غير الذي دلف منه للتو، ولكنه لم يجد ولو ثغرة واحدة يستطيع بها ولوج مملكة العماليق.

جلس على المقعد الموضوع حول الطاولة الكبيرة، وجلس يوناس وهو يسأله:

- ما الذي سنفعله الآن.

وفي هذه اللحظة سمع بني النعمان صوتًا خفيفًا وكأنه كائنٌ يحفر في جدران الكهف، رفع كفه أمام ولده مشيرًا إليه ليستمر في الحديث، أكمل يوناس حديثه:

- لم نجد إلى الآن أي مدخل نستطيع منه الولوج، ولم نجد حتى أحد الحراس عند البوابة الكبيرة، يا ترى ما الذي يحدث الآن في هذه المملكة.

وفي أثناء حديث يوناس، تتبع بني النعمان صوت الحفيف حتى وجد أحد العماليق يتسلل للخارج، فامسكة نعمان في آخر لحظة قبل أن يهرُب.. حاول الشاب التملص منه ولكن يوناس حاوطه من اتجاهٍ آخر، ليطمئنه بني النعمان وهو يرفع كلتا ذراعيه بقوله :

- لا تخف؛ نحن هنا لنعرف ما الذي يجري بالأسفل، أعدك لن نؤذيك.

أومأ الشاب برأسه وهو يقول له:

- أنت الجني الذي هاجمتنا منذ سنوات، أليس كذلك؟!

ابتسم له بني النعمان قائلًا:

- لقد وطدت علاقتي بالملك بعدها لا تقلق.

هز الشاب رأسه إيجابًا وهو يقول له:

- نعم لقد أخبرنا أبي.

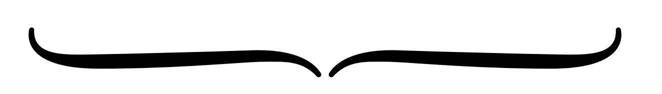
نظر يوناس لنعمان الذي ضم حاجبيه وهو يسأله:

- هل أنت ابن الحاكم ياوي؟!

نظر له يَاتْ بحزنٍ ظهر جليًا على وجهه:

- نعم أنا يَاتْ ولده الأصغر، ولقد استطعت الهروب من المملكة بأعجوبة قبل أن يسجنني وِيْوَن مع أخي الأكبر لكي يستولي على الحكم بمفرده، هو وزوجته الملعونة وأمها التي هربت من سجنك.

تبدل لون عيني بني النعمان في نفس اللحظة التي تبدلت بها عينا يوناس ليحتل الظلام نظراتهم بغضبٍ شديد استطاع يَاتْ الاحساس به على الفور، ولكنه لم يشعر بما يدور في عقل بني النعمان الذي يعرف جيدًا خروج هند من السجن، ولكنه ظن أنها سوف تخرج من مملكة العماليق لتنتقم منه، لم يتوقع أبدًا ما خططت لفعله بهم، لذلك قرر في هذه اللحظة أن تكون نهاية بارئ وموبرا على يده هو ولن يتركها هي تقتلهم كما خطط من قبل.



الفصل الحادي عشر

من نومها على صوت بكاء إلينا الذي لم ينقطع منذ ساعات؛ لحزنها على ابنتها التي لا تعلم من اختطفها وماذا يريدون منها، جلست روهان تسند رأسها للخلف وهي تنظر لسقف غرفتها بشرود، بينما نبضات قلبها مازالت مضطربة منذ لقائها بعِفِرِّين، مازالت كلماته تتردد في أذنها بصوته الهامس المؤثر لجميع خلاياها وهو يقول لها.. «أنا لا أهتم بأحد غيرك يا روهان»

تكره الاعتراف بتأثرها به حتى بعد مرور تلك السنوات؛ لذا زفرت بضيق وقامت من فراشها وهي تتحدث إلى إلينا بصوتٍ مُنهَك:

- أريحي قلبكِ قليلًا يا إلينا وثقي في زوجي وولده فإنهما لن يعودا إلا بها.

رفعت إلينا رأسها وهي تنظر نحو خالتها ثم ضيقت عينيها وهي تراها تذهب لدورة المياه بهدوء يظهر جليًا على جسدها، جففت دموعها بجانب كفها وظلت تتابعها حتى اغلقت روهان الباب خلفها!

تملكت الدهشة من إلينا فقد كانت خالتها متوترة بشكلٍ كبير قبل أن تغط في النوم فجأة، حتى ظنت أنها سوف تُصاب بمكروه من حزنها على روهان الصغيرة، ولكنها الآن بعد أن استيقظت متبدلة كليًا.. سألت إلينا بخفوت:

- ما الذي رأته يا تُرى؟!

وحين أنهت سؤالها وجدت ولدها الصغير يقف أمامها هامسًا:

- كنت أريد أن أخبرك سرًا يا أمي.

انتبهت له إلينا لتحضتنه بقوة وتعيد البكاء على ابنتها مرة أخرى، ابتعد عنها الصغير وهو يجفف دموعها برقة ويقول لها بخفوت:

- لا تقلقي على روهان فهي تستطيع حماية نفسها جيدًا.

نظرت له إلينا بدهشة وهي تسأله:

- ما الذي تعرفه عن أختك لتقول ذلك؟!

اقترب من أذنها ثانيةً وهو يخبرها بهمس:

- لقد ذهبت مع الفتاة بإرادتها يا أمي.

شهقت إلينا بخفة، لتجد نعمان الصغير اختفى من أمامها في الحال. وقفت تناديه بصوتٍ مرتفع في اللحظة التي خرجت فيها روهان من دورة المياه وهي تلف مأزرها حول جسدها العاري وتتحدث إلى إلينا بضيق:

- اهدئي قليلًا يا إلينا فأنتِ أصبحتِ تسببين إزعاجًا كبيرًا منذ البارحة، اقترح عليك أن تأخذي فترة من الراحة في غرفتك وتحاولي النوم ولو لوقتٍ قصير.

رفعت إلينا حاجبيها بحيرة من تصرف خالتها الغريب، فاقتربت منها روهان وهي تربت على كتفها برقةٍ قائلة:

- لقد شعرت بما تشعرين به عندما تركني يوناس وذهب للشياطين، ولكنني تركته ليتعلم ويختار طريقه الصحيح بكامل إرادته.

تعالت أنفاس إلينا بضيق وهي تقول:

- لقد قلتِ إنه ذهب بإرادته، لم يُختطف مثل ابنتي غير أنه كان شابًا كبيرًا وواعيًا.

اقتربت روهان منها خطوة وهي تقرب وجهها منها قائلة:

- ألم يخبرك ولدك منذ لحظات أنها ذهبت بإرادتها؟!

تعجبت إلينا أنها سمعته رغم أنه كان يهمس لها، ولكنها أردفت:

- ابنتي ما زالت طفلة يا خالتي.

رفعت روهان زاوية فمها بابتسامةٍ عبثيةٍ وهي تقول لها:

- لا يوجد طفل في هذا المنزل غيرك يا إلينا، لا تقلقي عليها فهي تستطيع تدبير أمرها جيدًا حتى يصل إليها جدها وأبيها.

ثم تركتها تقف في منتصف الغرفة بذهول مما سمعته، لتبدأ روهان في تجفيف شعرها بالمنشفة وهي تقول لها:

- اذهبي لغرفتك الآن وحاولي أن تنالِي قسطًا من الراحة حتى تعود ابنتك.

خرجت إلينا من الغرفة بضيقٍ شديد، فلا أحد يشعر بها ولا بفقدها لابنتها الصغيرة والجميع يتحدث عن قدراتها التي لم ترَها من قبل، بل والمحزُن حقًا ظن الجميع بها حتى خالتها التي من جلدتها، أنها ما زالت طفلة صغيرة لا تفقه شيء سوى الثرثرة والعويل، لقد سئمت منهم لذلك هي بالفعل تحتاج لقسطٍ من الراحة ولكن ليس في هذا القصر.

بعدما قص لهم يَاتْ جميع ما حدث بالأسفل، سأله يوناس ليعرف مايدور بعقله:

- وما الذي ستفعله الآن؟!

أجابه يَاتْ وقد اتسعت حدقتاه السوداء من الغضب:
- سوف أجمع جزءً من جيش أبي الموالين لنا، وسأذهب لباقي الممالك حتى أقوم ببناء جيش كبير، حينها سأغور على المملكة وأقوم بقتل الخائن وزوجته والساحرة وأخرج أبي وأخي من سجنه، ليعود كل شيء كما كان.

نظر يوناس بتعجب لأبيه الواقف بهدوء وهو يستمع لخطة يَاتْ التي تحتوي على جزءً هام وهو قتله لابنته بكل بساطة. ليقطع الصمت هذا سؤال بني النعمان ل يَاتْ:

- هل رأيت وجه وِيْوَن وسمعت صوته قبل أن تهرُب؟!

التفت يَاتْ لبني النعمان بحيرة، ليجيبه بتردد:

- لا، أقصد نعم؛ لقد رأيته يأمر الجنود بأن يأخذوا أبي للسجن الذي صنعته أنت للجنية الساحرة.

اقترب بني النعمان منه بوجهه وهو يعيد سؤاله:

- هل سمعت صوته وهو يأمر الجنود؟!

هز يَاتْ رأسه نفيًا وهو يردد:

- لا، صوت الملعونه هو الذي أمرهم بذلك.

عاد بني النعمان خطوة للخلف وهو يقول له:

- كما توقعت؛ لقد سحرته هند حتى يطيع أوامرها، أخيك الآن في سباتٍ لا يعلم ما الذي يجري حوله.

عينا يَاتْ بدهشةٍ وهو يقول له:

- هل أنت واثقٌ مما تقوله؟!

أمال بني النعمان رأسه على يمينه وهو ينظر نحوه بثقة:
- أما رأيت قتالي في ساحتكم؟!

حرك رأسه بنعم، فأردف بني النعمان:

- إذًا أنت تعلم أنني ساحرٌ أيضًا، ولكني أقوي منها.

تهلل وجه يَاتْ وهو يسأله:

- سوف تساعدني أليس كذلك؟!

وضع بني النعمان يده على كتف ابنه وهو يقول له:

- كلانا سوف نساعدك، وهذا لسببان..

الأول: هو وجود حفيدتي بالأسفل، لقد قامت ابنة هند باختطافها.

حاول يوناس التحدث بأنها أخته، فضغط بني النعمان على كتفه بسبابته وإبهامه ضغطة كادت تثقب عظمه جعلته وملامح وجهه توحي بالألم. ليُكمل بني النعمان حديثه بسلاسه:

- والثاني: أن والدك أصبح صديقًا لي، وأنا من تركت هذه الملعونة في أرضكم، لذلك يجب عليّ أن أقتلها بنفسي هذه المرة.

تقدم يَاتْ بحماس قائلًا:

- حسنًا، عليّ الآن تجهيز الجيش.

أوقفه بني النعمان وهو يقبض ذراعه:

- لا نحتاج لجيشٍ يا بني الأمر بسيط، رافقنا للأسفل فقط.

شعر يَاتْ بالتشتت وهو يسأله:

- أنتما فقط؟!

وقف بني النعمان ليفرد جسده القوي، ففعل يوناس مثله سريعًا قبل أن يعنفه، ليردد بني النعمان بفخر:

- أنا وولدي نُمثل جيشًا من مئة ألف عفريت، هل تتوقع أن تجمع هذا العدد من الأرضيين؟!

هز يَاتْ رأسه سريعًا بالنفي، فدفعه نعمان بخفه أمامه للداخل وهو يقول له:

- إذًا هيا بنا للأسفل، ومهمتك الوحيدة هي إرشادنا، لأننا معشر الجن لا نملك قوة الاختفاء والظهور في مملكتكم لكثرة الممرات بها، لذلك لن نستطيع معرفة الأماكن إلا من خلالك.

وقف يَاتْ أمام الحائط الصخري، ليضغط على عدة صخور صغيرة وكأنها كود سري لفتح البوابة التي تؤدي للمملكةً وهو يقول لهما:

- وأنا يسعدني إرشادكم.

انفتحت البوابة على مصراعيها، ليلتفت يَاتْ إليهما قائلًا:

- سأمهلكم خمس ساعات فقط، لو لم تستطيعا إنقاذهم وعودة كل شيء كما كان، سأهرب كما فعلت سابقًا وأنفذ خطتي.

قام بني النعمان بدفعه بشكلٍ أقوى داخل الممر حتى إنه كاد أن يقع أرضًا من قوته، ليردد بني النعمان بضجر:

- يكفينا ساعة واحدة، لا تُكثر في الحديث.

نظرت هند نحو القاعة الكبيرة التي تعُج بالعماليق، وفي الصف الأول يجلس اثنان من حكام الممالك الأخرى، فيما رفض اثنان آخران الانضمام لهذا الجمع موالاة للحاكم ياوي وتركوا القاعة وعادوا لممالكهم. عادت هند للخلف وتوارت داخل غرفة جانبية، لتجُر وِيْوَن أمامها وهي تُجرب معه أن تخاطره مرة أخرى، في محاولة منها أن يبدو شكله طبيعيًا هذه المرة حتى لا ينكشف أمرهم.

ظلت تتحدث في عقلها، ليبدأ وِيْوَن بنطق ما تخاطره به إلا من بضع كلمات ينطقها خاطئة وهو متجهم الوجه كما فعل عندما صعد منذ قليل. تأففت هند وهي تعيد ما قالته مرات عديدة حتى استطاع نطقه بشكلٍ صحيح في المرة الأخيرة وكأنه طفلٌ صغير تعلمه كيف يتحدث، حاولت أن تأمره بتغيير ملامحه الآلية هذه ولكنها فشلت في تطويعه. زفرت بضيق وهي تصرخ به أن لا يتحرك من الغرفة حتى تعود، ثم خطت للخارج لتنادي ابنتها بامتعاضٍ شديد.

جاءتها سارافيم وعلى وجهها يرتسم حُزنٌ جسيم من أجل زوجها الذي حين يفيق لن تراه ثانية،

لتتجاهل هند صوتها الخفيض وعينيها اللتان تدمعان بدموعٍ حبيسه وهي تقول:

- نعم يا أمي.

أشارت لها هند نحو الممر المؤدي لغرفة روهان الصغيرة وهي تقول لها:

- اجلبي الفتاة للغرفة المجاورة للقاعة الكبيرة، وحين أخبرك بإحضارها، سوف تسحبيها من يدها لتصعدي بها جوار زوجك أمام الجميع.

لم تنطق سارافيم، فصرخت بها هند وهي تُمسك فكها بقوة كادت تسحقه:

- هل سمعتِ ما قلته لكِ أيتها الغبية؟! يكفيني لوح الجليد الذي في الداخل.

أومأت سارافيم سريعًا فتركتها هند وهي تعود للغرفة التي بها وِيْوَن وهي تحذرها:

- لا تتحدثي مع هذه الملعونة الصغيرة، فسوف تسيطر عليكِ في غمضة عين.

ثم أردفت بحسرة:

- ليتها كانت ابنتي، فأنا بالفعل أستحق فتاة مثلها بدلًا من تلك الحمقاء.

سقطت دمعة على وجنتها فأخفتها سريعًا وهي تخطو ببطء نحو غرفة روهان وكأنها تُساق نحو موتها. وفي اللحظة التي كادت أن تفتح بها باب الغرفة، سمعت صوت تهليل العماليق لزوجها فعرفت أنه قد صعد ليلقي كلمته الثانية قبل أن يريهم مفاجأته. فتحت باب الغرفة فوجدت روهان تقف أمامها مباشرة، اختض جسد سارافيم وشهقت بخفة، فأطلقت روهان ضحكة عالية وهي تقول لها:

- ألم تلعبي الغميضة من قبل؟!

حاولت سارافيم أن تجعل صوتها حازم وهي تقول لها:

- هيا تعالي معي.

توقعت أن تلاعبها كما فعلت من قبل، ولكنها مدت لها يدها الصغيرة وهي تقول لها:

- حسنًا هيا بنا.

ثم وقفت روهان على أطراف أصابعها وهي تهمس لها:

- يا عمتي.

أنهت جملتها بغمزة جعلت سارافيم تبتسم برقة على حركتها الطفولية، فابتسمت لها روهان وهي تقول لها:

- ابتسامتك جميلة يا سارافيم، ورغم حماقتك الظاهرة وانتمائك للبشر بشكلٍ كبير، إلا أن الحزن لا يليق بمن هم مثلك ذوي القلبِ البريء.

تنهدت سارافيم بعمقٍ وهي تشعر نحو كلمات هذه الطفلة بسعادة، فهي بالفعل تفرح لمن يصفها أنها تُشبه البشر في نقاء قلبها كما يفعل زوجها دومًا، إلا أن ملامحها تجهمت في اللحظة ذاتها وهي تُمسك بيد روهان لتسحبها للخارج قائلة:

- أنا لم أعد بقلبٍ بريء يا صغيرة، لقد خدعت وخُنت أقرب أحد لقلبي، زوجي الذي لم يثق في أحدٍ غيري، قُمت بطعنه في ظهره دون أن يرف لي جِفن.

وبحركة عفوية ربتت الصغيرة على كفها برقة وهي تقول لها:

- لا تقومي بإطلاق كذبة وتصديقها يا عمتي، لقد فعلتِ ذلك رغمًا عنكِ، وظللتِ تبكين في فراشك لساعاتٍ بعدها وأنت تلعنين نفسكِ وكأنكِ الجانية، وأنتِ لم تكوني سوى أداةَ استخدمتها أمكِ كي تنال انتقامها المزيف.

وقفت سارافيم وهي تحاول السيطرة على أنفاسها المتلاحقة،

كيف عرفت تلك الصغيرة ما مرت به بعدما سحرت وِيْوَن! ولكنها تجاوزت ذلك الجزء لتنحني على ركبتيها تنظر لعينيها اللامعة التي تغير لونها للتو، وهي تسألها سريعًا:

- ما الذي تقصدينه بانتقامها المُزيف؟!

اقتربت روهان منها لتحاوط وجهها بكلتا كفيها الصغيرين قائلة:

- لقد فعلت هند مثلك، قامت بافتعال كذبة وأخذت بتصديقها وعاشت عليها كي تُبرر انتقامًا ليس له أساسٌ من الصحة..

تعالت أنفاس سارافيم بتوترٍ بالغ وهي تقول لها:

- أرجوكِ اخبريني ما تعرفينه.

نظرت روهان لعينيها القاتمة، وهي تعيد خصلات شعر عمتها خلف أذنها الطولية لتُخبرها:

- لقد أخذتكِ أمكِ وهربت حتى بعدما عرفت أن جدك خدعها ولكنها لم ترِد العودة لزوجها والاعتراف بذلك، بل فضلت أن تنقلك في جسد إنسية حتى لا يعلم أبيكِ بوجودك، وبعدما تزوج جدتي اشتعلت النار بقلبها فقررت أن تحرق كل شيء حتى أنتِ كي لا تعودي له وتعرفي حقيقتها، لذلك أخبرتك كذبًا أنه يريد قتلك في حين أنه لم يعرف بوجودك إلا عندما قاتلها وحين شارف على إنهاء روحها المُقيتة

وكي تُنقذ نفسها أخبرته أنكِ ما زلتِ حية، ومنذ ذلك الحين وهو يتمنى فقط رؤيتك.

لم تصدق سارافيم ما سمعته أذناها، لتهز رأسها بقوة وهي تردد:

- لقد وضعها بالفعل في سجنٍ عَفِن لسنوات!

فأوقفتها روهان بكفيها اللذان مازالت تحاوط بهما وجهها وهي تقول لها:

- بني النعمان لا يسجن؛ بل يقتل الخائن على الفور ودون تردد للحظة واحدة.

ثم أردفت وهي تُضيق عينيها:

- أتعتقدين أن جدي الذي عشق إنسية وتزوجها وأنجب منها أبي، وخاض معارك داخليه وخارجية وقاد جيوشًا لأجلها، وفوق كل ذلك ترك أمك بعدما فعلته بقصرنا وبجدي الأكبر وبي وبأخي وأمي، من أجلك أنتِ سوف يقتلك حين يراكِ لأنه لا يريد أبناء من زوجته الأولى؟! أنت حقًا لم تعرفي ولو القليل عن أبيكِ، ولكنني أعدك حينَ تتعرفين عليه ستعشقينه كما يفعل الجميع.

سمعت سارافيم صوت أمها يناديها بغضبٍ شديد، فانتفضت واقفة وهي تقول لروهان:

- سوف أدلك على ممرٍ للخروج من هنا في الحال....

أمسكت روهان بكفها لتوقفها بقوة:

- أنا لا أريد الخروج من هنا الآن.

ضمت سارافيم حاجبيها الكثيفان بحيرةٍ قائلة:

- ما الذي تريدنه إذًا؟!

ابتسمت لها روهان بعبث قائلة:

- أريدك أن تفعلي بي ما أمرتك به أمك.

صوت هند وهي تتوعدها في عقلها يزداد شراسة، لتهز يد روهان وهي تقول لها:

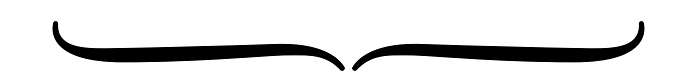
- ما الذي تقولينه! أنتِ لا تعلمين ما الذي سوف تفعله بكِ.

ارتفعت روهان إليها طائرة وهي تقول لها بخفوت:

- أنتِ التي لا تعلمين ما الذي سوف أفعله أنا هناك.

ثم وقفت على الأرض ثانيةً وهي تقول لها:

- ستذهبين بي إلى الحشد، أم أذهب أنا بمفردي؟!



الفصل الثاني عشر

ارتدت فستانها الأسود الطويل، الذي يضيق أعلى خصرها ويتسع في نهايته، ثم وضعت إزار يغطي رأسها ليسقط حتى قدميها، نظرت لوجهها في المرآة لتتأمله جيدًا وهي ترى كفها الذي تمرره على وجنتها يترتعد بشكلٍ واضح، حاولت السيطرة على توترها بسبب خروجها من القصر دون إذن بني النعمان، لذلك لا يجب أن يعرف أحد الخدم بخروجها.. فتحت باب غرفتها بهدوء، لتنزل الدرج وهي تنادي جميع خدم القصر، التفوا حولها لتوكل كل من النساء ببعض الأعمال في الخارج، بينما الحراس جعلتهم يذهبون لقصر الملك الأبيض مع حفيدها بني النعمان كي يسلموه له، وتحججت أنها لن تأمن لذهابه بمفرده في هذه الأجواء، ثم أخبرتهم أنها ستبقى اليوم في غرفتها ولا تريد أن يُقلقها أحدٌ على الإطلاق مهما كان السبب. امتثل الجميع للأوامر وانطلق كل منهم ليفعل ما طلبته منه، هي بالفعل تعلم مدى سرعتهم لذلك حينما تأكدت من خلوا المكان نطقت إسمه بهمس.. «عِفِرِّين»

لم تُكمل الحرف الأخير حتى وجدته أمامها، وضعت كفها على ذراعه، وإيماءة بسيطة كانت الإشارة التي جعلته يختفي من القصر والمملكة بأكملها في غمضة عين.

وجدت نفسها في قصره الكبير وتحديدًا في غرفته، ارتعش جسدها رغمًا عنها بخوفٍ شديد، فهي لم تخرج دون إذن زوجها فقط،

بل ذهبت لغرفة نوم جني آخر! حاولت أن تسيطر على شعورها هذا بقدر ما استطاعت وهي تتنحنح قائلة بحرج:

- ألا يوجد مكانٌ أمن غير هذا نستطيع التحدث فيه بحرية؟!

ابتسم لها عِفرِّين قائلًا:

- كل مكان في قبيلتي هو آمن يا روهان، ولكنك لستِ آمنة سوى هنا، إلا لو أحببتِ أن نتكلم في الخارج ووقتها لن نضمن أن يراكِ أحدٌ من أصدقاء زوجك، وبالطبع أنت اللإنسية الوحيدة التي تزوجت من أحد ملوك الجان فمعرفةَ من أنتِ ومن زوجك ليست بالمسألة الصعبة.

لقد أحست للحظة من بريق عينيه أنه يشعر بخوفها من معرفة بني النعمان، ولكنه يحاول الآن إقناعها أنها وحدها من تخاف من ردة فعله، أما هو فلا يأبه لذلك!

لذا قررت أن تسأله بوضوح:

- هل أنا الوحيدة القلقة من ردة فعل زوجي حين يعلم أنني جئت هنا معك؟!

ضم حاجبيه وهو ينظر إليها هذه النظرة والصوت اللذان جعلا قلبها يهوى وهو يقول لها:

- هل تظنين أنني خائف من بني النعمان؟!

خرج صوتها بتوترٍ بالغ:

- الجميع يهابه.

ابتسم ابتسامة ساحرة وهو يقول لها:

- هل يجب عليّ أن أتباهى مثله هو وابنه كي تعرفين قدري؟!

أطرقت بنظرها هربًا من عيناه، وهي تعتذر منه:

- أعتذر منك، أنا بالفعل لا أعرفك جيدًا.

وقبل أن يتحدث ثانيةً، قاطعته وهي تقبض كفيها ببعضها البعض:

- هل نستطيع التحدث فيما جئنا إلى هنا من أجله؟!

أشار إليها أن تجلس على مقعدٍ أثير، ثم جلس على آخر أمامها دون أن يُخبرها أنها تجلس على كرسيه الذي لم يمسه أحدٌ غيره منذ قرون، ولكنه أراد أن يحتفظ برائحتها في مقعده، حتى يشتمها كلما جلس عليه. حاول إخفاء مشاعره هذه كما يفعل دائمًا، ليبدأ حديثه بقوله:

- هل تعلمين أن هند زوجة بني النعمان الأولى ما زالت على قيد الحياة.

انتفضت روهان من مجلسها بفزع، بينما ارتعشت حدقتيها وهي تسأله: - وهل يعلم بني النعمان؟!

وقف أمامها وهو يرفع كفيه قائلًا:

- اهدئ قليلًا يا روهان، أنا لن أستطيع أن أخبرك بكل شيء هكذا.

شعرت أن الغرفة تدور بها، فجلست سريعًا وهي تقول له بأنفاسٍ متلاحقة:

- أجبني من فضلك.

لاحت نظرة حزنٍ على وجهه ولم ينطقها، اكتفى بهزةٍ خفيفةٍ من رأسه.

أغمضت عينيها وهي تصك أسنانها بصدمةٍ واضحة، هي كانت تعلم جيدًا أنه يخفي شيئًا عنها، ولكن ليس لهذه الدرجة.. التقطت عدة أنفاسٍ هادئة، ثم فتحت عينيها على اتساعهما بعدما زادت نظراتها قتامة لتُردف:

- اخبرني بكل شيء الآن.

تسلل يَاتْ بين الحضور وهو يحاول إخفاء وجهه عن الحرس، بينما تبعه بني النعمان ويوناس بعدما ارتديا غطاءً للرأس يحجب وجههم حتى لا يلفتا الأنظار، وقف ثلاثتهم في نهاية الصفوف، ليقترب بني النعمان من يَاتْ قائلًا :

- ارشدني لموضع السجن.

تحرك يَاتْ أمامه، ليأمر يوناس:

- ابق هنا، هند تقف في الغرفة التي بجوار المنصة، لقد رأيتها منذ قليل؛ مؤكد ستصعد ابنتك الآن عندما يبدأ وِيْوَن في خطابه، سأعود إليك بعد لحظات.

ثم قام باتباع يَاتْ حتى وصل للسجن الذي سحره بكلتا يديه، أسقط الغطاء من أعلى رأسه، ورفع ذراعيه للأعلى وهو يردد كلمات تُبطل لعنته، ليجد أن هند قد تركت له هدية بسيطة..

حيوان ضخم يُشبه الغوريلا عندما رآه يَاتْ فر هاربًا، وقبل أن يُصدر صوته العالي الذي جلبته هند لأجله، أخرصه بني النعمان على الفور بحركةٍ سريعة تلتها التفاتة قام بها لتقييد جسده حتى أنهى تعويذته التي أخفته من المكان على الفور. تنهد براحة بعدما استطاع أن يجعل الوضع حتى الآن هادئٍ، فتح بوابة السجن المخفية، ليجد الحاكم ياوي يجلس أرضًا في حالةٍ مُزرية، عندما راه تهلل وجهه وهو يقول له:

- كيف استطعت الدخول إلى هنا؟!

وبفرقعة إصبع فك بني النعمان قيده وحرره في الحال وهو يقول له:

- لقد استطاع يَاتْ أن يهرب من قبضة هند، وهو الذي ساعدني إلى هنا.

وقف الحاكم وعلى ملامحه تظهر مشاعر الامتنان الكبير لما فعله بني النعمان، ليمد له يده مصافحًا وهو يقول له:

- كلمة الشكر لن تكفيك.

أومأ له بني النعمان، ثم قال له:

- هل تستطيع تدبير أمرك من هنا؟!

ابتسم له ياوي مجيبًا:

- لا تقلق.

خرج بني النعمان من هذه الغرفة المسحورة ولكنه عاد لياوي قائلًا:

- لقد نسيت إخبارك أن ولدك وِيْوَن مسحور، لقد خدعته هند وسحرته كي يفعل ما تأمره به دون أن يدرك.

لمعت عين ياوي بالأسود القاتم وهو يقول له:

ابنتها، اليس كذلك؟!

اقترب بني النعمان منه بتحذيرٍ قائلًا:

- تقصد ابنتي!

لم تلين نظرات ياوي، فقرر بني النعمان أن يجعله يعود لصوابه قائلًا:

- هذا السجن لا يخرج منه أحد سوى بأمري.

قاطعه ياوي قائلًا:

- إذًا أنت من سمحت لهند بالخروج؟!

انتصب بني النعمان بجسده الضخم وهو يقول له:

- كنت أظن أنها ستخرج لي وتساومني بابنتي.

تحولت ملامح الامتنان على وجه ياوي للحنق الشديد وهو يقول له:

- ولكنها قررت الانتقام مني، وقامت بهدم مملكتي قبل أن تخرج.

اقترب بني النعمان من جسده خطوة بتحدٍ واضح وهو يقول له:

- وأنا انقذتك قبل أن تحقق انتقامها، ومملكتك وأولادك كلهم بخير حتى الآن وتستطيع في اللحظات التالية أن تسترد كل شيء؛ لذلك لا دخل لك بابنتي ولا بهند.

ضغط ياوي فكية بقوة، فضغط بني النعمان على حروفه بتحذيرٍ أخير وهو يقول له:

- هل فهمت ما قلته؟!

أجابه ياوي وهو يصك أسنانه:

- حسنًا؛ ولكنك مسؤولٌ أمامي عن عدم عودة هند وابنتك إلى هنا، وإلا..

وضع بني النعمان سبابته أمام فمه ليوقفه:

- لم أعتقد يومًا أنك بهذا الغباء، أتهددني وأنت ما زلت هنا بين يدي!

ثم أدار له ظهره وهو يقول له:

- لا تفعلها ثانيةً يا ياوي حتى لا تفقد صداقتي، سوف أراعي حالتك النفسية الآن وسأسامحك على ما قلته.

ثم تركه بني النعمان عائدًا للجمع الكبير، ولكنه في طريقه سمع صوت روهان الصغيرة في أحد الممرات، فحاول الوصول إليها ولكنه لم يستطع، بحث في الأرجاء عن يَاتْ ولكنه لم يجده،

فشعر بالضيق الشديد لعجزه في هذا المكان،

وفـي خـضـم غـضـبه وتـفكيره فـي أن يَـغور عـلى هـذا المـكان المُظلم حـتى يـتبين لـه طـريـقه بـشكلٍ واضـح، سـمع روهـان الصغيرة وهـي تقول لابنته:

- أتعتقدين أن جدي الذي عشق إنسية وتزوجها وأنجب منها أبـي، وخـاض مـعارك داخـليه وخـارجية وقـاد جيوشًـا لأجـلها، وفوق كل ذلك ترك أمك بعدما فعلته بقصرنا وبجدي الأكبر وبـي وبأخـي وأمـي، من أجلك أنتِ سوف يقتلك حين يراكِ لأنه لا يـريـد أبـنـاء مـن زوجـتـه الاولـى؟! أنـتِ حـقًا لـم تـعرفـي ولـو القليل عن أبيكِ، ولكنني أعدك حين تتعرفين عليه ستعشقينه كما يفعل الجميع.

خفق قلبه لما سمعه من حفيدته الآن، وأقسم أنه لم يشعر بالفخر والاعتزاز في حياته سوى في هذه اللحظة. كاد أن يحطم المملكة بأكملها حتى يصل إليها، إلى أن سمعها تقول لعمتها:

- أنتِ التي لا تعلمين ما الذي سوف أفعله أنا هناك.

رغمًا عنه ابتسم لثقة هذه الفتاة التي تجاوزته هو وابنه، طـفلة صـغيرة لـم تـتجاوز ركبتيه، تـملُك مـن الـثقة والـقوة مـا يضاهيه هـو وأبيه وحتى ابنه. سـار فـي نفس الطريق نحو الحشد حتى وصل لولده سريعًا في لحظة صعود سارافيم وفـي يـدهـا روهـان الـصغيرة ومـن خـلفهم هـند، رمـقتها هـند وهـي تُحرك حدقتيها بسؤالٍ واضح:

- أين هـي؟!

نزعت سارافيم ردائـها، لتُخرج من تحته الفتاة وهـي تقدمـها للجميع:

- لقد خـاطـر وِيْوَن لأجـل أن تـأتيكم الـجنية الـتي تـتهمونـها بالتدخل في شؤونكم الخاصة.. بهذه.

تـعلقت أعينهم بـالطفلة الـتي تـحيطها هـالـة بـيضاء جـعلتهم يحاولون تغطية أعينهم من شدة نقائها، بينما وقف الحاكمان اللذان قررا أن ينتظرا مفاجأة وِيْوَن التي وعدهم بها، وهم ينظرون للفتاة بانبهارٍ شديد، ليقول أحدهم:

- لقد أحسنت صُنعًا يا وِيْوَن، فهذه الفتاة بالفعل فريدة جدًا، فنحن لم نرَ هذه القوة على إنسي من قبل.

نظرت هند لابنتها، فتشتتت سارافيم من نعتهم لها بالإنسية، وقبل أن تفتح فمها حذرتها أمها بالبوح بشيء وفضلت أن تصمُت عن الحقيقة.

وسريعًا أمسك بني النعمان بذراع ولده قبل أن يتحرك نحو ابنته، ليهمس له:

- انتظر إشارتي.

ثم وجه نظره نحو روهان الصغيرة بحماس ليرى ما الذي تنوي فعله، هذه الفتاة التي لم يرَ في جراءتها أحد لديه شعورٍ بأنها تريد فصُنع حيلة يتوق لمعرفتها..

لم تجعله حفيدته ينتظر كثيرًا وارتفعت بجسدها للأعلى تُتمتم ببضع كلمات جعلت الزجاج الفاصل بينهم وبين باقي العماليق والجنود يرتفع ليمثل حاجزًا ضخمًا، ثم نظرت نحو هند التي تأخرت ردة فعلها بحيرة وهي لا تعلم ما الذي تفعله هذه الصغيرة، وهذا ما كانت تريده روهان بالضبط..

قامت بتشتيت أفكارها المتداخلة، وبخدعة بليفجور للسيطرة التي أتقنتها سريعًا كانت هند في لحظات تمتثل لأمرها.

أما خلف الزجاج فقد وقف الحاكمان وحولهم جنودهم، ينظرون لما تفعله هذه الطفلة بانبهارٍ شديد، كما يفعل باقي العماليق. بينما وقف يوناس فاغرًا فاه لا يصدق اتقان ابنته للسحر،

فالتفت لأبيه كي يسأله من علمها هذا، ولكنه لم يجده بجواره، وحين نظر نحو ابنته التي ما زالت تتوارى خلف الحاجز، وجد أبيه خلفها يحاوطها هي وسارافيم وهند تحت عباءته التي ارتدها كي يتخفى من حرس الأرضيين، وعلى الفور اختفى من المكان بأكمله وفي لحظة واحدة كان ينقلهم للأعلى، استوعب يوناس ما حدث ليلحق بهم على الفور.

وفي التوقيت ذاته ظهر ياوي وابناه خلف وِيْوَن الذي أفاق في نفس لحظة اختفاء بني النعمان بهند وباقي عائلته، ليلتفت حوله بدهشة قائلًا:

- ما الذي يحدث هنا.

جلست إلينا على صخرةٍ كبيرةٍ على شاطئ البحر، تبكي بحرقة وهي تنظر نحو صفحة المياه التي تتحرك بهدوء حتى تقترب منها فترتفع بأمواجٍ تلاطم بعضها البعض بقوة؛ لتُصدر صوتًا مرتجفًا جعلها تجفف دموعها وهي تتحسس بيدها الأخرى الفلوت الخاص بها، أخرجته بيدٍ مرتعشة وهي تنظر نحوه بحزنٍ كبير، ثم أغمضت عينيها وأخذت عدة أنفاس قبل أن تضعه على فمها وتبدأ عزف مقطوعة (الراعي الوحيد) اعتصرت حدقتيها بألم وهي تستل نغماتها بأسى حاولت إخراجه من قلبها بقدر ما استطاعت، استمرت في العزف لدقائق عدة انفصلت بها عن العالم الخارجي، حتى شعرت بأن أذنها لم تعد تلتقط صوت الأمواج العاتية، فتحت عينيها سريعًا لتجده يجلس أمامها أسفل الصخرة بجسده الضخم مسحورًا كما يفعل باقي الجان حين يستمعون لها. اختض جسدها للحظة أوقفت فيها العزف، لتسيطر على توترها في الحال وهي تقول له:

- من أنت؟!

وجدت نظراته ما زالت زائغة وكأنه لم يفق بعد، فرقعت بإصبعها أمامه، فارتعشت حدقتيه الطولية التي تتميز باللون الذهبي مثل جميع الجن المائي، لتسأله مرة أخرى بحدة:

- من أنت؟!
ظهرت علامات الدهشة على وجهه وهو يقول لها

- السؤال الأهم هنا كيف رأيتني؟!

أنهى سؤاله وهو يخرج من الماء على قدمين، بينما نصف جسده الأعلى عاري تمامًا، ليبرز عضلاته العريضة وهو يختفي ليظهر أمامها مباشرة، وقفت إلينا بتوتر وهي تنظر لجسده الضخم قائلة:

- ألا تعرف من أنا؟!

- وهل يجب عليّ أن أعرف؟!

قال جملته هذه قبل أن تلمع عيناه الذهبية عندما اختفت السحب التي تغطي ضوء الشمس، ليتسلط الضوء على بريق حدقتيه وكأنها ذهب يُصب من قارورة زجاجية يخطف الأنظار.

تعلقت إلينا بهما للحظات شعرت بعدها بالحرج الشديد؛ لتغادر الصخرة على الفور وهي تُجيبه:

- تسطيع سؤال منسا بنت مركوم، مؤكد سوف تخبرك.

تجاوزت الصخور وهي تضع الفلوت الخاص بها في جيبها الأيسر، لتجده يقف أمامها ثانية وهو يقول لها:

- رغم دهشتي لمعرفتك ملكة مملكة الشمال، ولكنك أثرت فضولي بشدة، لذا لن أغادر قبل أن أعرف من أنتِ، فأنا لَا أرى إنسيًا يراني ويحدثني كل يوم.

تأففت إلينا بضيق وهـي تقول له:

- هل تعرف مملكة الملك الأبيض؟!

ضيق عينيه وهو يجيبها:

- وهل هناك أحد من الجن لا يعرفها؟!

أحنت رأسها قرب كتفها وهـي تُردف:

- إذًا فأنت بالطبع تعرف يوناس بن..

أوقفها على الفور:

- بني النعمان قائد جيوش المسلمين ابن الملك الأبيض حاكم المملكة.

ابتسمت بفخر وهـي تقول له:

- أنا زوجته.

أطلق ضحكة مستهزئة، جعلت إلينا تضم ذراعيها بعضهما البعض وهـي تنظر نحوه بثبات، حتى توقف عن الضحك وهو يقول بجدية :

- أنتِ لا تمزحين أليس كذلك؟!

رفعت ذقنها هنيهة وهـي تقول له:

- هل ترى ذلك؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة عريضة وهو يسألها:

- ولِمَ أميرة إنسية مثلك تتسكع هكذا بمفردها في مكانٍ مُقفرٍ كهذا؟! ا

- ألا تخافين من أعداء زوجك وأبيه؟!

أخرجت إلينا الفلوت الذي وضعته في جيبها منذ قليل وهي تلوح به أمامه قائلة:

- لا تقلق فأنا معي سلاحي الخاص.

عاد للخلف خطوة وهو يرفع ذراعيه بمرحٍ قائلًا:

- لا تقتليني إذًا فأنا لست عدو.

ثم أكمل مازحًا وهو ينحني أمامها:

- بالطبع لن يتزوج يوناس إلا بمحاربةٍ قوية.

ابتسمت رغمًا عنها بسخرية من مقولته، ليتجهم وجهها في اللحظة التي تليها وهي تدير له ظهرها قائلة:

- عد لمنزلك.

عاد ليقف أمامها قائلًا:

اسمي موسى، وسررت بالتعرف عليكِ، وإذا سمحتِ لي أستطيع إيصالك لقصرك في ثوانٍ معدودة.

تخطته إلينا وهي تمشي بخطوات سريعة قائلة له:

- أريد السير بمفردي.

بعد عدة دقائق شعرت به خلفها، فأخبرته بضيقٍ واضح:

- عد يا موسى ولا تتبعني.

وجدته يمشي جوارها وهو يقول لها:

- لن أعود حتى أطمئن عليكِ داخل القصر.

ثم أدار وجهه تجاهها ليُردف:

- لا تحاولي التخلص مني، ولا تهدري طاقتكِ هباءً، قُضي الأمر.

اصراره أسعدها فهي بالفعل تحتاج إلى صحبة في هذا الوقت الحزين الذي تعيشه، لقد جاءت إلى هنا لمقابلة صديقتها منسا، ولكنها حين استدعتها لم تُجِب من الواضح أنها تمُر بوقتٍ عصيبٍ هي الأخرى. قاطع موسى افكارها وهو يقول لها بلُطف:

- هل سأصبح متطفلًا لو سألتك لمَ كنت تبكين؟!

نظرت نحوه بحيرة وهي تبطئ خطواتها متسائلة:

- هل كنت تراني قبل أن أعزف؟!

أومأ برأسه مرددًا:
- نعم؛ لقد سمعت صوت بكاءك وأنا عائدٌ للمملكة، فوقفت كي أرى من يجرؤ على إتيان هذه المنطقة النائية في هذا الوقت، وحين خرجت من الماء كنتِ قد بدأتِ في العزف، فوجدت جسدي يستكين على الصخور وكل خلايا عقلي تسبح في ملكوتك أنتِ.

شعرت بالتأثر من كلماته هذه، ولكنها تجاوزت شعورها هذا بقولها:

- ابنتي مختطفة من قِبل مجهول، وعائلتي تظنني ما زلت طفلة فلا يجب عليّ البكاء ولا الغضب ولا حتى الاستياء من أفعالهم، لقد قبلتُ الزواج من جني، وأنجبت جنيان صغيران وعشت وسط الجان لسنواتٍ طويلة لذا يجب عليّ أن أصبح مثلهم دون أدنى مشاعر أستطيع بها التعبير عما يجول داخلي.

وقف أمامها فأبطأت المسير وهي ترى علامات الحزن تلوح على عينيه وهو يستمع لها، انقطعت إلينا عن الحديث وهي تشعر أنها تجاوزت حد الخصوصية مع جني لا تعرف عنه شئ، ليحرك موسى رأسه وهو يقول لها:

- لا تخافي يا أميرة، فكل ما تتفوهين به الآن يسقط في بئرٍ كبير، أكملي أنا أستمع باهتمامٍ شديدٍ لكِ.

ابتسمت وهي تقول له:

- اسمي إلينا ولست أميرة.

لمع بريق عينيه وهو يقول لها:

- كنت أود منادتك أميرتي، لأنك بالفعل كذلك فأنتِ من العائلة المالكة،

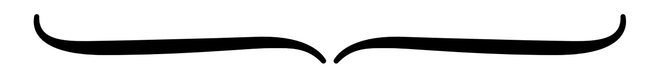
ولكني لا أستطيع تجاوز الحد هكذا لذا سأكتفي بأميرة.

ثم أمسك كفها سريعًا لينتقل بها فوق جبلٍ في وسط المياه، سحبت كفها بذعرٍ وهي تلتفت حولها بريبةٍ، فرفع كفه أمامها قائلًا:

- لا تقلقي يا أميرة، فالمكان الذي وقفنا به يعُج بالجان، لذا شعرتُ أنكِ تحتاجين بعض الخصوصية.

تأملته عينيه لبعض الوقت حتى اطمأنت أنه لا يضمر لها الأذى، فجلست بهدوء وهي تنظر للبحر بحزنٍ، فقاطعها موسى قائلًا:

- هيا أفرغي كل ما بداخلك...



الفصل الثالث عشر

جسده متوتر في مجلسه، وهو يشعر بعدم الراحة لما فعله، ولكنه لا يحس بلحظة ندمٍ واحدة، فهو بالفعل يخاف أن تؤذيها هند وهو يعلم جيدًا أن بني النعمان ليس مستعدًا لقتل زوجته الأولى..

لقد رفض أي مقابلاتٍ لليوم، وأمر كل وأمر كل الحرس أن يتركوا القصر خالي، ولا يجوز لأي فرد من القبيلة الاقتراب من القصر مهما كانت رتبته حتى يأمر هو بخلاف ذلك. كان يشعر بالحزن الشديد لأجلها، فقد مرت ساعة كاملة حين طلبت منه روهان أن يتركها بمفردها في غرفته، بعدما أنبأها بكل ما يخفيه بني النعمان عنها، لم يترك سوى شيءٌ واحدٌ لم يقدرعلى إخبارها به..

هذا السر يخصه هو، ذنبه الذي يكفر عنه منذ أن فعله. توقف صوت صراخها المتألم منذ عدة دقائق، ولكن نشيج بكاءها لم يتوقف بعد. قلبه ينفطر لأجلها، يود أن يذهب لبني النعمان ويشقه نصفين لما فعله بها، ولكنه بالتأكيد لن يفعل ذلك فهي في النهاية مازالت زوجته. تعلقت عيناه بباب الغرفة التي تبكي روهان خلفه بحرقة جعلته يتمنى من كل قلبه أن تترك هذا الخائن وسيكون أسعد رجل على وجه الأرض لو ارتضت به زوجًا، فهو منذ أن عشقها لم يقبل بدخول أنثى في حياته لا من الجن ولا من الإنس. تأفف بضيق وهو يردد داخله .. «هذا حلمٌ بعيد المنال لدرجة المستحيل»

رمش جفنه عدة مرات وهو يقول بهمس:

- لمَ لا..

ليوقفه ما فعله من قبل دون علمها في لحظة طيش لن يسامح نفسه عليها، فانكسرت عيناه بندم على ذنب يعلم جيدًا أنها لن تغفره له. وقبل أن يسترسل في أفكاره فتحت روهان باب الغرفة لتقف شامخة بجسدٍ يهتز باضطراب واضح، بينما عيناها تضج بحزنٍ لن تمحوه الأيام القادمةً مهما طالت، تعتصر ثوبها الفضفاض بكلتا كفيها وكأنها تحاول إيقاف ألم قلبها الذي لا تتحمله كما هو واضحٌ على وجهها.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر لجسدها الصغير باستياء ويقاوم رغبته القاتلة بأن يحتضنها الآن علها تشعر ببعض الراحة التي تبحث عنها بحدقتيها المرتعشة أمام عينيه بهيئة جعلته يغتم أضعاف ما كان عليه منذ قليل. أخرجت صوتاً مضطربًا برعشةٍ حاولت السيطرة عليها:

- من فضلك يا عِفرِّين عدني للقصر.

صدمته بقولها هذا كما صدمته بحالتها المزرية منذ أن فتحت باب غرفته، كان يظن أنها سوف تُخرج كل ما بداخلها مع الصراخ والغضب وبعده البكاء وهنا سوف ينتهى كل هذا بعدما تنتهي صدمتها، ولكن من الواضح أن النفس البشرية معقدة بشكل لا يستوعبه هو ،

فمشاعر فصيلتهم بسيطة للغاية.. إن خدعه أحدهم قتله، وإن مات عزيز عليه يشعر بالحزن لأجله ثلاث أيام فقط، وإن خانه من ائتمنه فالتعذيب قبل الحرق عقابٌ مناسب.. وهكذا تنتهي كل المشاعر بكل بساطة، الشعور الوحيد الذي يجده مُعقد عنده هو الحب، فحين أحبها لم يستطع الحصول عليها كما يفعل الباقي من جلدته. وفي خضم معاركه الداخلية في مقارنة لا يفهمها بينه وبين الإنسية، قامت روهان بتكرار سؤالها بصوتٍ أعلى وهي تحدثه بنبرةٍ غاضبة:

- ألا تسمعني!

اقترب منها وهو يقول لها بهدوء:

- بلى سمعتك.

لفت نظره صدرها الذي يعلو ويهبط بسرعةٍ كبيرة، لدرجة أنه يسمع دقات قلبها التي تركض مثل خيلٍ في البرية من موضعه هذا، فسألها باهتمام ولكن نبرةً كان يظهر عليها الحزن الشديد:

- هل أنتِ واثقة بالعودة الآن؟!

تعالى صوت أنفاسها وهي تقول له بوجهٍ مكفهر:

- نعم، يجب عليّ مواجهته للمرة الأخيرة.

ثم مدت له كفها كي ينقلها إلى هناك وهي تقول له:

- لا تقلق؛ حين أنتهي منه سوف أناديك.

ابتسم بأسف شديد وهو يَمد لها ذراعه كي تضع كفها عليه دون أن يمسها، وفي لحظة كانت في غرفتها في القصر ليقول لها قبل أن يختفي:

- سوف أنتظر ندائك.

أنهت حديثها بتنهيدة شعرت بعدها براحةٍ كبيرةٍ حين أفرغت كل مخاوفها وغضبها وحيرتها أمام موسى، الذي استمع لكل ما قالته باهتمامٍ بالغ ودون مقاطعة ولا إبداء رأي أو نصيحة أو حتى تعقيبً.

تركها ساعة ونصف دون كلل أو ملل أو للحظة أحست خلالها أنه ضاق بها ذرعًا.. ابتسمت نحوه وهو ما زال ينظر إليها باهتمامٍ لتقول له:

- أشكرك على استماعك لي.

حرك رأسه وهو يزم شفتيه قائلًا:

- أنا الذي يجب عليّ البحث عن كلماتٍ تعبرعن شكري وامتناني لكِ لأنكِ قررتِ أن تشاركيني ما يجول بداخلك دون حذر أو حتى قلقٍ مني، فأنا لا أشعر أنني أستحق هذه الثقة الكبيرة منك يا أميرة.

وقفت إلينا وهي تنظر نحو النجوم التي سطعت في السماء وهي تعكس ضوئها الأبيض على صفحة المياه الهادئة، لتشعر أن البحر الآن يشاطرها راحتها المؤقتة، كم كانت تتمنى أن يجلس يوناس معها هذه الجلسة، ويستمع لها كما فعل موسى دون أن يهزأ بمشاعرها أو حتى يُهملها بشكل مزرٍ كما فعل في الفترة الأخيرة. صوت موسى من خلفهاً جعلها تلتفت له وهو يقول لها:

- هل تشعرين بالبرد؟!

ضمت حاجبيها وهي تجيبه:

- لا؛ لمَ تسأل!

أشار بعينيه على جسدها وهو يقول لها:

- أرى جسدك يرتعد.

- هزت رأسها بالنفي قائلة:

- لا تقلق، أنا بخير.

وجهه كان هادئًا ولكن عيناه كان تلمع ببريقٍ وكأن بداخلها أمواج تزأر بقوة، ليسألها بثبات:

- هل تريدين العودة الآن؟!

أجابته وهي ترفع عينيها من حدقتيه الفاتنة:

- نعم.. يجب أن أعود في الحال وأتمنى أن أجدهم قد عادوا بابنتي.

أمسك موسى كفيها الصغيرين لينقلها أمام باب قصرها وهو يقول لها:

- لا أنصحك بالخروج مرة أخرى في أماكن مقفرة بمفردك.

نظرت له بحدة وقبل أن تُخرج آلتها من جيبها أوقفها بقوله:

- حتى لو كنتِ تستطيعين الدفاع عن نفسك جيدًا، هناك فصائل عديدة من الجن سوف يؤذونك قبل أن تفكري في إخراج آلتك حتى.

أومأت رأسها باستسلامٍ قبل أن تفتح باب القصر، لتناديه بعد أن اختفى:

- موسى.

ظهر أمامها ثانيةً وهو يجيبها باهتمام:

- أمرك يا أميرة.

ابتسمت له قائلة:

- أشكرك.. على كل شيء.

أغمض عينيه مع انحناءة طفيفة من رأسه ثم همهم بصوتٍ خفيضٍ اختفى بعده:

- على الرُحب يا أميرتي.

نقلهم في وسط الصحراء القاحلة، بينما ضوء الشمس البرتقالي الذي مازال يعكس نوره على الرمال الصفراء، يكاد ينعدم بعد لحظاتٍ عندما يُتم الغروب أمره. لحق به يوناس ليرى أبيه يقف أمام روهان الصغيرة بعجزٍ بان على وجهه، ومن خلفها تقف سارافيم تنظر نحو أبيها بحذرٍ شديد، أما عن هند فقد كانت في سباتٍ وكأنها لوحٌ من الجليد تقف ثابتة دون حراك، وبالطبع هذه أوامر الصغيرة.

نزع بني النعمان عباءته من أعلى كتفيه ليتركها تسقط أعلى الرمال، ليقف عاري الصدر بجسده القوي، ينتقل بنظراته ما بين ابنته وحفيدته بحيرة، جعلت يوناس يتقدم نحو روهان ليسألها:

- ما الذي فعلتيه بهند؟!

رمقه بني النعمان بنظرةٍ سريعة وهو يجيبه بضجر:

- تعويذة سيطرة، وسوف تخبرني الآن من علمها إياها.

جلس على ركبتيه أمامها وهو ينظر لها بجدية جعلتها ترتجف أمامه ليُردف:

- أليس كذلك، يا روهان؟!

لم يستطع يوناس دحض شعور الأب بداخله، وللحظة أحس بالخوف من أبيه على ابنته، فانحنى نحو بني النعمان ليقول له بصوتٍ يرتجف:

- هل نستطيع إجراء هذه المحادثة في المنزل يا أبي؟!

أغمض بني النعمان عينيه وهو يصك أسنانة بغيظٍ كاد يحرق به ولده الغبي الذي يريد العودة للمنزل وهند وابنته بصحبتهم، وهو يعلم جيدًا أن أمه لا تعرف شيئًا عنهما. فتح عينيه ليتجاهل حديثه وهو يقف معتدلًا ينظر نحو ابنته بعطفٍ أبوي، وشيءٌ ما في داخله يجعله سعيدًا لرؤيتها وهو يقترب منها قائلًا:

- هل تعلمين أنني أنا من اخترت اسمك حين علمتُ بوجودك في رحم أمك؟

نظرت له بتعجب فأمها لم تخبرها بهذا الأمر من قبل، ليُكمل بني النعمان وهو يبتسم لها:

- أتعرفين معنى اسمُك؟!

حركت رأسها بالنفي، ليخبرها وهو يقترب منها، بينما ركضت روهان الصغيرة لتقف بين قدمي أبيها الذي ينظر نحو أبيه وأخته بتأثرٍ شديد:

- هو اسمٌ كان يطلقه أجدادنا على الكائنات المشتعلة، كانوا يسمونهم سارافيم أي الناريين.

لمعت عيناها بحزنٍ، لأنها ولأول مرة تشعر أن أبيها يهتم بها حتى قبل أن تولد، بل ويسميها باسمٍ له معنى يبدو أنه جميلٌ عندما حدثها عنه بهذه النبرة الحانية والفخر الواضح في نظراته لها.

ترقرقت عينيها بالدموع وهي تقول له:

- لم تركتني، ونبذتني، هل لأنني لا أصلح أن أكون ابنتك كما تقول أمي دائمًا عني؟!

تعالت أنفاس بني النعمان بأسى شديد على هذه الفتاة الجميلة ذات القلب الطيب كما يراها الآن، وكيف ربتها أمها وسممت عقلها بحديثٍ قاسٍ كهذا، تقدم يوناس خطوة وقد بدأ الغضب يظهرعلى جسده، فأوقفه أبيه بإشارةٍ من يده حين شعر به من خلفه، ليشير بني النعمان نحو هند التي ما زالت على وقفتها قائلًا:

- هي أخبرتك بذلك؟!

توتر جسدها لتؤمي رأسها بإيجاب، وهي تشعر بالحيرة، فهي لا تدري أيهما تصدق في هذه اللحظة؟! أمها التي عاشت معها سنوات وهي تقص عليها تلك القصص كل يوم، أَم أبيها الذي تراه الآن لأول مرة وتشعر نحوه بعاطفةٍ لم تختبرها من قبل، ولكنه يظل حتى هذه اللحظة غريبٌ عنها وعن حياتها. نظر بني النعمان بطرف عينيه نحو روهان الصغيرة وهو يقول لها:

- أيقظيها.

ترددت روهان فنظرت نحو والدها الذي بدوره نظر لأبيه، فصرخ بني النعمان بها:

- هيا نفذي الأمر.

اختض جسد سارافيم، فوقفت روهان أمام هند لتتلو تعويذتها بهمسٍ متقطع وفي نهايتها فرقعة إصبع جعلت هند تستيقظ من سباتها وجسدها يشتعل بالنار. أوقف يوناس ابنته خلفه سريعًا، في نفس اللحظة التي أمسك بها بني النعمان يد سارافيم ليسلمها لأخيها، قبل أن يحاوط هند بكلتا ذراعيه ويختفي بها من المكان وهو يقول لأبنه:

- عد بهما للقصر، ولا تُخبر أمك شيء حتى أعود.

نظر يوناس لأخته بابتسامةٍ عريضة وهو يقول لها:

- لقد تمنيت دومًا أن تكون لي أخت.

ضمت سارافيم حاجبيها بدهشة، ما الذي يقوله هذا الرجل وكأن شيئًا لم يحدث منذ قليل!

لم تستطِع كبت شعورها وهي تصرخ به قائلة:

- أين أخذ أمي؟!

اقترب يوناس منها وهو يرفع كفيه باستسلام قائلًا:

- لا تقلقي لن يفعل بها شيء.

ليستطرد بهمس:

- أظن ذلك.

أمسكت روهان يدها قائلة:

- لا تخافي يا عمتي فنحن الآن عائلتك.

ثم نظرت نحو أبيها:

- هيا يا أبي أعدنا للمنزل.

أمسك يوناس بيد صغيرته وهو مازال يبتسم بحالمية، ثم مد يده لأخته قائلًا:

- هيا.. سأعرفك على باقي عائلتك.

ترددت سارافيم وهي تنظر للخلف نحو موضع وقوف أمها بقلقٍ واضح، ليقترب منها يوناس وهو يربت على كتفها:

- لا تخافي سوف يعود للقصر.

نظرت سارافيم نحو يده بضيق، لتبعده عنها وهي تقول له بحنق:

- أنا لست قلقة عليه فأنا لم أرَه في حياتي سوى اليوم، أنا أريد أمي.

شعر يونـاس بسخافته، فقد ظن أنـها حين وقفت مع أبيه لبضعة دقائق أصبحت تتقبلهم وتعتبرهم عائلتها بالفعل. فعاد خطوة للخلف وقد تبدلت ملامحه المبتسمة لأخرى متجهمة وجدية وهو يقول لها:

- أعتذر منكِ على سوء تقديري لما تمُرين به الآن، صدقيني أبي لن يفعل بها شيء لأجلك.

تهدج صدرها بقوة وهي تقول له:

- لقد سجنها من قبل في سجنٍ سحري بعدما عرف بوجودي.

صك يوناس أسنانه بحنق قائلًا:

- كان من المفترض أن يقتلها بعدما فعلته بعائلتنا، ولكنه سجنها فقط من أجلك.

وقبل أن تتحدث مرة أخرى أوقفها يوناس بإشارةٍ من يده وهو يقول لها:

- أنا لا أعلم حقًا ما مررتِ به في حياتك، سواءً مع أمك أم حين كنتِ في جسد إنسية.

اندهشت لمعرفته، فأردف دون النظر لوجهها المصدوم:

- ولكنني أعرف حق المعرفة أننا عائلة يحلُم كل جِنيٍّ على وجه الأرض بالانتماء لها، لذلك سنكون سعداء جداً لو منحتِ نفسك فرصة للتعرف علينا.

شعرت سارافيم بالصدق في حديثه، وما شجعها على التقدم نحوه وإعطائه يدها، هو أن أمه إنسية وقد رأتها من قبل وشعرت بالسعادة الكبيرة حين تعرفت عليها، بل ورفضت أن تؤذيها بأي شكل، وذلك للطفِها الزائد معها ومعاملتها برفق لم تجده من أمها على الإطلاق، وكما عرفت من الصغيرة أنَّ أمها أيضًا إنسية، وهي تُكن للإنس حبًا خاصًا، فالطبع لن تندم على التعرف بهم، ولكن السؤال الذي يجعلها تتردد حقًا.. هو هل ستتقبلها روهان كونها ابنة زوجها من أخرى وسوف تعاملها بلُطف كما فعلت من قبل، أم أنها لن تتقبل وجودها بينهم وسوف تطردها لتُصبح بلا مأوى بعدما أفاق وِيْوَن ومؤكد سيعرف ما فعلته به. أوقفت هذا الإعصار الذي يموج في عقلها وقلبها على السواء، لتنظر نحو يوناس الذي ابتسم لها برقةٍ لتقول له:

- حسنًا سوف آتي معك لسببٍ واحد، أنا الآن بلا مأوى.

ربت يوناس على كفها بخفةٍ دون أن تتغير ملامح وجهه وهو يقول لها:

- لا أهتم بأسبابك، المهم بالنسبة لي هو أنني سوف يكون لي أختٌ في بيتي.

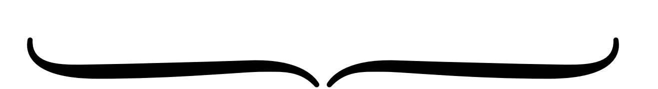
ابتسمت رغمًا عنها فاقترب من أذنها وهو ينظر لابنته قائلًا:

- هـل سـمعتِ مـن قـبل كـلمة بجـمال كـلمة عـمتي مـن فـم روهان؟!

هزت سارافيم رأسـها نفيًا، قبل أن ينقلهما يونـاس للقصر، فوجد إلينا تدخل من البوابة الكبرى بوجهٍ هـادئ وابتسامة غريبة ترتسم على شفتيها، ليكفهر وجهه وهـو ينظر نـحوهاً بدهشة، ما الذي اخرجها من القصر دون إذن! لقد تركها في صباح الأمس تبكي وتنوح على ابنتها، وحين فشل في تهدئتها جعلها تمكث مع أمه حتى يعودا، فما الذي حدث لها لتُصبح بهذه السعادة والهدوء وابنتها مختطفة!

رفع صوته الغاضب وهو يكشر عن أنيابه بطريقةٍ حادة:

- أين كنتِ يا إلينا؟!



الفصل الرابع عشر

بعدما أحكم قبضته عليها بشكلٍ قوي، وهو يتمتم تعويذة جعلتها لا ترى المكان الذي يصحبها إليه،

نقلها إلى أقصى الأرض في مكانٍ يُسمى «بوابات الجحيم»، إنه حقل غاز طبيعي داخل كهف تحت الأرض. قام الجيولوجيون بإضرام النار فيه لمنع انتشار غاز الميثان، وهو مشتعل منذ عام 1971، ويقع وسط صحراء كاراكوم. دلف بها بني النعمان داخل الكهف، ثم أغار عليه بحجر كبير من الداخل حتى لا تستطيع الهروب منه، وبمجرد أنَّ وقفت على حافة النيران تمتم ببضع كلمات عاد على إثرهم نظرها. انقضت عليه بينما هو مازال واقفًا بثباتٍ ينظر إليها، لتصرخ به:

- كيف جرؤت على ذلك، سوف أقتلك يا بني النعمان.

تركها تُفرغ غضبها به قليلًا قبل أن يُمسك بكلتا يديها رافعًا إياها فوق الفوهة النارية وهو يقول لها:

- سوف تهدئين الآن، قبل أن أفقد آخر ذرة صبر ما زلت أحملها لكِ وأضعك في قلب هذه النيران.

زمجرت بضيق فرفع رأسه ينظر إليها وهو يقول:

- لن أستطيع حملك هكذا لمدة طويلة، هيا قرري في الحال.

صرخت به وعيناها تزداد احمرارًا من الغضب:

- حسنًا اتركني.

سحب كلتا ذراعيه من خصرها، لتقف أرضًا وهي تضبط هندامها الذي تهدل بسببه. ليقترب بني النعمان منها بضع خطواتٍ وهو يقول لها بضيقٍ ظهر على عينيه التي تبدل لونها للأسود القاتم:

- ما الذي أخبرتِ به ابنتي عني؟!

اقتربت بوجهها منه قائلة:

- أنك خائن ومخادع وتركتنا من أجل الإنسية وابنها، وأنك حين تراها سوف تقتلها على الفور لأنك تكرهها ولا تريد جنية ضعيفة مثلها تكون من نسلك.

كانت عيناه تزداد قتامة مع كل كلمة قاسية تنطقها، وهو يحاول أن يتخيل كيف قامت بتربية ابنتها بهذه القسوة والعنف، وكيف تكونت شخصية ابنته الآن في ظل هذا الحقد الذي حاوطها من أمها.

كان عاجزًا عن الرد عليها لدرجة أنه لم ينطق سوى جملة واحدة:

- كيف استطعتِ فعل ذلك؟!

تهدجت أنفاسها وهي تحاول كبت دموعها ألا تسقط أمامه لتجيبه بكل ثباتٍ حاولت إظهاره :

- كما استطعت أنت تركنا وخيانتي.

هز بني النعمان رأسه بقوةٍ وهو ينظر لها بشراسة قائلًا:

- أنتِ تعرفين أن هذا ليس صحيحًا.

أمسكت ذراعه بقوةٍ تعتصره بين يديها من سخطها عليه وهي تقول له:

- حتى وإن خدعني أبي في بادئ الأمر.

ثم نظرت نحو خاتمه لتُردف:

- أنت قد فعلت قبله حين كسرت الرباط بيننا، وأنا استمريت لأعوام لا أفهم كيف اقتنعت بموتي وأنت ما زلت على قيد الحياة! وكيف ظللت مخدوعة بك كل تلك السنوات، وحين ظهرت أنا مرة ثانية ما الذي فعلته عندما عَلمت بأمري ؟!

ازداد غيظها لتضربه بكلتا كفيها على صدره حتى اهتز جسده وعاد للخلف وهي تصرخ به:

- سجنتني في مكانٍ عفن، وذهبت لزوجتك الغالية لتتمتع بجسدها الهزيل.

أمسك كلتا كفيها اللذان كانتا على صدره وهو يُغمض عينيه بقوة يحاول فيها تمالك نفسه، فقد ضربته هند الآن في مقتل، الجميع يظن أنه يعيش سعادته مع روهان بينما هو يعاني منذ أن ظهرت هند في حياته،

لم يعرف أن أن محاولته فشلت في حل الرباط ولم يعلم بفشله هذا إلا حين وجدها على قيد الحياة، ومنذ ذلك الحين وقلبه ينشطر نصفين بينهما، لقد حاول مرارًا أن ينسى عودتها ولكنه لم يستطع إخراجها من عقله وقلبه معًا، لقد استحوذت على قلبه وجسده منذ أن كانت زوجته، وقد عاش معاناة لم ينسها حتى الآن حين خرجت من حياته، لتعود بذكرياتهما معًا تقض مضجعه كل ليلة وهو يتمنى قربها بهذا الشكل، لقد عاتبها كثيرًا بينه وبين نفسه على ما فعلته حين ظهرت وكيف أنها تركت الغضب يعميها عما يشعر به نحوه. سحبت كفيها من بين يديه لتضعهما على وجنتيه وهي تقول له بتأثر:

- افتح عينيك.

امتثل لأمرها مسحورًا بعينيها الحمراء اللامعة، لتضع كفها موضع قلبه وهي تقول له:

- أنا أعلم أنني ما زلتُ هنا.

ابتلع ريقه بصعوبةٍ بالغة، لتهمس له برغبةٍ قاتلة لحواسه:

- نعمان، أنا ما زلتُ زوجتك.

التقط نفسًا عميقًا وهو يضغط على كلماته بضيق:

- لمَ اقتحمتِ قصر أبي وفعلتِ فعلتكِ هذه، بالله عليك أجيبني!

ما الذي منعك من مقابلتي بشكلٍ طبيعي حين علمتِ بخدعة أبيكِ.

لم تستطع في هذه اللحظة أن تمسك دموعها، لتبدأ في التساقط وهي تقول له بحُرقة وصوتٍ ينبض بالألم:

- لقد فعلت ذلك وأتيتك راكضة ولكنني وجدتك..

توقفت ولم تستطِع إكمال جملتها، فسحبها بهدوء لأحضانه، لتُجهش في بكاءٍ مرير كانت تكتمه منذ سنوات.. تركها بني النعمان تُفرغ كل ما بداخلها على صدره، واكتفى بتحريك كفه برقة على خصلات شعرها الغجري الذي يماثل لون عينيها المميز، لتزفر بعد عدة لحظات وهي تبتعد عن صدره، لتجفف دموعها بهدوءٍ قائلة:

- حين عرفت بخُدعته، تركت ابنتي الرضيعة مع مويرا، وركضت لقصر أبيك على الفور، فوجدت الحكيم أبا اليزيد يدخل القصر بدفتره ومن خلفه زيتون، فتسللتُ للداخل وأنا أتمنى الموت على أن تكون ظنوني صحيحة، حتى توقفت خلف باب الغرفة السرية، لأجده يعقد قرانك على الإنسية.

ارتعشت شفتيها وقبل أن يتحدث أوقفته ودموع عينيها تأبى أن تسقط ثانية وهي تقول له:

- شعرتُ حينها أنك تمزق قلبي أشلاءً بنظراتك التي كنت تهديها إياه، لم أتحمل أن أراك تعشق غيري بهذا الشكل، اختفيتُ على الفور وقررت ألا أحتفظ بابنتي منك حتى لا أضعف نحو شياطيني وأقتلها، لذا وضعتها في جسد إنسية وقررت من حينها أن أنتقم منك على ما فعلته بقلبي.

أمسك بني النعمان كفيها بحنو وهو يمرر إبهامه في باطنهما قائلًا:

- لم أكن أعلم بوجودك يا هند.

- اتسعت حدقتيها وهي تبتعد عنه قائلة:

- سنظل ندور في هذا الفلك إلى مالا نهاية، لقد سئمت حقًا.

جلست أعلى الصخور وهي تُرخي قدميها تجاه النيران، ليجلس بني النعمان بجوارها قائلًا:

- - لمَ كذبتِ على ابنتي حتى تكرهني لهذا الحد.

رفعت زاوية فمها بابتسامةٍ عبثية وهي تنظر نحو النيران المشتعلة:

- لا تقلق، ابنتك لا تكرهك، بل وتعرف جيدًا أنني كاذبة، سارافيم لا تكره في هذا الكون أحد سواي.

نظر تجاهها بتعجب، لتلتفت نحوه وهي تُردف:

- لقد اخترت منذ زمنٍ بعيد أن أظل الوجه السيئ في جميع الروايات، فمثلي لا يليق به دور الطيب.

اقترب منها بحزنٍ وهو يهز رأسه نفيًا:

- لا تقولي ذلك يا هند، أنتِ لست كذلك.

ابتسمت والحزن يحتل ملامحها البائسة:

- بالطبع؛ لذلك قمتُ بحبسي.

وضع كفه على وجهها برقة وهو يقول لها:

- كُنت غاضبًا منكِ لما فعلتيه بعائلتي.

رفرفت بأهدبها لتتعالى أنفاسها من لمسته الحانية وهي تقول:

- لقد كنت على وشك أن تقتلني، ولم تتركني إلا حين أخبرتُك بوجود ابنتك.

حرك رأسه مرة واحدة وهو ينظر نحو شفتيها قائلًا:

- تعلمين أنني لم أكن لأفعلها، حتى وإن لم تُخبريني بوجود سارافيم.

اضطربت أنفاسها وهي تسأله:

- هل اشتقت إلي؟!

لم يستطع الإجابة وهو يقترب من شفتيها ليُقبلها بنهم دام لسنوات تمنى بها قُربها منه بهذا الشكل.

تعمقت قُبلاته ليحملها للأعلى في مكانٍ آمن وهو يعتصر جسدها بشوق، ليأتيه صوت روهان يقتحم كل خلية في بدنه وهي تناديه:

- نعمان أريدك في الحال .

انتفض فزعًا وهو ينظر نحو هند التي اشتعلت عينيها عندما ابتعد عنها، لتقف بجسدٍ يرتعد وهي تقول له:

- ستتركني الآن؟!

كان تائهًا مثل طفلٍ صغير فقد أمه في مكانٍ مزدحم، ظل يلتفت حوله وهو ينظرٍ نحو هند تارة ولجسده تارًة أخرى، يود لو يفتك بقلبه الذي يعتصر ألمًا بداخله الآن وفي الحال، هو لن يستطيع عدم تلبية نداء روهان، ولن يقدر على ترك هند في اللحظة والذهاب إلى زوجته التي ستكتشف في الحال خيانته، ليردد بصوتٍ ضائع:

- ما الذي فعلته؟!

وقع الكلمة على أذنه جعلته يدخل في إعصارٍ أكبر من ذي قبل، هند لن تصمت ثانية، وهو أضعف من أن يخسر روهان، فلو حاول أن يجعلها تسامحه على إخفائه لأمر هند وابنته، فمن المستحيل أن تسامحه على ما فعله مع زوجته الأولى منذ لحظات. وضعت هند كلتا كفيها على وجهه لتجعله ينظر نحوها قائلة:

- نعمان أرجوك لا تتركني.

زاغت نظراته تجاهها وكأنه لا يراها، وفي خضم معاركه هذه سمع صوت روهان مرة أخرى؛ ليفق من شروده، مرتديًا ملابسه على عجلٍ وهو يقول لهند بتوسل:

- أرجوكِ يا هند انتظريني هنا.

ثم اختفى وهو يسمعها تلعنه بكل لفظٍ محرم .

اختض جسد إلينا من هياج صوته وهو يناديها، فنظرت نحوه بدهشة من هذه المسافة الفاصلة بينهما، لتجد ابنتها تقف أمامها قائلة بسعادة:

- لقد عُدت يا أمي.

صاحت إلينا بمرحٍ وهي تحتضن صغيرتها وتبكي من فرحتها بينما ظلت تُقَبِل كل جزء في وجهها وهي تقول لها:

- لقد عدتِ يا ابنتي، حمدًا لله ..

ثم أبعدتها قليلًا وهي تتفحص جسدها قائلة:

- هل أنتِ بخير؟! هل أذاكِ أحد يا حبيبتي ؟!

تذمرت روهان قائلة بضجرٍ:

- توقفي يا أمي لمَ كل هذا؟! أنا لم أغِب عنكِ سوى يوم واحد، لا تقلقي لم يُخلق حتى الآن من يستطيع أذيتي.

قامت إلينا بقرص وجنتها بخفة قبل أن تعود لتقبيلها وهي تقول لها:

- لقد أصبحتِ متباهية مثل أبيكِ وجدك أيتها الفراشة الصغيرة.

عين سارافيم كانت مثبته عليهما، فلم تستطع أن تسيطر على دمعتها الهاربة وهي تتذكر الإنسية التي كانت تعتبرها أمها حتى عرفت حقيقة هويتها. لقد كانت تحبها مثل إلينا هكذا، وكانت تُقبلها مثلما تفعل إلينا لابنتها، لقد اشتاقت لهذه المشاعر بشدة، وعوضًا عن ذلك لم تشعر من أمها الحقيقية سوى بالبُغض والكره والانتقام. انتقل يوناس ليقف أمامها وهو يأخذ روهان من بين يديها قائلًا:

- اتركيها الآن.

ضمت إلينا حاجبيها وهي تسأله بحيرة:

- لمَ تأخذها مني؟!

تجاهل سؤالها، ونظر نحو ابنته وهو يمسد خصلات شعرها قائلًا:

- اصطحبي سارافيم للداخل وانتظريني قليلًا، ولا تخبري جدتك بشيء.

أحنت إلينا رأسها حتى كتفها، ووقفت على أطراف أصابعها لتتخطى جسد يوناس الواقف أمامها حتى ترى الفتاة التي خلفه متسائلة:

- من هذه الفتاة؟!

فتحت روهان فمها فأوقفها يوناس بنظرةٍ حازمة وهو يأمرها:

- افعلي ما أمرتك به.. حالًا يا روهان.

ركضت الصغيرة وهي تتذمر، لقد كانت تود أن تُخبر أمها عن عمتها وترى ردة فعلها المندهشة التي تمثل أجمل ما في البشر من وجهة نظرها، ولكن يبدو أن أبيها في حالة غريبة منذ أن رآها أمام القصر، فهمست روهان بابتسامةٍ عابثة وكأنها اطلعت على عقل أبويها:

- لقد بدأ الاثنان في خوض لعبة خطيرة، وأنا متحمسة لرؤية من سيربح في النهاية.

٢٢٧

وقفت الفتاة أمام سارافيم وهي بنفس الابتسامة لتقول لها:

- تعالي معي للداخل، سيلحق أبي بنا بعد قليل.

وعلى بوابة القصر الداخلية وجدت نعمان الصغير أمامها فاغرًا فاه حين رآها، لتضُم روهان كفيها وهي تنظر لأخيها بلمعة عين مُحببة له قائلة:

- هل اشتقت لي يا عفريت.

أخذها نعمان في أحضانه وهو يمسد شعرها قائلًا:

- جدًا جدًا يا شيطانة.

كان مشهد لطيف أمام أعين سارافيم اللامعة التي تذكرت على الفور قول يوناس لها..

- لقد تمنيت دومًا أن تكون لي أخت.

ابتسمت وهي تتفهم قوله هذا، مؤكد أنه يغار من ولديه..

مدت روهان ذراعها نحو سارافيم وهي تقول لأخيها:

- أعرفك على عمتنا.

جحظت عينا نعمان وهو يرفع رأسه ليرى وجه سارافيم مرددًا:

- عمتنا! كيف؟!

أمسكت روهان بكفها وهي تسحبها خلفها بينما تُجيبه:

- سيأتي جدي بعد قليل وسيخبر جدتي بالأمر، بينما أبي سوف يخبر أمي وأنا سأخبرك بالداخل، هيا بنا.

وفي هذه الأثناء كان يقبض يوناس على ذراع إلينا بقوة وهو يسألها للمرة الثالثة:

- من كان معكِ يا إلينا، أجيبيني وكُفي عن المراوغة.

صكت أسنانها بغيظ وهي تقول له:

- قلت لك جلست بمفردي، وعزفتُ قليلًا وحين عم الظلام عدتُ للمنزل، أين المراوغة في حديثي؟!

ظل يدقق النظر لحدقتيها، فأردفت بغضب:

- لا يهمني إن كنت تصدقني أم لا، اترك ذراعي الآن ودعني أدخل لأبنائي.

ترك ذراعها وهو مازال ينظر إليها قائلًا:
- حسنًا يا إلينا، سأعرف من كان معكِ بطريقتي.

ثم اختفى من أمامها وتركها تتنهد براحة، لقد كانت على وشك أن تعترف له لو استمر بالضغط عليها للحظات أخرى، وسوف تكون رقبة موسى المسكين هي ثمن تهورها. أخذت عدة أنفاس وخطت للداخل وهي تُتمتم:

- لنرى من هذه الفتاة التي جاءت معه.

ثم عضت على شفتها السفلى بحنقٍ وهي تهمس:

- ويجرؤ على محاسبتي.

عبرت بوابة القصر الداخلية لترى خالتها تجلس على ركبتيها وهي تحتضن روهان الصغيرة بثباتٍ، وتربت على ظهرها بخفة قائلة:

- كُنت أعلم أنكِ مقاتلة أشجع من جدكِ وأبيكِ.

أنهت جملتها وهي ترمق يوناس الواقف بجوار سارافيم بتوترٍ واضح، ليقترب منها وهو يمد لها يده لتستند عليه كي تقفً، ولكنها تجاهلته ووقفت بمفردها برشاقة وهي تبتسم لسارافيم قائلة:

- أنا أتذكركِ جيدًا.

هزت رأسها بإيجابٍ وهي تقول لها بصوتٍ مُضطرب:

- اسمي سارافيم، لقد التقينا في مملكة العماليق.

اقتربت منها روهان لتُصافحها، ثم التفتت نحو ولدها لتسأله بمكرٍ:

- هل سارافيم هي من أنقذت روهان؟!

أطلقت روهان الصغيرة ضحكة عالية رغمًا عنها،

فرمقها يوناس بنظرةٍ جعلتها تُمسك بيد أخيها وتختفي على الفور قبل أن يحرقها بعينيه.

ثم نظر نحو أمه ليجيبها:

- لا يا أمي، ولكن أبي طلب مني أن أنتظر مجيئه وسوف يُخبركِ هو بكل ما حدث.

لم تتغير ابتسامتها الحانية، وهي تمد يدها لسارافيم لتصافحها وبيدها الأخرى تربت عليها وهي تردد:

- لا يهمني من أنتِ، فقد أحببتك منذ أن رأيتك في المرة الأولى، ومعرفة هويتك لن يُغير شيء من ودي معك، لقد أنرتِ قصرنا يا سارافيم وسعيدة جدًا برؤيتك ثانية.

ثم نظرت نحو إلينا قائلة:

- أكرمي ضيفتنا يا إلينا وأريها القصر، واجعليها ترى الغرفة الغربية فسوف تكون مسكنها من الآن.

ضيقت إلينا عينيها وهي تنظر لخالتها بغرابة، بينما جحظت عينا يوناس بدهشة فتركتهم روهان متعجبين وصعدت لغرفتها، فنظرت إلينا نحو يوناس الذي بدوره تطلع إليها.. فأمه لا تسمح لأحدٍ بدخول الغرفة الغربية، فهي غرفتها المفضلة لأنها تزوجت نعمان بها،

فلا يجوز لأحدٍ من العائلة النوم فيها أو حتى الاقتراب منها، فضلًا عن ضيفةٍ لم تعرف هويتها بعد! راقبتهم سارافيم بحيرة وهي تتسأل:

- ما بها الغرفة الغربية؟!

نظر لها الاثنان دون نطقٍ، فأردفت:

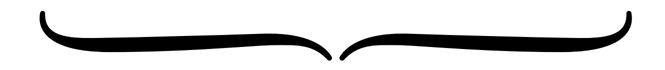
- هاااي، ما بكما؟!

تنحنح يوناس بينما مدت لها إلينا ذراعها قائلةً :

- هيا بنا سوف أريكِ القصر، وستعرفين لاحقًا ما بها الغرفة الغربية.

وقفت روهان في منتصف الغرفة بعدما أمرت أحد خُدام عِفِرِّين بنقل كل أغراضها لقصره منذ أن رأت سارافيم تخطو من داخل البوابة الكبيرة بصُحبة ولدها، دلفت لدورة المياة الخاصة بها، لتغسل وجهها بالماء البارد عدة مرات حتى تهدأ، ثم خرجت دون أن تجففه وهي تأخذ بضعة أنفاس متتالية أمام شرفتها حتى استكان جسدها قليلًا، لتعودَ للجلوس على فراشها بثباتٍ تناديه:

- نعمان.. أريدك في الحال.



الفصل الخامس عشر

اصطحب الأخوان أخيهم وِيْوَن داخل القصر، وتركوا والدهم ياوي يخطب بشعبه، ليوضح لهم أن هند الجنية الساحرة قد لعبت بالجميع انتقامًا لما فعلوه بها، ووعدهم بمفاجأةٍ قريبة جدًا سوف تُسعد جميع الممالك. ثم طلب من الجميعً الانصراف وهو ينظر نحو الملكين اللذين وافقا على سجنه وتوليّ ابنه الحكم مادام معه أنسية ذات دماءٍ نقية، دون النظر له وما فعله لأجل الخمس ممالك من قبل.

نظر ملك مملكة الرماديون لملك مملكة الأناونكي، ليتحدث الأول بخجلٍ:

- نحن جميعًا نعلم أنك تبحث دومًا عن مصلحة الجميع، لذا لم تكن لتمانع وجودنا هنا، وقد كان شرطنا لولدُك واضحًا للغاية.. سوف نرى أولًا ما الذي سيقدمه لنا وبعدها سوف نتخذ قرار دعمنا له أم.. لا.

اكتفى ياوي بإيماءة من رأسه، ثم أدار لهما ظهره وهذا في عرفهم خطأٌ كبير، ولكنهما يعلمان أنهما استحقا هذا بفعلتهما؛ لذا لم يُعقب أحدهما ليأتيهما صوت ياوي وهو يقول لهما:

- سوف أدعوكم قريبًا لاجتماعٍ طارئ لأعرض عليكم مشروعي الذي أعمل عليه منذ سنواتٍ مضت، من أجل الجميع؛ ولم أختص به مملكتي بمفردها.

دخل ياوي القصر ليجد ولديه يقفان بجوار أخيهم وِيْوَن، الذي بدوره يجلس على مقعده وهو يضع كلتا كفيه أعلى رأسه بحزنٍ كبير، بعدما أخبره أخيه الأصغر يَاتْ ما فعله حين كان مسحورًا بيد زوجته وأمها. أشار ياوي بعينه لولديه ليغادرا من القصر تاركين إياهما بمفردهما، جلس ياوي بجوار ابنه وهو يطلب منه:

- انظر لي يا بني، أريد التحدث معك.

هز وِيْوَن رأسه نفيًا وهو يقول له بصوتٍ يملؤه الحسرة والألم:

- لا أستطيع النظر نحوك يا أبي، لقد أخبرني يَاتْ ما فعلته بك.

وضع ياوي يده على كتف ابنه بحنانٍ وهو يقول له:

- ألم يخبرك أنك كنت تحت تأثير السحر، ولم تكن واعيًا لما يحدث؟!

رفع وِيْوَن رأسه دون النظر لوالده قائلًا بأسى شديد:

- أنا لا أستطيع أن أصدق أن سارافيم فعلت بي هذا.

ثم نظر إليه بعينين تلمعان بدموعٍ تأبى أن تسقط ليردف:

- كيف امتلكت هذه القدرة على إيذائنا، فنحن عائلتها! كيف استطاعت فعل ذلك، أجبني يا أبي أرجوك.. سأُجن.

ربت ياوي على كتفه وهو يحاول تهدئته بقوله:

- هون عليك يا ولدي، يبدو أن الشيطانة أمها قد هددتها أو يجوز أنها سيطرت عليها أيضًا بشكلٍ ما حتى تطيع أوامرها. تعلقت عيناه بأبيه وهو يهز رأسه نفيًا:

- لا تخدعني يا أبي، هي لن تسحر ابنتها أبدًا؛ لقد سحرتني سارافيم بكامل إرادتها، أنا واثقٌ من ذلك.

وقف ياوي وهو يمُد كفه لولده قائلًا:

- كل شيء سيتضح في وقته، لا تتعجل بالحكم على أحد، هيا بنا الآن نذهب للمختبر كي نطمئن على معجزتنا فليس فليس لدينا وقتًا كافيًا للحفاظ عليه، يجب أن نجد حلًا في أسرع وقت.

وقف وِيْوَن جوار والده بثباتٍ، وقلبه ينفطر ألمًا على زوجته التي قامت بخداعه رغم عشقه الكبير لها، بينما يُقسم بداخله أنه لن يمرر ما فعلته بهم ببساطة هكذا.

انطلقا الاثنان نحو المختبر المُغلق ببصمة ياوي الشخصية، ففتح بابه بقلبٍ يرتجف أن يكون هذا الجنين قد حدث له مكروه، ولكنهما حين دلفا للداخل تجمدت أجسادهما، لتجحظ عينيهما بدهشة لما رأوه أمامهما.

ترك يوناس إلينا تغادر مع أخته التي أوصلتها للغرفة وهي تقول لها:

- أعتذر عما سوف أسأله لكِ، ولكنني لا أعلم من أنتِ، وكيف سمحت خالتي لكِ بدخول هذه الغرفة رغم أنها تُحرم على جميع من في القصر بدخولها.

سألتها سارافيم بغرابة:

- لقد فهمتُ هذا منذ قليلٍ من دهشتكما، ولا أعلم لمَ هي محرمة هكذا، ولا أعلم أيضًا لمَ منحتني إياها.

أنهت سارافيم جملتها وهي تجلس على طرف الفراش، لتتربع إلينا جوارها وهي تنظر نحوها قائلة:

- وأنا أيضًا لا أعرف ما بها خالتي منذ صباح اليوم، لقد تبدلت أحوالها فجأة، وصارت تصرفاتها غريبة جدًا بالنسبة لي.

ضيقت سارافيم عينيها وهي تقول لها:

- يبدو أنها تمر بوقتٍ عصيب، وأرى أن الجميع هنا يمرون بنفس الحالة.

رفعت إلينا حاجبيها وهي تردد:

- لهذه الدرجة يظهر علينا البؤس.

ابتسمت لها سارافيم وهي تقول لها:

- لا تقلقي فأنا مثلكم.

وقبل أن تسألها إلينا عن قصتها، استطردت سارافيم:

- انتظري سأجيبك عن سؤالك أولًا، أنا ابنة بني النعمان من زوجته الأولى، وبالتالي فأنا فعليًا أخت زوجك.

انتفضت إلينا من الفراش بجزعٍ وهي تشهق قائلة:

- ما الذي تقولينه؟! لقد ماتت زوجته الأولى مُنذ زمنٍ بعيد؟!

أمسكت سارافيم كفها لتجعلها تجلس جوارها ثانية وهي تقول لها:

- لا لم تمت لقد سجنها فقط، اهدئي وسأقص عليكِ الحكاية كلها.

وفي هذه الأثناء انطلق يوناس للخارج ينادي على ابنته بلهجةٍ صارمة، فأتته على الفور هي وأخيها يرتجفان من صوت والدهم القوي الذي لا ينم عن خيرٍ فعلوه، تغيرت عين يوناس للأسود القاتم وهو ينظر لابنته بثبات قائلًا:

- والآن اخبريني من علمك السحر.

نظرت نحوه بثباتٍ مُماثل وهي تقول له ببراءة:

- لم يعلمني أحد يا أبي، كنت أرى جدي و..

رفع يوناس سبابته أمامها وهو يجثو على ركبتيه، ليحاوطها بكلتا يده وهو يتطلع نحوها بتحذير:

- هل تعلمين أنني أعرف جيدًا من يكذب عليّ؟! ولا أسامحه أبدًا.

وقبل أن تتحدث ثانيةً أكمل مقاطعًا إياها:

- إما أن تقولي الحقيقة كاملة، أو تعتذري عن الإجابة وحينها سأنتظرك حتى تأتين بمفردك لقول الصدق.

لم تهتز حدقتيها كما كان يعتقد، بل وجدها تُحدثه بكل شجاعة قائلة:

- حسنًا يا أبي، أمهلني بعض الوقت وسآتي إليك لأخبرك بكل شيء.

ليجد نفسه يتساءل بدهشة.. «متى كبرت هذه الفتاة هكذا؟!»

وقف بهدوء وهو يقول لها بنفس الجدية:

- وأنا أنتظرك يا روهان، والآن تستطيعين الذهاب.

اختفت من أمامه وقبل أن يتبعها أخيها؛ أشار لأبيه كي ينحني ليسمعه، تقوس يوناس بتعجبٍ فوجده يهمس له وهو يعطيه ورقة:

- سوف تجد وشمًا في هذه الورقة يماثل ما طبعه الساحر عند نهاية عُنق روهان، وهو وسمٌ يطبعه الساحر على تلاميذه كي يتفاخر بهم أمام أقرانه.

سمع صوت أخته تناديه فاختفى من أمام أبيه على الفور حتي لا تشعر أنه يوشي بها، أمسك يوناس الورقة بشرود وهو لا يصدق ما قاله له ولده من معرفته بالسحرة وما يفعلونه، ومن تمكُن ابنته من سحرٍ مُحرم على عالمهم المنتمي للمسلمين. فتح الورقة لينظر نحو الوشم الذي كان عبارة عن وجهان متضادان أحدهما كشابّة جميلة تُظهر مفاتنها بشكل سافر والآخر شيطان ملتحّي بشع مع قرون ومسامير مدبّبةً جدًا. جحظت عين يوناس فآخر ما يمكنه التفكير به أن تكون تعلمت السحر على يد أحد الشياطين! انقبض قلبه بقوة فهولاء لا يفعلون شيئًا مجاني، فما المقابل الذي تلقاه لتعليمها؟! ومن أعطاه هذا المُقابل؟! والأهم من هذا وذاك من هذا الشيطان الغريب فهو لأول مرة يرى هذا الوشم! انطلق دون تفكير نحو قبيلة الشنفري، فمؤكد كيبورا يعرف من هذا، وحين يعرفه سوف يذهب إليه ويعرف منه من الذي أعطاه ابنته وحينها لن يتردد لحظة في قتله، فيبدو أن إلينا كانت مُحقة بالفعل. وصل يوناس لبوابة القبيلة، وبعدما أعاد ما فعله من قبل، انفتحت له البوابات ولكنه وجد عدة جنود من حرس القبيلة يقفون أمامه بغضبٍ شديد ليسأله قائدهم:

- لم يستدعيك أحدٌ من القادة، فما الذي جاء بك

وقف يوناس فاردًا جسده بقوة وهو يقول له:

- أريد مقابلة كيبورا في أمرٍ هام.

نظر بعضهم لبعضٍ بضيقٍ شديد، فمن هذا الذي يجرؤ على دخـول قـبيلتهم دون إذن ويـنطق اسـم سـيدهـم هـكذا دون خجل. تقدم قائدهم أمام البقية وهو يقول له بغلظة:

- قبيلتنا مكانٌ مُحرمٌ على جميع الجن إلا من أذن لهم قادتنا بالدخول، سيدي كيبورا ليس من أحد أصدقاءك حتى تأتي إلـى هـنا دون إذن أو استـدعـاء وتـريـد مـقابـلته وأنـت تـنطق اسمه هكذا مُجردًا، اخرج من هنا الآن ولا تعد ثانيةً وإلا..

وقـبل أن يُـتم جـملتهُ ظـهـرت تـيما أمـام الـقائـد وهـي تـأمـره بصوتٍ قوي:

- اتركه يا عارم، فأنا سأتولى أمره من هنا.

أحنى عارم رأسه وعيناه تضج بلهيبٍ واضحٍ وهو يقول لها:

- أمرك يا سيدتي.

انسحب عارم وجنوده، فشعر يوناس أنها كشفت أمره عندما أحست بوجوده، فالسبب الرئيسي لمجيئة هو بالفعل رؤيتها رغم خداعه لنفسه بسببٍ آخر وهو الوشم، الذي كان من السهل معرفته بسؤال جده أو حتى بالبحث في الكتاب داخله. حاول التمسك وإخفاء مشاعره حين التفتت تيما نحوه بعينيها المتلألأة بسحرٍ خلاب، لتضيف لجمالها ابتسامة هادئة وهي تقول له:

- أهلًا بك في قبيلتنا في أي وقتٍ يا يوناس.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يبادلها ابتسامتها بأخرى متوترة:

- شكرًا لكِ؛ لقد أتيت..

اقتربت خطوة منه وهي تقاطعه:

- دعنا نذهب إلى القصر أولًا وهناك اخبرني عما تريده.

عيناه تلونت بالرمادي الفاتح، لتضيق تيما عينيها وهي تسأله بصوتها الفاتن:

- ما معنى اللون الرمادي إذًا؟!

تنحنح بحرجٍ وهو يقول لها:

- لا يعني شيئًا.

ثم استطرد وهو يشعر بحرارة جسده تعلو فوق المعتاد:

- هل تسمحين بنقلي للقصر.

أحنت رأسها وما زالت ابتسامتها ترتسم على وجهها المليح وهي تقول له:

- بالطبع.

وقبل أن تنتقل به اقتربت من أذنه فتعالت أنفاسه بتوتر بالغ وهو يسمع صوتها الخافت الذي سيطر على كل خلية في جسده وهي تقول له:

- بالنظر لأنفاسك المضطربة هذه، أعتقد أنني أعرف الآن ما معنى اللون الرمادي.

وصل نعمان للقصر وقلبه يهدر بشكلٍ مبالغٍ فيه، لدرجة أنه لم يستطع الانتقال نحو غرفته مباشرةً،

ففضل أن يقضي ولو بضعة دقائق يحاول فيها التفكير فيما سيقوله لروهان، مع وضعه لأسوء ردود فعلٍ سوف تصدر منها، وتفكيره في السيطرة عليها قليلًا حتىً يجد حلًا مع هند. فكر للحظة الذهاب لأبيه ولكن عدل عن الفكرة على الفور، فمؤكد الملك الأبيض سيفعل به الكثير، وهو الآن لن يستطيع تحمل لوم أو عتاب، يكفيه ردة فعل روهان. تنهد بعمق ونادى على شاص الذي حضر على الفور ملبيًا:

- أمرك يا سيدي.

سأله بني النعمان بضيق:

- أين أخيك بارئ؟!

وقف شاص بتأهبٍ ليسأله بقلق:

- ما الذي فعله ثانية يا سيدي؟!

صك نعمان أسنانة بغضبٍ وهو يقول له:

- لقد خدعني للمرة الثانية هو والحية التي تزوجها.

غامت عينا شاص وهو يردد بصوته الخشن:

- سأقتلهما في الحال.

أوقفه بني النعمان قائلًا:

- لا.. لن تفعل، احتفظ بهما فقط ولا يخرجا من هذا القصر حتى آمرك بخلاف ذلك.

اكتفى شاص بانحناءة هادئة تخالف غضبه الذي يشتعل داخله بسبب أخيه الخائن، ثم انصرف من أمامه، ليغمض بني النعمان عينيه مرددًا بعضًا من الذكر قبل أن يظهر في غرفته أمام روهان التي تجلس على طرف فراشها بوجهٍ مبتل تنساب منه بضع قطرات من الماء على أرضية الغرفة وهي تحني رأسها للأسفل بينما قلبها يلتاع من الألم الذي تحاول جاهدة أن تتحكم به حتى لا تنهار أمامه.

ظل على وقفته دون أن ينطق حتى رفعت هي رأسها نحوه بثباتٍ تجاهد للحصول عليه:

- بعثتُ ابنتك مع أخيها للقصر، ومكثتُ معها أكثر من ثلاثون دقيقة، هل من حقي معرفة ما الذي فعلتوه سويًا أم أن هذا الأمر لا يعنيني؟!

وقفت روهان في هذه اللحظة تنظر نحو عينيه الغائمة بصدمة معرفتها بكل ما كان يخفيه،ليحوم في عقله سؤال يتردد صداه بقوة حتى قام بنطقة وهو يحاول التحكم في لهاثه:

- من أخبركِ بكل هذا؟!

أطلقت روهان ضحكة استهزائية تحمل مرارة قلبها المكلوم، لتتوقف بغضبٍ ظهر جليًا على عينيها ولكنها قامت بمحوه على الفور لتقف بصلابة زائفة وهي تقول له :

- هل هذه إجابة سؤالي؟!

وقبل أن يتحدث رفعت كفها أمامه بعنفٍ وهي تُردف:

- هل تعلم، أنا بالفعل مخطئة.

ثم اقتربت منه بوجهٍ صارم لتُكمل:

- فهذا الأمر لم يعد يخصني بعد.

ثم ابتعدت عنه فأمسك ذراعها قبل أن تخطو في اتجاه باب الغرفة وهو يسألها بإحساسٍ يُشبه الخوف ولكنه مضاعف، شيءٌ لم يختبره حتى وهي على وشك مفارقة الحياة:

- ما الذي تعنيه بقولك هذا؟!

سحبت ذراعها بعنفٍ وهي تعود لتقف أمامه قائلةً بحسرةٍ تفتت قلبها:

- كف عن خداع نفسك يا نعمان، أنت لم تعشق أحد سواها، واجه نفسك ولو لمرة واحدة واختر من ملكت قلبك بشجاعة، وكفى مرواغة وكذب.

هز رأسه بعنفٍ وهو يشعر أنها تُمسك قلبه براحتيها وتعتصره بقوة يعجز بها عن التقاط أنفاسه، لينطق أخيرًا بكلماتٍ متفرقة:

- ما الذي تتفوهين به؟! روهان أنتِ.. أنتِ لا تفهمين شيئًا.

اقتربت من جسده حتى التصقت به وهي تضع أنفها في ثنايا رقبته تشتم رائحته بوجع جعلها تُغمض عينيها وهي تقبض بكفها على ثوبها بقوةً وهي تسأله سؤال تعرف إجابته جيدًا:

- هل هذه رائحتها؟!

عاد للخلف بفزعٍ وهو عاجز عن قول شيء.

ضعُف ثباتها في هذه اللحظة ووضعت كفها على فمها تكتم شهقتها، بينما دموعها تساقطت وكأنها تقف على أعتاب جفنيها بعذابٍ شديد. أحس نعمان بأن عالمه يهوى من حوله وهو ينظر إليها بضعفٍ ووجل ولم يقدر على النطق سوى بجملةٍ واحدة:

- لقد أخفقتُ يا روهان، أرجوكِ سامحيني.

تحولت عيناها الباكية لأخرى قاسية، وهي تقول له:

- إذًا يكفي إلى هنا.

وكأنها أغارت عليه بمطرقة حديدية أعلى رأسه، فانتفض قائلًا:

- روهان.. أتوسل إليكِ.. دعيني أشرح لكِ ما حدث.

تمتمت وهي تنظر لعينيه:

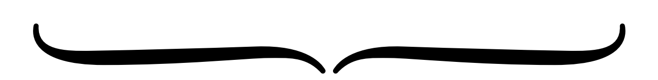
- عِفِرِّين.

ردد بقلبٍ مضطرب دون فِهم وكأنما عقله توقف تمامًا:

- من عِفِرِّين؟!

وعند نطقه لآخر حرفٍ من اسمه، وقف أمامه عِفِرِّين ليستقر جوار روهان يمُد لها ذراعه لتضع كفها عليه، فالتقط بني النعمان الوشم أعلى ذراعه وهو لم يستوعب بعد ما يحدث، ليتلفظ اسمه بذهولٍ قبل أن يختفي الاثنان من أمامه في طرفة عين :

-كيبورا !



الفصل السادس عشر



نظر وِيْوَن لأبيه وهو يقترب من الأنبوب بدهشة أفقدته النطق وهو يرى هذا الجنين الذي كان منذ عدة أيام في سباتٍ تام ودون حركة، بينما أعضائة الداخلية لم تكتمل بعد، بينما هو الآن ينظر نحوهم بعينين مفتوحتين على وسعهما، وهو يتحرك داخل مائه بخفة بعدما زاد حجمة لضعفين.

تطلع ياوي إلى ولده الذي انتقل لجواره قائلًا:

- هل رأيت هذا؟!

سأله وِيْوَن وهو ينظر للجنين بغرابة: - كم مر من الأيام وأنا مسحور؟!

أجابه ياوي وهو مازال يُدقق النظر في عين الطفل الذي اكتمل بشكلٍ مبهر في هذا الوقت القليل:

- يومان فقط.

وضع ياوي يده السوداء ذات الحوافر الطويلة ليمررها على الزجاج بخفة، فوجد حدقتيه يتبعان حوافره من خلف الزجاج ثم يده الصغيرة تتحرك بخفة ليضعها في الاتجاه الآخر ليد ياوي وهو يحركها مثله، ردد وِيْوَن بدهشة:

- لا أصدق هذا؟! لقد أصبح عنده وعي للتعلم وهو لم يولد بعد!

التفت ياوي لولده وهو يقول له بسعادةٍ بالغة:

- اجلب لي أطبائي المميزين الذين نثق بهم، سيخرج هذا الطفل اليوم.

تطلعت سارافيم لوجه إلينا الذي احمر خجلًا حين سألتها مع من كانت عندما وصلت مع أخيها، ضيقت إلينا عينيها بتعجبٍ وهي تقول لها:

- يكفيني يوناس الذي سأل هذا السؤال ثلاث مرات وتركني دون اقتناع منه بإجابتي.

تعلقت عين سارافيم بها وهي تقول لها:

- عيناكِ تفضحانكِ يا إلينا.

تأففت إلينا بضجر:

- أنا لا أستطيع الكذب، ولم أفعلها من قبل.

حاولت سارافيم أن ترفع عنها الحرج بينما شردت بعقلها نحو زوجها فتجمع الدمع بُمقلتيها على الفور وهي تقول لها:

- لقد علمتني أمي إياه، حتى أنني أصبحتُ بارعة فيه.

تنهدت إلينا وهي تشفق عليها مما تسمعه من ألمٍ في صوتها، لتخبرها بالحقيقة التي تحاول اخفائها حتىٰ عن نفسها:

- لا أعلم حقًا ما الذي حدث ليوناس مؤخرًا.

راقبتها سارافيم باهتمام، لتُردف إلينا:

- لقد أصبح يعاملني بشكلٍ جاف، يغضب من أبسط التصرفات، أراه يبتعد عني بخطوات سريعة ولا أستطيع اللحاق به مهما عَدوت خلفه.

اسندت إلينا ظهرها للخلف وهي تستطرد:

- أما عن سؤالك مع من كُنت، أنا لم أخبر يوناس سوى نصف الحقيقة، بالفعل كنت أجلس على جزيرة بالقرب من هنا، لقد ذهبت إلى هناك وأنا أشعر بالضيق الشديد، كل من هنا يعاملني بدونية وبطريقة لم أعد أحتملها، حتى من أطفالي.

اعتدلت وهي تتطلع نحو سارافيم لتُكمل:

- بدأت بالعزف وبعدما انتهيت وجدت أحد الجن المائي مسحورًا أمامي.

ضيقت سارافيم عينيها بتدقيق لتوقفها بتعجب:

- مسحورًا!

حركت إلينا رأسها وهي توضح لها الأمر:

- لقد اكتشفت منذ سنوات أنني أملك موهبة بالإضافة لرؤيتي للجن التي اكتسبناها من جدي أنا وخالتي، وهي أنني حين أعزف على الفلوت الخاص بي أفتن الجن والشياطين.

ابتسمت سارافيم وهي تردد:

- هذه العائلة حقًا مهوسة بالسيطرة.

بادلتها إلينا ضحكة عالية وهي تقول لها:

- لقد اكتشفتِ الأمر مُبكرًا للغاية.

أراحت سارافيم جسدها على الفراش قائلة:

- أكملي ما حدث مع الجن المائي.

تمددت إلينا جوارها وهي تقص عليها ما حدث حتى انتهت بعودها للقصر مع موسى.

استقامت سارافيم مرة أخرى وهي تُضيق عينيها بعناية قائلة:

- بالنسبة لزوجك فأنا أؤكد لك أن حال الرجل لا ينقلب إلا بيد أخرى.

انتفضت إلينا بقلق وهي ترمقها باضطرابٍ واضح:

- هل تعتقدين هذا؟!

أبصرت سارافيم انزعاج إلينا مما قالته، فأردفت:

- أنا لا أعتقد، أنا واثقة مما أقول.

ثم حركت كتفيها بإهمال قائلة:

- هناك خبرٌ جيد في هذه المسألة.

تعالت دقات قلب إلينا وهي تتخيل يوناس مع أخرى بعدما زرعت هذه الفتاة بذور الشك في قلبها، لتُكمل سارافيم:

- حين يعود إليكِ لن يفعلها ثانية.

تهدجت أنفاس إلينا وهي تسألها:

- وإن لم يعد؟!

استندت سارفيم على ذراعها وهي تفاجئها بقولها:

- عليكِ بتحفيزه قليلًا حتى يقوم بالاختيار الصحيح.

هزت إلينا رأسها باستفهام، فأجابتها:

- يمكنكِ أن تجعلي أحدًا يراقبه أولًا حتى تعرفي خصمكِ جيدًا.

استوت إلينا ثم نزلت من أعلى الفراش وهي تقول لها:

- هل تستطيعين مساعدتي في ذلك؟!

هزت سارافيم رأسها نفيًا:

- أرجوكِ يا إلينا لا تقحميني في هذا الأمر، فأنا إلى الآن ضيفة في هذا المكان، بالإضافة لأن لدي ما يكفيني من المشاكل، أنا لا أعرف ماذا فعل أبي مع أمي، ولا أعرف ماذا فعل زوجي حين استيقظ وعلم ما أقحمتهُ به.

رفعت إلينا كلتا كفيها وهي تحدثها:

- اهدأي يا سارافيم، لا تقلقي أنا أعرف جنية ستسعد بمساعدتي في هذا، فهي تكره يوناس بما يكفي لتخبرني حقيقة الأمر.

تحركت إلينا نحو باب الغرفة وهي تقول لها:

- أعتقد أن والدك قد عاد، فقد سمعت جلبة بالأعلى، يبدو أن خالتي الآن في قمة غضبها.

عادت سارافيم للفراش وهي تقول لها:

- إذًا من الأفضل لي أن أبقى هنا.

فتحت إلينا الباب فشهقت وهي تعود للخلف بمفاجأة حين رأت بني النعمان أمامها. استوت سارافيم سريعًا، بينما وقفت إلينا بخجلٍ من ردة فعلها ليسألها بني النعمان بطريقةٍ جافة:

- من الذي سمح لكما بدخول هذه الغرفة؟!

ارتجف جسد إلينا وهي تجيبه بصوتٍ يرتعد:

- خالتي هي من أمرت أن تبقى سارافيم هنا.

تشنجت ملامحه وهو يُدرك الأمر، لقد تركته روهان وبشكل نهائي. تسمرت إلينا أمامه لبعض الوقت حتى تنحى منً طريقها وهو يشير لها أن ترحل. خرجت إلينا على عجل، فوقع نظره على فراشهما لتهاجمه ذكرياتهما معًا حين كانت عيناه لا ترى غيرها، وقلبه لا ينبض سوى وهي بين يديها. غشى ملامحه وجعٌ حاول مداراته حين رأى وجه ابنته الخائفة، فكتم تأوه كاد أن يخرج من فمه ليحاول التماسك أمامها وهو يقول لها بنبرةٍ حانية ولكنه مُغلفُ بألمٍ ملحوظ:

- تعالِ معي يا ابنتي.

خطت سارافيم نحوه فأمسك ذراعها وهو يخرج من الغرفة ليغلقها خلفه وهو يُلقى نظرة أخيرة على الفراش بينما صدره يكاد ينفجر من الغضب.

غادرت إلينا القصر سريعًا قبل أن يراها أحدٌ واستغلت انشغال نعمان بابنته لتركض نحو الجزيرة القريبة منهم، وصلت إلى هناك بعد بضعة دقائق قضتها هرولة. جلست أعلى الصخرة لتلقط أنفاسها المتلاحقة قبل أن تُخرج آلتها وتبدأ في عزف مقطوعة مخصصة تعرف أنها سوف تسمعها على الفور، خرجت لها منسا لتجلس بجوارها وهي تحرك ذيلها الذي تحول لقدمان فور صعودها أعلى الصخرة. توقفت إلينا على الفور وهي تحدق بها قائلة:

- أريد أن أعرف ما الذي يفعله يوناس هذه الفترة.

غامت عينا منسا فالتقطت إلينا غيمتها هذه لتسألها بقلقٍ واضح:

- ما الذي تعرفينه ولا أعلمه أنا؟!

زمت منسا شفتيها قائلة:

- لقد وصلتني عدة أخبار أن هناك فتاة من قبيلة الشنفري توقعه في شباكها، وهو يستجيب سريعًا.

شهقت إلينا بذعرٍ وهي تصيح بها:

- ولماذا لم تخبريني بهذا الأمر؟!

لمعت عينا منسا الذهبية وهي تقول لها:

- اهـدئـي يا فـتاة، فـأنـا لا أُلـقي بـالًا لأحـاديـث الـحوريـات، فأغلبها كذبٌ وافتراء.

وقفت إلينا بحدة وهـي تتحرك للأسفل قائلة لها:

- حـسـنًا؛ لـتتأكـدي لـي مـن هـذه الـقصة كـامـلة، وتـخبريـنـي ماهـي الحقيقة.

تطلعت منسا نحو ظهر إلينا التي تغادر بهذه الثقة قائلة:

- هل جننتِ يا فتاة، أتأمرين ملكة البحار بأمرٍ حقيرٍ كهذا!

التفت لها إلينا وهـي تحدق بها بهذه النظرة البريئة:

- أنـا لا آمـرك يـا مـنسـا، أنـا أطـلب مـنكِ طـلبًا أعـلم أنـه يـروق لكِ.

رفعت منسا حاجبيها متسائلة:

- وما الذي جعلك تظنين أنه يروق لي؟!

ابتسمت إلينا وهـي تدعوا الله أن يكون حديث الحوريات هذا كذبًا بالفعل كما تقول لها منسا:

- أنا أعرف مدى حبك ليوناس، لذا فأنا لا أظن؛ أنا أثق أنك ستستمتعين بمعرفة أي شيء سيؤذيه.

أكملت إلينا طريقها للقصر فرفعت منسا صوتها وهي تستفهم بحماس:

- وما الأذى الذي سيلاقيه عندما يتبين لكِ حقيقية الأمر؟!

أسرعت إلينا في خطواتها للعودة وهي تقول لها:

- سأدعكِ أنتِ تقررين ما أفعله به.

ضحكت منسا بخفة وهي تعود للماء هامسة:

- سوف أستمتع بهذا حقًا، هذه الإنسية بارعة في المفاوضة، فهي تأخذ ما تريده دون أدنى جهد، لقد بدأت أخشاها.

وقفت روهان في منتصف غرفة كيبورا تلتف حول نفسها بدموع لا تريد أن تتوقف مهما حاولت في تهدأة نفسها، ولكنها تعود مرارًا عندما تتوالى على عقلها مشاهد لزوجها وزوجته الأولى وهما معًا، لقد أقسمت أنها لن تنسى هذه اللحظة مهما حيَت. لقد قتلها نعمان بدمٍ بارد، صرخت بغيظٍ وهي تتذكر جملته..

«لقد اخفقت يا روهان»

كانت تريد أن تُحطم كل ما تجده أمامها في هذا المكان، ولكنها أدركت أنها في غرفة عِفِرِّين فنادته بصوتٍ يمتلئ بالغيظ ليحضر على هو على الفور ملبيًا

لم تدع له فرصة أن يفتح فمه حتى ليصدع صوتها المنزعج في الغرفة بأكملها:

- لمَ أحضرتني إلى هنا؟!

وقف أمامها بعدم فِهم لما تقوله، ولكنه تجنب أن يُغضبها بإجابةٍ منطقية، فيبدو أنها وصلت لقمةٍ من الانفعال الذي لن يستطيع مجابهته، فأجابها بهدوء:

- أين تريدين الذهاب؟!

زاغ بصرها وهي تبحث عن إجابة، ولكنها لم تجد.

لن تستطيع الذهاب لدانا وهي في هذه الحالة، بالاضافة لأنه بالفعل سوف يجدها ببساطة ولن تستطيع التخلص منه، وإن قررت الآن الذهاب لبيت جدها القديم، فمؤكد سيعرف مكانها على الفور ولن يتركها. لاحظ عِفِرِّين تشتتها هذا، فشعر بالأسف على ما تمر به، ليقترب منها قائلًا:

- قبيلتي بأكملها رهن إشارتك يا روهان، لن يستطيع بني النعمان الولوج إلى هنا.

ضيقت عينيها وهي تنظر نحوه بسخطٍ وهي تتذكر همس نعمان باسمه، لتسأله بضيقٍ واضح:

- من كيبورا هذا الذي نادك به نعمان؟!

لان صوته وهو يخبرها:

- كيبورا هذا اسمي الذي يعرفه الجميع.

ليتقدم منها خطوة أخرى وهو يُردف بصوته الفاتن لها:

- عِفِرِّين هذا اسمي الحقيقي الذي تعرفينه أنتِ وأخواتي فقط.

شعرت بالخطر من اقترابه منها هكذا، وخاصة وهو يُخبرها أنها في نفس مقام عائلته وهذا الأمر يربكها حقًا. عادت خطوة للخلف وهي تقول له بصوتٍ مُضطرب:

- دعني أرى قبيلتكم، فأنا أريد مكان كي أستقر به.

حافظ على المسافة التي وضعتها بينهما وهو يحدثها بهدوء يُخالف النيران التي تشتعل بداخله، فهو كان يتمنى أن تُصبح له بعد كل تلك السنوات:

- حسنًا؛ أنا أتفهم أنكِ تشعرين بالضيق من هذه الغرفة، ولكن القصر هنا يحتوي على العديد من الغرف، تستطيعين اختيار واحدة.

شعرت بأنه يُحاصرها بطريقةٍ ما، ولكنها تجاهلت هذا الشعور عندما نظرت لعينيه السوداء القاتمة التى تطلع إليها هكذا بمشاعر تحاول إنكارها كلما اتضحت إليها.

لتتقدم روهان بخطواتٍ واسعة نحو باب الغرفة وهي تقول له:

- إذًا أرني واحدة.

سار عِفِرِّين خلفها حتى اقترب منها، فأغمض عينيه وهو يستنشق عبيرها بشغفٍ فالتفتت روهان سريعًا لتجده عاد خطوة للخلف قبل أن تكتشف أمره، فأشارت له بكفها وهي تقول له:

- أنا لا أعرف الطريق، دعني أتبعك.

نزل من أعلى الدرج بخطواتٍ هادئة وهي خلفه، لينتهي الدرج بالبهو الكبير، ليشرح لها عِفِرِّين:

- هذا هو البهو الكبير الذي يربط قصري هذا بقصر العائلة.

لم تهتم روهان كثيرًا لما يقول، فأكمل السير نحو قصر العائلة ليعرفها على المكان بأكمله قبل أن يذهب بها لغرفة في قصره الخاص، ولكنه أرد أن تشعر بقليلٍ من الأمان معه، وسيرهما معًا لعدة دقائق سوف يكون فرصة جيدة لها حتى يخمد غضبها ولو قليلاً. دلفا لقصر العائلة سويًا، لتقع عينيها على ولدها الواقف أمام فتاة لا ترى سوى ظهرها المستوي الممشوق، وشعرها الذهبي الذي يعانق الأرضية الرخامية بجمالٍ مُبهر، لتنظر بحنقٍ نحو وجهه الذي يعلوه ابتسامة بلهاء، بينما تتلون عيناه باللون الرمادي الذي يضوي برغبةٍ شديدة في امتلاك الفتاة التي تقف أمامه.

أسرعت في خُطاها لتتجاوز عِفِرِّين الذي فطن على الفور سبب سخطها المفاجئ هذا، وقبل أن تصل إلى ولدها رآها يوناس لتجحظ عيناه وهو يردد:

- أمي! ما الذي جاء بكِ إلي هنا؟!

وقفت روهان أمامه بجسدٍ يهتز بقوة وهي تقول له:

- ما الذي تفعله أنت هنا؟! ومن هذه؟!

قاطعتها تيما قائلة:

- اسمي تيما وأنا ابنة..

لم تمنحها روهان فرصة لتُكمل، فتجاهلتها وهي تقترب من ولدها قائلة:

- اللعنة عليك أنت وأبيك.

ثم التفتت نحو كيبورا بعينيها اللتان تشتعلان من الغضب:

- انقلني من هنا في الحال.

أمسك كيبورا كفها وهو ينقلها سريعًا لإحدى الغرف في قصره، مراعيًا حالتها العصبية التي تحدثه بها، حتى أنه لم يستطع أن يُبدي ردة فعله حول وجود يوناس في قصر عائلته دون استدعاء، وسماح تيما له بالولوج دون موافقته هو أو أحدٍ من إخوانه، آثر الصمت وهو يتوعد الفتاة بوعيدٍ شديد.

ظل يوناس على وقفته فاقدًا للنطق، يجهل تمامًا ما يحدث من حوله في هذه اللحظة.

ليرتد جسده حينما أمسكت تيما كفه برقة وهي تقول له:

- لا تنزعج يا يوناس، يبدو أنها تمر بوقتٍ صعب.

سحب يوناس كفه من يدها وهو يقول لها بحدة:

- هل تعرفين أين نقلها كيبورا؟!

هزت رأسها نفيًا وهي تقول له:

- لا أعلم، ولا أحد يعلم .

رفع يوناس صوته بقوة وهو ينادي على كيبورا ، فوقفت تيما أمامه بفزعٍ قائلة:

- اهدأ يا يوناس، لا يتم الأمر هنا هكذا .

صرخ بها وهو يقبض على ذراعها بقوة:

- أنا أريد مقابلة أمي الآن.

نزعت يدها من قبضته بخفة لتضعها على كتفه وهي تخبره بهدوءٍ أزعجه:

- لن تستطيع؛ مالم تسمح هي بذلك، أرجوك أهدأ قليلًا وسوف أقوم بفعل ما تريده، ولكن علينا الخروج من هنا في الحال قبل أن يعود كيبورا ويعاقبني على إدخالك القصر دون إذنٍ منه.

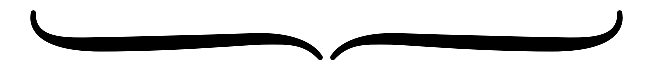
ولجت روهان للغرفة التي نقلها كيبورا إليها، وهي تشعر بصدرها يهيج غضبًا من ولدها وأبيه على السواء، تجعدت ملامحها فتطلع كيبورا نحوها بقلقٍ وهو يتسأل:

- هل أنتِ بخير يا روهان؟!

حركت رأسها بقوة وهي تحاول كتم صرخاتها من الألم الذي هاجمها فجأة كما حدث في السابق، تجمع العرق على جبهتها ودارت بها الغرفة، فكادت أن تسقط ليلحق بها كيبورا حاملًا إياها أعلى ذراعيه، ليخفق قلبه بشدة وهو ينظر لوجهها الذي كساه اللون الأصفر وهي تتأوه بصوتٍ مكتوم.

فوضعها أعلى الفراش بجسدٍ يترنح، ثم فرد كفيه أعلى جسدها ليُخرج منهما ضوءٌ أزرق اللون تحرك فوق بطنها التي تعتصرها روهان بكلتا كفيها من الوجع، فاستقرت عند رحمها ليختفي الضوء داخل بدنها الذي استكان على الفور لتدخل بعدها روهان في سباتٍ تام. أرخى كفيه وهو يجلس جوارها هامسًا بندمٍ شديد:

- أتمنى أن تسامحيني يا روهان.



الفصل السابع عشر

حضر الأطباء الخمس المنتمين للعائلة الحاكمة، والذين هم الأجدر بثقة الملك ياوي وأولاده على الإطلاق، نظر ياوي لهم بصرامة قائلًا:

- لقد حان الوقت أن نجني ثمار معجزتنا التي جهزناها منذ سنوات، لقد انتظرنا كثيرًا لتنجح تجربتنا الخارقة للعادة، أريد هذا الطفل الآن بكامل صحتة وجسده السليم المُعافى.. هل تفهمون؟!

ردد الجميع في صوتٍ واحد وبنغمة واحدة:

- لا تقلق يا سيدي، لن يستغرق الأمر سوى عدة دقائق وسوف يكون الطفل بين يديك.

فتح لهم باب الغرفة ليتبعهم، بعدما نظر لولده وِيْوَن وأمره:

- اذهب الآن للملوك الأربع واجعلهم ينتظرونني في غرفة الاجتماعات الخاصة بنا.

انطلق وِيْوَن كما أمره أبيه، وجمع الأربع ملوك في الغرفة القاطنة في الكهف الجليدي، ليعود على الفور لياوي الذي وجده يحمل الطفل بين يديه، ملفوفٌ في قطعةٍ من الفرو الثقيل، وهو ينظر لوجهه بابتسامةٍ عريضة قد سيطرت على ملامحه وهو يقول لولده:

- انظر إليه كم هو جميلٌ حقًا.

نظر وِيْوَن للرضيع الذي بدوره يتطلع للجميع بهدوءٍ تام ودون رهبة أو حتى بكاء، ليرفع وجهه نحو أبيه بقلقٍ واضحٍ قائلًا:

- إن الملوك ينتظرونك في القاعة .

تخطاه ياوي بعدة خطوات وهو يقول له:

- حسنًا اتبعني.

شعر وِيْوَن بالقلق داخله يتزايد من هذا الرضيع الذي مؤكد سيجلب لهم صراعات عدة، فالأمر الذي لا يراه أبيه أنه طفلٌ هجين ولا ينتمي لعالمهم، فكيف سيستطيع ترويضه وجعله منهم، لقد كان يظن أن الاختلاط بعوالم أخرى سوف تقوي مكانتهم وعرقهم، ولكنه بعد الذي فعلته به زوجته الجنية فهو لن يثق في أحدٍ ليس منهم بعد الآن. سار خلف والده حتى وصل للكهف، ووقف تاركًا ياوي يترأس المنضدة وباقي الملوك يجلسون حوله، مشرأبين الأعناق ينظرون نحو اللفافة التي يحملها ياوي أعلى ذراعيه بحرصٍ تام، ليسأله ملك الرماديون بلهفة:

- ما هذا الذي تحمله أيها الملك ياوي؟!

تجاهله ياوي فهو ما زال غاضبٌ منه هو وملك الأناونكي، ليُرجئ ببصره نحو الملكين كابيوت، وكانهاش قائلًا لهما:

- أشكركما على ثقتكما بي في وقت الشدائد.

اكتفى الاثنان بإيماءة لطيفة، ليزيل ياوي عن الرضيع قطعة الفرو الذي يغطيه بها، فاندهش الملوك الأربع من هالة الطفل الكبيرة، بينما دمائه التي تسري في عروقه يراها الجميع وكأنها لآلئ تضيء في عتمة الليل، ليقوم الملك كنهاش بسؤاله وعيناه لا تفارق الطفل:

- من أين جئت بهذه المعجزة؟!

وضعه ياوي أعلى الطاولة فاستلقى الطفل على ظهره، والجميع يتطلع نحوه بانبهارٍ شديد، ليجيبه ياوي بصوتٍ يملؤه الفخر والاعتزاز:

- لقد صنعته بنفسي.

ثم وقف ليستطرد بتباهي:

- هذه المعجزة سوف تُقدم لنا المستقبل بكل ما فيه من تطور لفصائلنا أجمع، هذا الطفل طفرة في عالمنا؛ سوف يجعل الجيل القادم قادرًا على مواجهة الضوء بشكلٍ طبيعي.

انتقل بينهم بخفة وهو مازال يشرح لهم ما فعله بتفاخر:

- هذه المعجزة سوف توفر لنا الدماء النقية دون الحاجة لمعاونة السحرة من الجن، ستتقلص احتياجتنا ومع عدة أجيالٍ أخرى سنحصل على دماء إلى مالا نهاية.

شعر الملك أنانوكي بحاجة مُلحة للمس الطفل، فوضع يده على بطنه بحرصٍ وكأنه جوهرتهم التي لا تقدر بثمن وهو يقول له:

- ما هي فصيلة هذه الطفرة، أيها الملك؟!

أمسك ياوي كفه وهو يرمقه بتحذيرٍ قائلًا:

- لا تلمسه أبدًا.

أعاد اللفافة الثقيلة حول الطفل بحذرٍ شديد وهو يحاوطه بعناية، ثم أعطاه لوِيْوَن كي يحمله برفق، وهو يجيب أنانوكي:

- هذا الطفل ليس من فصيلة واحدة.

أدام كابيوت النظر نحو ياوي ليستفهم منه الأمر:

- لا أفهم؟!

عاد ياوي للجلوس على مقعده بزهوٍ وهو يضُم كفيه بعضهما ببعضٍ قائلًا:

- هو مزيجٌ فريد من فصيلة إنسية زواهرية، وجنيٌ من أقوى سحرة الجان.

شاهد ياوي الأربعة ملوك الذين تطلعوا نحوه بغرابة، ليُردف بصوته المُختال:

- كل منكم يعرض عرضًا مميزًا سوف أدرسه جيدًا قبل أن أمده بالدماء بعد الآن.

عادت إلينا للقصر فسمعت بني النعمان يُحدث ابنته في غرفة جانبية ملتصقة بالبهو الكبير، فجلست على أحد المقاعد القريبة منهم كي تستمع للحديث الذي يدور بينهما، فهي تملك من الفضول الذي يجعلها تتنصت عليهما كي تعرف كيف سيتعامل بني النعمان مع ابنته التي لم يعرف بوجودها قبل بضعة أشهر، ولم يجالسها سوى في هذه اللحظة. اقترب بني النعمان من سارافيم وهو يُمسك كفها بحنان قائلًا:

- كل ما أخبرتكِ به أمك عني كذبٌ وافتراء، أنا لم أعرف بوجودكِ إلا حين كنت على وشك قتلها لما فعلته بعائلتي.

تجمعت الدموع في عينيها وهي تقول له:

- لقد أخبرني يوناس أنك تركتها لأجلي، هل هذا صحيح؟!

مرر بني النعمان إبهامه على كف ابنته برقة وهو يجيبها:

- أنا أفعل لأجلك أي شيءٍ قد تتخيلينه.

لمعت عيناها بسعادةٍ لما يقوله لها بهذا الصوت الحاني، والمشاعر التي طالما تمنت أن تشعر بها من أبيها طول حياتها، لتجده يستطرد:

- أنتِ يا ابنتي لم تتخيلي سعادتي عندما علمتُ بوجودك، لقد كاد قلبي ينفجر من الفرحة، وعندما أخبرتني أمكِ أنك فتاة تضاعفت بهجتي لدرجة أنني قُمت بإذاعة الخبر فيَ المملكة بأكملها وأقمتُ احتفالًا كبيرًا وكأنني انتصرتُ في معركةٍ ضارية.

انكمشت ملامحة بحزنٍ وهو يُخبرها:

- حين علمتُ بموتك في رحم أمك بعد إخباري بموتها، كنت أصارع الحياة ولو كان موت النفس حلالًا لكُنت فعلتها على الفور، فأنا لم أتحمل فقدانك للحظة واحدة، ولن أسامح أمكِ على حرماني منكِ طوال تلك السنوات.

أطرقت برأسها وهي تسأله دون النظر لعينيه حتى تتجنب صدمتها إن أجابها بنعم:

- هل قتلت أمي؟!

وضع سبابته أسفل ذقنها ليرفعها كي تنظر نحوه وهو يقول:

- هل تتوقعين مني فعلها؟!

تنهدت بعُمقٍ قائلة:

إذًا ما الذي فعلته معها؟!

تذكر على الفور ما حدث بينهما، لتدور به الغرفة وشعوره بالندم يبعثر قلبه لأشلاء، ليصله صوتها من بعيد وكأنه سقط في هوة من الحسرةِ والذنب:

- أنا أعرف أن أمي سيئة الطباع، تملُك من الحقد والانتقام ما يكفي لجعل قلبها يتمتع بقسوة تُضاهي الحجارة في ملمسها الخشن، ولكنها ورغم كل شيء قد فعلت من أجلي الكثير كي أبقى في أمان.

سحبته سارافيم من البئر الذي قُذف بداخله مع أسوء ذكرى قد فعلها في حياته وسوف تطاردة لسنواتٍ عدة:

- أبي أين ذهبت؟!

حاول تمديد شفتيه بابتسامةٍ زائفة وهو يسألها باهتمام:

- تعرفين أنني قد حصلتُ على مذكراتكِ وقرأتها.

اعتلت الصدمة ملامحها وهي تسأله بحيرة:

- من أين حصلتُ عليها؟!

أجابها وهو يمسد على شعرها بعطفٍ:

- يبدو أنكِ كنتِ تحملينها عندما قابلت روهان في مملكة العماليق، فقد وقعت منكِ في الغرفة التي كانت تقطن بها.

أكمل وهو يتأمل عينيها الحمراء التي تُشبه أمها:

- أخذتها واحتفظتُ بها فقد كنت أتوقع أن تكون شيئًا خاصًا بمعلوماتٍ أو تقنيةٍ حديثةٍ للأرضيين، ولكني وجدتها بخطٍ إنسي ولغة البشر، لذا تعجبت قليلًا من وجودها بهذا المكان فأثارت فضولي، وحين علمت من أمك أنك على قيد الحياة، قرأتها مرارًا وبعد ربط ما حدث وقت ظهور أمك بعضه البعض، ووجود الإنسية التي كتبت كل ما يخص حياتي وبعدها موتها على فراشها وادعاء أمها أنها ليست ابنتها، توقعت أن تكون أمك قد سحرتك في جسد إنسية حتى لا أصل إليكِ.

دُهشت سارافيم من ذكاء والدها الذي وصل إليها من مجرد يومياتٍ صغيرة كانت تكتبها وهي في طور تحولها، ليضم بني النعمان كفها بكلتا يديه وهو يقول لها:

- هيا احكي لي عن حياتك السابقة وزواجك من وِيْوَن، أريد أن أعرف كل شيء عن ابنتي.

وخلف باب هذه الغرفة انتفضت إلينا حين أفزعتها ابنتها بقولها:

- هناك جنية مائية تقف على باب القصر تريد مقابلتك.

أشارت لها إلينا أن تخفض صوتها، ثم همست لها:

- حسنًا؛ انقليني إليها.

أمسكت روهان يد أمها ونقلتها خلف باب القصر لتجد منسا في انتظارها وهي تقول لها بحنقٍ:

- لمَ كُل هذه الحماية، هل تحتفظون هُنا بكنوز بني سُليمْ.

نظرت روهان لابنتها التي بدورها ترمق منسا بكرهٍ شديدٍ لتخبرها إلينا بحدة:

- عودي لأخيكِ ولا تخبري أحدًا عن زيارة منسا.

ابتسمت منسا للفتاة وهي تلوح إليها، بينما روهان الصغيرة مازالت تتطلع نحو حدقتي منسا الذهبية ببُغضٍ وتتوعدها بوعيدٍ شديد، فهي لم تسامحها بعد على سجنها لهما وقد كادت أمها أن تموت جراء ذلك. علا صوت إلينا وهي تحدث ابنتها:

- روهان، افعلي ما أمرتك به في الحال.

اختفت الفتاة على الفور، لتعتدل إلينا في وقفتها أمام منسا التي تعلقت عينيها بمكان روهان وهي تقول لها:

- ابنتك هذه سوف تُصبح أسطورة في عالم الجن.

ثم ضيقت عينيها نحو إلينا لتُردف:

- لها نظرة تستطيع من خلالها ترويض أعتى الوحوش، احذري منها يا إلينا، فهي تملُك قلبًا قاسيًا لا ينتمي لهذه العائلة.

أحست إلينا بالخطر تجاه ابنتها للحظة حاولت فيها إخفاء هذا الشعور، لتسألها سريعًا:

- هل جئتني بخبرٍ عما طلبته منكِ؟!

زمت منسا شفتيها وهي تُجيبها بسعادة أضمرتها داخلها:

- دعيني أريكِ شيئًا.

أمسكت إلينا ذراعها بقوة، وقبل أن تنتقل بها منسا حيث أرادت، قالت لها:

- ولكن قبل أن تشاهدي خبرك بعين اليقين، سوف تنفذين ما وعدتيني به.

ضمت إلينا حاجبيها، فأردفت منسا:

- أنا من سأقرر ما تفعلينه به.

انقبض قلب إلينا وتعالت أنفاسها، ولكنها حاولت الثبات في وقفتها وهي تردد:

- هيا بنا لا تكثري في الحديث، فأنا لا أخلف وعودي.

في هذه الأثناء كان يوناس يجلس جوار تيما أعلى الجبل الموازي للماء، في هذا المكان البعيد عن قبيلتهم التي نقلته إليه قبل أن يكتشف باقي العائلة وجوده، كان ينظر نحو الماء بشرود وهو مازال لا يصدق ما رأته عيناه!

كان يريد العودة لأبيه على الفور ولكنها تيما التي اقترحت عليه أن يجلس في مكانٍ هادئٍ يفكر فيه مليًا عما سيخبر به والده، ولكنها لا تعلم ما الذي يدور في عقل يوناس في هذا الوقت، هو يعرف تمام المعرفة أن أبيه يعلم ما حدث، ولكن ما يجهله إلى الآن كيف سمح لأمه أن تنتقل وتبقى بعيدة عنهم وفي حماية كيبورا! كيف قِبل بني النعمان وجود زوجته مع رجُلٍ آخر حتى لو كان بغرض حمايتها من زوجته الأولى! وقف وهو يردد بخفوت:

- لا، مؤكد أن الأمر لم يجرِ هكذا.

وقفت تيما سريعًا في مواجهته وهي تقول له:

- أين ستذهب الآن؟!

نظر نحوها بتشتتٍ واضحٍ مجيبًا:

- سوف أعود لأبي، يجب أن أعرف ما الذي حدث.

أمسكت كلتا كفيه برقةٍ وهي تحدثه بنبرةٍ هادئةٍ وفاتنة كعادتها، بينما عيناها تحمل من الأسى ما يكفيه ليشعرً بنشوةٍ خاصة:

- أنا واثقة بأنك سوف تقوم بفعل الصواب.

تطلع إليها بابتسامةٍ مهتزة:

- أشكرك يا تيما على كل ما فعلتِه لأجلي اليوم.

أحست إلينا بتأجج نيران الغيرة التي تنتشر في جسدها بأكمله، وهي ترى زوجها يقف بهذا القُرب من فتاةٍ جميلة تعتقل كلتا كفيه وهو مشدوهٌ أمامها مبتسمًا كالأبله هكذا.
صرخت بمنسا والغضب يتملك جميع حواسها:

- أريد الصعود إليهم في الحال.

لفت منسا ذراعيها حول جسد إلينا لتتنقلها نحو جزيرة بعيد عنهما وهي تقول لها:

- بيننا اتفاق.

صاحت إلينا بصرخة حادة وهي تقول لها:

- انقليني إليهما لأقتل هذا الخائن.

رفعت منسا كلتا كفيها أمامها:

- اهدئي يا فتاة وتفوهي بكلامٍ معقول، هل تريدين منه أن يشعر بنيرانك التي تحتدم داخلكٌ في هذه اللحظة؟!

حدقت بها إلينا وهي تصك أسنانها، لتسطرد منسا:

- أجيبيني.

زفرت إلينا بضيقٍ وجهر صوتها:

- نعم.

جلست منسا على الرمال ممدة القدمين بخيلاء وهـي تشير نحوها كي تجلس جوارها قائلة:

- إذًا اجلسي لأخبركِ كيف تأخذين ثأركِ منه دون أن يرف لكِ جفن.

عادت لبيت جدها الموحش وهي تلتف حوله بحيرةٍ كبيرة، فقد ساء وضع البيت كثيرًا عن المرة الأخيرة التي زارته بها، صعدت الدرج ودخلت الغرفة السرية بهدوء لتراها تُشع باللون الأزرق،

فظلت تبحث عن أصل هذا الشعاع ومن أين يأتي حتى وجدته ينبعث من جُزءٍ دائري خلف مكتبة جَدها الكبيرة، اقتربت من الإنارة الدائرية ووضًعت سبابتها بها لتجدها زرٌ كبير الحجم، لم تتردد لحظة في الضغط عليه ليظهر من خلفهِ ممرٌ مُظلمٌ وضيقٌ للغاية، قادها فضولها أن تولج به بخطواتٍ بطيئة، فتسللت داخله بهدوءٍ حتى انتهى الممر الذي خرجت منه على أرضٍ كبيرة بها أصنافٌ من مخلوقاتٍ لم ترَ منها الكثير من قبل، فبعضهم ذو جسدٍ أسودٍ ضخم يشبهون العماليق الذين رأتهم في فترة مرضها،

يتبعهم قومٌ ذوي بشرةٍ رماديةٍ طوال الحجم برؤوس وأعين طولية، يقف خلفهم مجموعة جلودهم باللون الأخضر الفاقع، يتبعهم فريقٌ من الكائنات القصيرة التي تُشبه الزواحف إلى حدٍ كبير، وآخر هؤلاء قومٌ جلودهم زرقاء يملكون سبعة من الأقدام.. جميعهم يدورن في دائرةٍ منتظمة ينتصفُها تلة صخرية ضخمة تُشبه العرش، يعتلي هذا العرش شابٌ مليح الوجه عيناه تُضى باللون الزيتوني، الذي يُماثل لون عينيها التي ورثته من أجدادها. قادتها قدميها نحوهم لترى هذا الشاب بوضوح، كانت تشعر بالخوف من الاقتراب منهم، ولكنها تسللت من بينهم بخفة حتى وصلت إليه فوجدته ينظر نحوها بابتسامةٍ ساحرة وهو يقول لها بصوتٍ عذب :

- لقد انتظرتُكِ كثيرًا يا أمي.

استيقظت روهان في هذه اللحظة ليختض جسدها وهي تتصبب عرقًا، فجلست تستعيد أنفاسها وهي تنظر حولها بتعجب. مرت عدة لحظات أدركت بها أنها ليست بغرفتها في قصر زوجها، فترجلت من الفراش بعقلٍ مُنهك وهي تشعر بآلامٍ متفرقة في جميع جسدها وكأنها فاقت للتو من عمليةٍ جراحية، لم تستطِع السير سوى بضعة خطوات حتى شعرتً أنها ستسقط أرضًا من التعب، جلست على الفور على المقعد خلفها وهي تترنح في جلستها، وقبل أن تفقد الوعي نادته على عجلٍ:

- عِفرِّين.

ظهر أمامها في التو وهو يسألها بقلقٍ واضح:

- ما بكِ يا روهان؟!

أخرجت صوتها بصعوبةٍ وهي تقول له:

- لا أعرف ما الذي يحدث لي، انقلني.. ❞

لم تُكمل جملتها وراحت في سباتٍ عميق.

حملها كيبورا ووضعها أعلى الفراش وهو ينادي:

- يا مُنذر.

أتاه الخادم على الفور، ليأمره بصرامة:

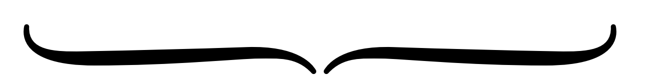
- آتني بالحكيم راخ في الحال، ولا تستدعي غيره؛ هو فقط.

أحنى مُنذر رأسه مرددًا:

- أمرك يا سيدي.

جلس كيبورا جوار روهان وهو يزيح خصلات شعرها عن وجهها قائلًا:

- متى سينتهي هذا الكابوس يا روهان، أريدك أن تصبحي ملكي عاجلًا.



الفصل الثامن عشر

بعدما ترك يوناس تيما عاد على الفور لمملكته ليقابل والده، ولكن توقف أمام قصر جده متفكرًا، ليُخرج من جيبه الورقة التي أعطاها إياه ولده مرسومًا بها الوشم الذي لا يعرف هويته حتى هذا الوقت، انتقل لداخل القصر ومنها لغرفة الملك الأبيض فسمع صوت ابنته الصغيرة وهي تقول لجدها الأول:

- لقد طلبت منه أن ينتظر وأنا سوف أخبره بالحقيقة، أخبرني الآن يا جدي ماذا أفعل معه؟!

تحدث الملك الأبيض بهدوء وهو يسألها:

- هل تريدين إخباره بالحقيقة؟! أم تفضلين الكذب عليه؟!

دققت النظر في وجه جدها وهي تجيبه:

- أنا أعلم أن أخي أخبره عن وشم بلفيجور، وأكاد أجزم أنه ذهب للبحث عن صاحب هذا الوشم،

ومؤكد قد عرف بأنه يخص أحد الشياطين فأبي يملك من المعرفة القدر الذي يميزه عن غيره من الجان، لذا فإن الكذب عليه لن يُجدي نفعًا. ضيق جدها عينيه باستفهام:

- إذًا سوف تخبريه الحقيقة.

هزت كتفيها بإهمالٍ قائلة:

- هو الآن يعرفها.

ثم رفعت صوتها مناديه:

- تفضل يا أبي، فقد كنت هنا في انتظارك.

دخل يوناس الغرفة وعلامات الدهشة تعتلي وجهه، كما تكسو وجه جده الذي لم يتوقع أنها تملُك موهبة كهذه. نظر يوناس إلى وجه ابنته المبتسمة برقة وهي تقول له:

- لقد أحسن بليفجور تعليمي يا أبي.

ثم أبصر يوناس جده الذي ردد بفخرٍ:

- بالطبع لقد أجاد بليفجور تدريبك؛ ولكنه لم يكن ليصل إلى هذه النتيجة إلا مع حفيدتي الموهوبة القوية.

أنهى الملك الأبيض جملته وهو يمرر كفه على شعرها الطويل. شعر يوناس للحظة أنهما يسخران منه وهو يقف هكذا وقد أضرمت النيران داخله مما يراه. لم يستطِع تحمل تدليل جده لهذه الصغيرة التي ارتكبت جُرمًا جزائه الحرق وهي في هذا السن، وما جعل غضبه يتصاعد بشدة هو أن الملك الأبيض من فعل بها ذلك! رمق ابنته بسخطٍ واضحٍ وهو يقول لها:

- عودي للقصر ولنا لقاءٌ آخر يا روهان.

اختفت على الفور ليواجه يوناس جده بامتعاضٍ:

- هل تظن أن ما فعلته مع ابنتي وهي في هذا السن صحيح؟!

وقف الملك الأبيض قبالته وهو يتأمله بنظرة تحذير:

- في بادئ الأمر يجب أن تُخفض صوتك أمام الملك.

ثم انتقل لمقعده كي يجلس عليه بتابةٍ ليتابع:

- أما بالنسبة لسؤالك فأنا لا أظن أن ما فعلته صحيح، أنا موقنٌ أنه صحيح، فلولا اهتمامي بتعليمها، وفطنتي لِما ستصبح عليه هذه الفتاة، لكانت الآن في مختبرات الأرضيين يمتصون دمائها لآخر قطرة.

ردد يوناس بتعجب:

- لقد ذهبت إليها أنا وأبي وعدنا بها على الفور.

تطلع الملك الأبيض لحفيده وهو يقول له بهدوء:

- وهل تظن أنت كيف صمدت الطفلة الصغيرة حتى استطعتم الوصول إليها؟!

رفع يوناس حاجبيه فأكمل الملك الأبيض قائلًا:

- وعندما وصلتم إليها كانت على وشك التخلص من هند والأرضيين أجمع، ولكن أبيك هو من أنقذ حبيبته القديمة، فيما كنت أنت تقف وسط الجموع فاغرًا فاك، أليس كذلك؟!

تعالت أنفاس يوناس غضبًا ليدخل بني النعمان إلى الغرفة بعدما أخبرته حفيدته ما حدث، وقف الملك الأبيض ليتوجه ناحيتهم وهو يرمق ولده بغيظ قائلًا:

- هل سعدت بتجديد عهدك مع حبيبتك الأولى يا بُني؟!

انعقد لسان بني النعمان لينقل الملك الأبيض نظره نحو يوناس مُردفًا:

- وأنت أيضًا، هل عاشرت ابنة القائد الأعلى لقبيلة الشنفري، أم ما زلت تنتظر قليلًا بعد؟!

راقب بني النعمان ولده الذي ضيق عينيه وهو يرى جده يدور حولهما ببطء، بينما يقف الاثنان دون حراك وقد هرب الحديث من ألسنتهم، ليخرج صوت يوناس بعد لحظاتٍ وهو ينفي الأمر سريعًا:

- من أخبرك هذا كاذب.

توقف الملك أمامهما وقد تغير لون عيناه للأسود القاتم وهو يحتدمُ غيظًا:

- اصمت يا فتى، لا توقع نفسك في بئرٍ لن تستطيع الخروج منه.

ثم تابع حديثه وهو ينظر لولده بطرف عينه:

- لن ألومك على ما فعلته، فحين ترى أباك يركض خلف شهواته ولا يستطيع التحكم في غريزةٍ قد اختبرها قديمًا، لتسوقه نحو الهاوية التي وقع بها بكلّ بساطة، فما تُفكر به أنت في المُقابل لا شيء.

أنهى جملته وعاد لمجلسه وهو يقول لهما بنبرةٍ أكثر حدة من ذي قبل:

- اركض أنت وأبيك في طريق الفجور وحين تصلا لنهايته، تستطيعان العودة بعدما تفقدان في رحلتكما كل ما اقتنيتموه في الأعوام الفائته، واتركوا لي أحفادي كي ألحق بهما قبل أن ينجرفا معكما .

وضع الملك الأبيض كلتا ذراعيه أعلى مقعده وهو يُتابع:

- اخرجا الآن من قصري، فأنا لا أهوى استضافة الفاسقين.

اختفى الاثنان من أمامه وهما يسمعاه ينادي لروهان الصغيرة وهو يأمرها:

- اجلبي لي الضيفة التي تدَّعي أنها حفيدتي.

انتقل بني النعمان لمكانٍ مُقفرٍ في الصحراء، فتبعه ولده بانفعالٍ واضح وهو يقول له:

- كيف يفعل هذا بابنتي.

جلس بني النعمان أعلى التلة واكتفى بنظرةٍ متجهمة ابتلع بها يوناس لسانه ليردف بصوتٍ مُضطرب:

- أنا لم أقصد، ولكنها ابنتي وأنا من يجب وأنا من يجب أن يُحدد مصيرها، أنا لا أريد منها أن تتعلم هذا النوع من السحر يا أبي، سينفلت أمرها يومًا ولن نستطيع التصرف حينها.

رفع بني النعمان رأسه وهو يتطلع له متسائلًا:

- هل زنيتُ حقًا مع ابنة القائد الأعلى لقبيلة الشنفري؟!

أدام يوناس النظر نحو أبيه وهو يقول له:

- أقسم لك أنني لم أفعلها.

أشار له بني النعمان ليجلس جواره وهو يُردف:

- متى ذهبت للقبيلة آخر مرة؟!

زفر يوناس بضيقٍ وهو يخبره:

- منذ قليل.

ثم أخرج الورقة من جيبه فراقبه أبيه وهو يُتابع:

- ذهبت لكي أقابل كيبورا حتى يدلني على صاحب هذا الوشم.

ضيق بني النعمان عينيه، فاضطربت أنفاس يوناس وهو يُردف:

- ذهبت كي أرى تيما ابنة القائد الأعلى واتخذت هذه الورقة حُجة كي أدخل للقبيلة.

أشاح بني النعمان بوجهه عن ولده وهو يقول بأسى واضح:

- إذًا أبي كان مُحقًا، لقد تركنا العائلة والرعايا وركضنا خلف أهوائنا التي جعلتنا نخسر ما عشنا لأجله يومًا.

تنهد يوناس بعُمقٍ بعدما أدرك الأمر قائلًا:

- إذًا أمي علمت ما حدث بينك أنت وهند.

لم يُعقب بني النعمان ليُكمل يوناس:

- لقد رأيتها مع كيبورا.

اهتز جسد نعمان رغمًا عنه، وارتفعت حرارة جسده بشكلٍ ملحوظ، بينما تابع يوناس:

- لقد رأتني أقف مع تيما، فنهرتني وانصرفت معه.

لم يجد أي ردة فعل من أبيه فوقف بحنقٍ واضح وهو يقول له:

- أنا لا أعلم كيف تعرفت أمي على كيبورا هذا؟!

ردد بني النعمان بخفوت:

- عرفتُ أنه كان يحميها قبل عودتي، وقد قام بقتل الحارث الأول والثاني حين أخفقا في حمايتها.

انحني يوناس بغيظ واضح:

- ستتركها إلى متى هناك؟! وكيف ستتركها هكذا مع رجلٍ غريبٍ عنا؟!

دفعه بني النعمان بعيدًا عنه وهو يحاول الحفاظ على هدوئه الخارجي بينما ينظر له بعينين حمراء من الغضب:

- هل تظن أنني لن أستطيع جمع جنود المسلمين أجمع والغور على قبيلة الشنفري حتى يركع كيبورا على ركبتيه كي أتركهم وهو يسلمني إياها!

تهدجت أنفاس يوناس وهو يردد:

- وماذا ننتظر إذًا؟!

لمعت عينا نعمان بقتامة وهو ينهره:

- ستظل إلى متى بهذا الغباء بالله عليك؟! سوف أقتلك يومًا بسبب حماقتك هذه.

جلس يوناس بعيدًا عن أبيه قليلًا ليتجنب منه لكمة أو صفعة قوية وهو يسأله بهدوء:

- اشرح لي الأمر إذًا.

شرد بني النعمان ببصره نحو المساحة الرملية الكبيرة، وهو ينصت لصوت الهواء الذي ينساب بين الرمال ليعلوا بها في دوامةٍ عاتية، ثم يغادر خاوي اليدين تاركًا الحبات الصفرء تسقط في موضعها بعدما شتت شملها. تنفس بعمقٍ وهو يقول له:

- هند في الخارج إذًا روهان ليست في أمان، مهما حاولنا حمايتها سوف تصل إليها بشكلٍ أو بآخر، هي معه في أمان حتى أجد الوقت المناسب لعودتها.

ضم يوناس حاجبيه مرددًا:

- ألم تضعها في سَجنٍ قوي؟!

رفع زاوية فمه بإهمالٍ وهو يُجيبه:

- ولو وضعتُها على كوكب بلوتو وأرسلت الكوكب خارج المجرة ستعود بعد بضعة دقائق.

اندهش يوناس مما قاله أبيه:

- ولكنك سجنتها من قبل عدة سنوات.

هز كتفه الأيسر وهو يخبره:

- هذا عقابٌ اعتبرته هند مُزحة مني، قرصة أذنٍ لم تهتم لها ولو للحظة، وإن لم أساعدها على الخروج عن طريق الخادمين كي أعرف خطواتها؛ كانت ستخرج عاجلًا أما آجلًا.

سأله يوناس بجدية:

- ماذا ستفعل إذًا معهما؟!

وقف نعمان باستياءٍ واضح وهو يجيبه:

- لا أعلم.

ثم اختفى من أمامه وهو يقول له:

- عُد للقصر في الحال، واترك الفتاة لجدها فهو أعلم بها منا،

وابحث عن هديةٍ كبيرةٍ قبل عودتك لتقدمها لزوجتك ولا تقابل هذه الفتاة ثانية، وإن فعلت فلا تلومنَّ إلا نفسك.

سمعت مويرا صوت هند تناديها فنظرت عبر الشرفة فوجدت شاص مازال يقف أمام باب الغرفة بترقبٍ شديد، عادت للداخل وهي تُسرع في خطواتها نحو زوجها الذي يقف باضطرابٍ قائلًا:

- يبدو أن سيدي عرف بأمرنا.

ثم أمسك ذراعيها بقوةٍ وعنفٍ شديد وهو يقول لها:

- أنتِ السبب أيتها الشيطانة، أنتِ السبب.. اللعنة عليكِ.

دفعها من أمامه بقوة فعادت للخلف بضعة خطوات، لتستقيم على الفور، ثم دنت منه وهي تقول له:

- هل تريد أن نهرب من هنا قبل أن يعود سيدك، ووقتها لن تُدرك حتى الندم.

حك رأسه بقوة وهو يفكر في حديثها، قبل أن يسألها بترقب:

- ماذا ستفعلين إذًا؟!

لمعت عينيها وهي تقول له:

- أخرج لأخيك وحاول إلهائه بأي حديث بينكما، وأنا سوف أخرج من القصر لأجلب بضعة أغراض نستطيع بها الهروب من هنا دون أن يشعر بنا أخواك أو حتى الحرس.

اتبعت جملتها بتمريرةٍ رقيقةٍ على وجنته، فأغمض عينيه بتأثر لتُتابع حديثها برقةٍ بالغة:

- هيا يا حبيبي افعل ما أمرتُك به حتى نرحل من هنا، ونعيش سويًا في أمان.

أومأ برأسه وانطلق للخارج ليقف مع أخيه الذي حاول إضمار غضبه كما أمره بني النعمان، لتتسل مويرا دون أن يشعر بها شاص حتى خرجت من القصر، وحينها اختفت على الفور لتبحث عن سيدتها، فاستغرقت خمسة عشرة دقيقة حتى عثرت على الكهف المُضرم بنيران البركان الخامل، لتقف أمام هندٍ بضجرٍ قائلة:

- لقد كدت أن أفقد الأمل في العثور عليكِ.

أمسكت هند يدها وهي تحاول السيطرة على هياجها وعيناها تأبى أن تفارقا الموضع الذي اجتمعت فيه مع بني النعمان بعد كل تلك السنوات، لتأمرها بصوتها الغليظ:

- اخرجيني من هنا في الحال.

أخرجتها مويرا لجزيرةٍ قريبة وهي تسألها بقلق:

- هل قام سيدي بحبسك ثانية؟!

رفعت هند عينيها المشتعلتان نحوها قائلة:

- هذا الأمر لا يعنيكِ في شـيء، سوف تفعلين الآن ما آمرك به.

أحنت مويرا رأسـها وهـي تنظر لهند التي تابعت:

- أريـدك أن تـحضري لـي الإنـسية الـتي تُـسمى روهـان.
شهقت مويرا بذعرٍ وهـي تردد:

- زوجة سيدي؟!

رمقتها هند بنظرةٍ كادت أن تحرقها، فابتلعت مويرا لسانها لتخبرها سريعًا:

- لقد سمعتُ من أحد الجنود أنها غادرت القصر.

تطلعت هند نحوها بتعجبٍ لتسأل:

- أين ذهبت؟!

رفعت مويرا كتفيها وهـي تقول:

- لا أعلم؛ ولكنني سمعت بعودة سيدي للقصر بعدما عاد ولده وسيدتي سارافيم والطفلة الصغيرة،

وبعد قليل هجرته الإنسية.

شردت هند وهـي تحاول توقع ما حدث، ثم حدقت بمويرا وهـي تحدثها:

- ابحثي عنها في كل شبر من ممالك الجن، واجلبيها لي بأي ثمن.

انتقل بني النعمان لمملكة العماليق، ليقف فوق البوابة مناديًا على وِيْوَن الذي خرج إليه بعد لحظات وخلفه عدد من الجنود. تأملهم بني النعمان بتدقيق وهو يوجه نظره نحو وِيْوَن قائلًا:

- هل تخشاني لهذه الدرجة؟!

تنحنح وِيْوَن بحرجٍ وهو يقول له:

- لا؛ فهؤلاء الجنود يحرسون المدخل على أية حال.

ابتسم له بني النعمان وهو يخاطبه:

- حسنًا، دعهم يحرسون المدخل جيدًا وتعال معي أريد أن أتحدث معك في أمرٍ هام.

خطى وِيْوَن بجواره مترددًا، ليقول له بقلقٍ واضح على صوته:

- أعرف كهفًا قريبًا من هنا نستطيع الجلوس به، حتى أنزع عني هذه البذلة.

تأخر بني النعمان خطوة للخلف وهو يقول له:

- إذًا دعني اتبعُك.

وصل وِيْوَن لكهفٍ مُظلم، لينزع عنه لباسه الذي يحميه من الضوء، وهو يتطلع نحو بني النعمان باضطرابٍ قائلًا:

- إذا أردت أن تتحدث معي بخصوص ابنتك، فدعني أعود لمملكتي في الحال، وإن رغبت في التحدث بأمرٍ آخر فأنا هنا كي أستمع إليك.

جلس بني النعمان على أحد الأحجار القريبة من الضوء، وترك له مكانًا مُعتمًا في الداخل، فقبع وِيْوَن بالقرب منه وحدقتيه السوداء تلمعان في ظُلمة المكان، ليبتسم بني النعمان نحوه وهو يقول له:

- لقد أخبرتني ابنتي عن عشقها لك، وأنا أثق أنك تعلم جيدًا أن مجيئ إلى هنا لأجلها، وقد وافقت على مجالستي وأنت تعلم ذلك، فلا تقبضن على قلبك يا ولدي واترك العنان لأذنك كي تستمع لِما حدث في الحقيقية، ولا تجعل غضبك يقوم بنسج غشاوةٍ على عينيك.

وقف وِيْوَن بحدةٍ قائلًا:

- الحقيقة يا سيدي أن ابنتك سحرتني وجعلتني أقوم بسجن أبي وإخوتي حتى يتسنى للشيطانة أمها هدم مملكتنا بغاية الانتقام فقط، لم تكترث لي ولا لعائلتي التي هي من المفترض أن تكون عائلتها، وخانت الجميع وأنا على رأسهم، هذه هي الحقيقة التي تحاول أنت تزييفها.

استقام بني النعمان أمامه بغضبٍ وقد تجهمت ملامحه وهو يحدثه بنبرةٍ جافة:

- أنا لم آتِ إلى هنا كي أغير ما حدث، أو أقوم بالتدليس لأجل ابنتي، فهذا لم يكن طبعي يومًا، ولو اتهمني رجُلٌ آخر بما قُلته أنت، فمصيره سيكون الموت في الحال، ولكني سوف أمررها لك وتذكر أنها الأخيرة.

وقبل أن يتحدث وِيْوَن ثانيةً أوقفه بني النعمان ليُردف:

- والآن اجلس واسمع ما جئت كي أقوله لك.

لم يرضخ وِيْوَن للأمر فقد أعماه غضبه عن الخوض حتى في ما حدث. ففطن بني النعمان إصراره على موقفه ولكنه تروّى عن الذهاب، فدنا منه قائلًا:

- ابنتي كانت تحت رحمة أمها كما كُنت أنت تحت تأثير سحرها، لقد أخبرتني أنها فكرت في إنهاء حياتها حتى لا تفعل بك ما فعلته، ولكن حتى هذه منعتها أمها عن فعلها، حاول أن تتفهم كم كانت يائسة في هذا الوقت، ضع نفسك في موضعها وابحث عن التصرف الطبيعي لفتاةٍ أمها تتحكم حتى بمشاعر الكراهية التي تحملها نحو أبيها، فتاة تربت على القسوة وقامت أمها بإطعامها غلظة وفظاظة في القول والفعل.

وضع بني النعمان كفه على كتف وِيْوَن وهو يستطرد:

- هل لو أمرك أبيك بفعل شيء تدرك جيدًا خطأه، وتعلم تمام العلم أنه سوف يأتي بدمارٍ وهلاكٍ لمن تُحب، هل سترفض فعله؟!

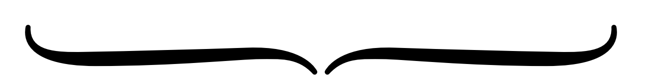
تعالت أنفاس وِيْوَن وهو يتذكر هذا الطفل الذي يفطن أن هلاكهم سوف يكون بيديه.

انعقد لسانه وهو يراقب بني النعمان بحذر، ليرفع نعمان يده من على كتفه قائلًا:

- عندما تصل للحقيقة بقلبك استدعني، فهي تريد مقابلتك بأي ثمنٍ تطلبه.

كاد أن يختفي فأوقفه وِيْوَن وهو ينظر حوله بريبة:

- أريد مقابلتها الآن.



الفصل التاسع عشر

انتقل يوناس للكهف القابع على جبل وستو وهو يحمل معه حجرًا مميزًا من العقيق الأخضر ينظر له بسعادة وهو يطرق مدخل الكهف ثلاثًا كما فعل في السابق، انفتح الصخر ولم يجد يوناس العجوز هذه المرة في استقباله، ولكنه وجدها تناديه:

- ادخل يا يوناس، أنا أشكرك على دقة مواعيدك.

ضيق عينيه بدهشة من حديثها، ليردد بحيرة:

- نحن لم نتفق على موعدٍ مُسبق! هل كِبر سنها جعلها تتوهم؟!

اختض جسده بعدما ضربته ضربة خفيفة على رأسه وهي تقول له:

- أنا لا أتوهم أيها الغبي، أنا أعني ما أقوله.

ثم أردفت وهي تجلس على مقعدها أمامه:

- هل تظن أنك جئت إلى هُنا بإرادتك؟!

نظر للحجر في كفه وهو يُريها إياه قائلًا:

- نعم، لقد جئت كي أصنع من هذا غرضًا لي ولزوجتي برباطٍ أبدي.

لم تتغير ملامح العجوز وهي تقول له:

- ومن أبرَزَ في عقلك الفكرة هذه؟!

نظر لها بغرابة وفضل الصمت كي يستمع لباقي حديثها، لتتابع وهي تشير إليه أن يقترب منها:

- تريد هدية مُميزة كما أخبرك والدك، فيذهب عقلك لخاتمين برباطٍ أبدي كي لا تنجرف مشاعرك لجنية أخرى، ومن سيصنع لك الخاتمان، عجوز تسكُن أعلى قمة جبل استو.

رفع يوناس زاوية فمه بابتسامة وهو ينحني نحوها:

- ولكنكِ أخفقتي في قراءة عقلي جيدًا.

دققت النظر بعينيه وهو تقول له:

- أنا لم أعجز عن قراءة عقل جني من قبل.

جلس على ركبتيه أمامها وقد اتسعت ابتسامته وهو يُخبرها:

- لقد أردتُ سلسالين وليس خاتمين.

مدت له يدها بلفافة لا يعرف ما تحويه بداخلها، وهي تقول له وقد تحولت ملامحها على الفور بجديةٍ تامة:

- احتفظ بهذه حتى يحين وقتها، واعطني حجر العقيق الذي تحمله لأصنع لك السلسال.

ناولها الحجر وتركها تعود للداخل، وهو ينظر للفافة التي بيده بعجبٍ، ليعلو صوتها وهي تحذره:

- لا تُفكر حتى في فتحها، لا تتعجل يا فتى فأنت سوف تعلم الوقت المناسب لاستخدامها، واخبرني الأن هل خرجت هند من السجن حقًا؟!

اجابها بضيق:

- نعم، ولكن هذه المرة يجب أن تُقتل.

اطلت العجوز برأسها وهي تنظر نحوه قائلة:

- لقد أخبرتُك من قبل أن بينها وبين أبيك رباط.

رفع كتفيه بإهمالٍ وهو مازال يُقلب اللفافة بين يديه:

- لقد سمعتُ والدي يخبرها أنه قد تخلص من رباطها بخاتم آخر.

اعادت رأسها للداخل وهي تُقسم الحجر الذي بيدها نصفين مرددة:

- العبرة ليست بالخاتم مدام الحجر موجود.

سألها باهتمام:

- ما الذي يعنيه هذا؟!

آثرت الصمتُ ولم تُجيبه، فزم شفتيه وهو يضع اللفافة في جيب مئزره وانتظرها لبعض الوقت حتى انتهت وخرجت بعدما ظن أنها قد فراقت الحياة بالداخل. أمسكت العجوز بكفه وفتحته لتضع بها السلسال المنقسم لقسمين، أحدهما من الذهب والآخر من الفضة، يتدلى منه الحجر المصقول باللون الأبيض على شكلٍ مخروطي، حرك يوناس إبهامه على السلسال، لِيرفع الذي من الفضة ويضعه حول رقبته ليتحول الحجر للّون الأخضر القاتم. نظر للعقيق الذي تبدل لونه، فرغب باستفهام الأمر منها قائلًا:

- ما الذي حدث ليتغير لونه؟!

استلقت العجوز على مقعدها مغمضة العينين وهي تُجيبه:

- أنت لا تعلم كيف يتم الأمر؟!

حرك رأسه نفيًا لتتابع هي:

- حين ترتدي الغرض المربوط تنتقل روحك الأثيريه إليه ليتحول على الفور للونٍ خاص بكلاكما.

وقف يوناس ليستوضح الأمر:

- وما معنى هذا؟!

زفرت بضيق قائلة:

- معناه أنه إذا انتهت حياة أحدكما يلحق به الآخر في دقائق معدودة.

رفعت كفها نحو الصخرة الكبيرة التي انفرجت على الفور وهي تُردف:

- هيا اذهب من هنا، لقد انتهت زيارتك.

خرج يوناس من الفجوة المُنفرجة، لينغلف الممر؛ بعدما لحق به صوتها وهي تنبهه:

- لو قُمت بفتح اللفافة قبل موعدها ستفقد أهم غرض يمكنك الحصول عليه يومًا، والثمن لن يكون سوى حياةٌ؛ لا تستطيع العيش دونها.

اختفى يوناس وحديثها عالقٌ بذهنه حتى أنه قد فَكر أن يبلغ والده بالأمر. وصل للقصر بعقلٍ مُشتت ولكنه لمح زوجته خارجًا تقف مع أحدهم، عاد سريعًا إليها؛ فوجدها تضحك بخفة مع جني مائي، تسمرت إلينا للحظة وهي تُقسم أنها سمعت طقطقة تُشبه تلك التي يُخرجها الخشب حين تختلط به النيران المُشتعلة. ارتجف جسدها إثر اقترابه وفي لحظة لم ارتجف جسدها إثر اقترابه وفي لحظة لم تجد كلاهما، وقفت تائهة تنظر حولها بريبة ولم تجد سواها:

- منسا اغيثيني..

حضرت منسا في الحال لتتساءل:

- ماذا حدث؟!

روت لها ما حدث، ثم طلبت منها برجاء:

- انقليني إليهما.

رفعت منسا كفها وهي تقول لها:

- انتظريني هنا حتى أتبع آثارهما وأعود إليك.

ظلت إلينا على وقفتها بوجلٍ شديد حتى عادت لها منسا وهي تكتم ابتسامتها مرددة:

- تعالِ معي.

أمسكت إلينا بها وهي تهمس بضيق:

- أرى أنكِ تستمتعين بما يحدث.

أوقفتها منسا أمامهما لتشهق إلينا عاليًا مما تراه.

دخلت سارافيم غرفة الملك الأبيض على استحياء، تتقدمها روهان الصغيرة وهي تسحبها من يدها بحماسٍ لتشجعها على التقدم:

- لا تخافي، سوف تحبينه كثيرًا.

رفع الملك عينيه للأعلى وهو يدقق النظر بها، فشعر بعاطفة كبيرةٍ نحوها فهي تشبه زوجته إلى حدٍ كبير، ظل يُحدق بهاً للحظات شعرت فيها الفتاة بالارتباك الشديد، أما عنه فقد ذهب مع تقاسيم وجهها لعالمٍ آخر، عاد لحاضره مع عينيها الحمراء التي تُماثل أمها،

فابتسم بهدوء ليزيل توترها الواضح وهو يشير نحو المقعد الموضوع أمامه:

- اقتربي، واجلسي هنا.

دنت من المقعد فلوح لروهان أن تتركهما، اختفت الصغيرة على الفور وهي تهمس:

- هذه العائلة تُدهشني برقة قلبها.

أقبل الملك عليها بجسده وهو يحدثها بجديته المعتادة:

- لقد ظننت حينما علمتُ بوجودك، أن هند تنسج خدعة وتستخدم فتاة مسكينة من الجن لتخترق العائلة التي طالما تمنت أن تنتمي لها.

فتحت سارافيم فمها فتابع:

- لكن حينما رأيتك تأكدت من أنكِ حفيدتي، فأهلًا بكِ فردًا في عائلتنا..

أنهى جملته ثم قام من موضعه واقترب منها متعلقًا بذاراعها ليخطو خارج الغرفة تجاه الحديقة الكبيرة وهو يقول لها:

- تعالي معي لنسير سويًا حتى تقصي عليّ مالم تبوحي به لوالدكِ.

نقل بني النعمان وِيْوَن لقصره في نفس اللحظة، وأشار نحوه ليجلس وهو ينادي ابنته سارفيم، غافلًا عن وجه وِيْوَن الذي يكتُم سرًا كبيرًا بينما علامات التيه تتجلى على تقاسيمه وكأنه لا يعرف ماذا يفعل. أتت سارافيم على الفور وهي تنظر نحو زوجها بسعادةٍ بالغة، وجسدها لا يستطيع الاستكانة باهتزازةٍ واضحه، تأمل بني النعمان جسد ابنته الفرحة لينحني تجاهها قائلًا بخفوت:

- تحدثي إليه بصدق مشاعرك، واهدأي قليلًا حتى لا تُصابي بخيبة الأمل، فهو لم يُسامحكِ بعد.

اكتفت بإيماءة من رأسها، انسحب نعمان بعدها ليتركهم بمفردهم.

خرج من البهو الكبير لينادي شاص الذي آتاه على الفور مُلبيًا، سأله بني النعمان بصرامة:

- هل ما زال الخائنان في موضعهما؟!

أخفض شاص رأسه وهو يخبره ما حدث:

- لقد هربت مويرا، باستخدام أخي الغبي في إلهائي.

صك بني النعمان أسنانه بغضبٍ شديد، ثم ضيق عينيه بتفكُر قائلًا:

- اتركه يذهب إليها، وقم بمراقبتهما من بعيد دون أن يشعروا بك، فأنا أعلم أن هند قد استدعتها لتُخرجها من المكان الذي احتجزتها به، فدعه حتى أتبين ما تنوي فعله.

انسحب شاص بعدما أجاب بالسمع والطاعة، ليصله صوت ابنته الباكية وهي تقول لزوجها:

- أرجوك يا وِيْوَن سامحني وأعدني لبيتي، أقسم لك أنها هددتني بالقتل إن لم أفعل ما أمرتني به.

لم ينزع وِيْوَن بذلته الثقيلة رغم الظلام الذي يُحيط بالقصر كلهِ، وفضل أن يظل خلفها حتى لا ترى نظرات عينيه التي تشتاق لرؤيتها حد الموت. حاول أن يُجلي صوته ليخرج غليظًا بما يكفي وهو يقول لها:

- لقد انتهت الحياة بيننا يا سارافيم، لن أستطيع الوثوق بكِ مرةً أخرى.

ثم وقف كي ينصرف، فتطلع نعمان نحوه بغرابة وهو لا يدري لما جاء إلى قصره إذًا مادام يُصر على قراره؟! أحس أن هناك سببًا آخر لزيارته هذه بعيدًا

يغفل عن إحساسه قط. حاول الحفاظ على المسافة الخاصة بهما وهو يتمنى من ابنته أن تقوى قليلًا وتتوقف عن إذلالها وتترك الوقت يعالج الصدع بينهما. وكما تمنى قد حدث، اختفت سارافيم من أمامه على الفور دون كلمة أخرى، ورغمًا عنه ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتيه وهو يقترب من وِيْوَن الذي لم تتغير وقفته بشتاتٍ واضح:

- ما الذي جئت إلى هُنا من أجله؟!

حدق به من خلف قناعه وهو يُجاهد نفسه كي يخبره بما بما دفعه للمجيء إلى مملكته حتى لا يسمعه أحدٌ من العماليق. انتظر بني النعمان قليلًا حتى أردف:

- لا تخف من البوح بسرك، فأنا أعدك أنني لن أؤذيك به.

تشجع وِيْوَن إثر وعده، ثم عزم أمره بنفسٍ عميقٍ وهو يقول له:

- لقد أمر والدي الأطباء بأخذ بويضة من زوجتك حين كانت في مملكتنا للاستشفاء، لِما رآه من دمائها النقية التي لا مثيل لها.

تعالت نبضات قلب بني النعمان وهو يقترب منه، ليتذكر صراخات روهان تتوالي على مسامعه وحديث الأطباء عن حالتها العجيبة وكأنها في مخاض، ليُخرجه صوت وِيْوَن المضطرب وهو يتابع:

- احتفظ أبي بالبويضة لفترةٍ طويلة وبعدها عزم أمره هو وأطبائه بتلقيحها، فقد قرر أبي حينها أننا لم نعد نستطيع التعامل مع السحرة من الجن وعلينا إيجاد البديل الذي يغنيني عنهم.

لم يستطيع بني النعمان أن يتمالك نفسه في هذه اللحظة، فقبض على عُنق وِيْوَن وهو يصرخ به:

- كيف تجرَّأ هذا الخسيس على فِعل ذلك!
حاول وِيْوَن التملص منه بكل ما امتلك من قوة وهو يقول له من بين أنفاسه:

- لا تجعلني أندم على إخبارك بالأمر، اتركني لقد وعدتني.

تركه بني النعمان وعيناه تشتعلان غضبًا، بينما عقله يراجع كيف استطاعوا أخذ عينةٍ منه لتلقيحها، دفعه نحو الحائط الصخري وهو يسأله بسخطٍ كبير:

- كيف استطعتم تلقيحها مني؟! اخبرني قبل أن أقتلك في الحال وأخلف وعدي لأول مرةٍ في حياتي..

ليأتيه صوت وِيْوَن المتهدج قائلًا:
- نحن لم نلقحها منك.
ركضت إلينا نحوهم وهي تصرخ بزوجها:
- توقف يا يوناس، توقف أرجوك.

لم يستمع لها وهو يُحطم التلال من حِوله على رأس موسى الذي لم يعُد يستطيع أن يضاهيه قوة، أمسكتها منسا سريعًا قبل أن يسقط عليها حجرٌ يتأرجح أعلى رأسها، أبعدتها عنهما وانتقلت للمنتصف كي تُنقذ موسى من يده قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، لتتشابك مع يوناس بعد أن حانت لها الفرصة.

شعرت إلينا أنها سوف تشهد مقتل أحد الثلاثة الآن، فوقفت بعجزٍ تدور حول نفسها ليقودها عقلها فورًا لإخرج الفلوت، لم تتردد لحظة وهي تسحبه من جيبها بيدٍ مُرتعشة، أغمضت عينيها وحاولت تنظيم أنفاسها وبدأت بالعزف القوي، لحظات وفتحت عينيها لتجد منسا وموسى يتسمران مكانهما، فهرعت إلى يوناس قبل أن يقتلهما وهما ما زالا تحت تأثير السحر. قبضت على كلتا يديه وهي تنهت بتعبٍ من ركضها السريع وتوترها لما يحدث، فنظرت نحو حدقتيهً اللتان تشتعلان باللون الأسود القاتم، لتُحرر دموعها الحبيسة بأسى وهي تصرخ به:

- انقلنا من هنا في الحال.

رضخ لأمرها فنقلها في كوخٍ جبلي قد صنعها قبل أن يأتي إليها بالسلسال، ثم شد يدًيه من كفيها اللتان ما زالت تقبض عليهما،

ليتصاعد الغضب نحو صدره دُفعة واحدة، وهو يقذفه في هوة صعدت منها أنفاسه بهياجٍ كبير وهو يصرخ بها:

- هل تعتقدين أنني أمثل دور الرجل الأحمق الذي تظنين أنكِ سوف تثيرين غيرته برجُلٍ آخر؟!

حاولت الاقتراب منه فتراجع للخلف وهو يُحذرها:

- لا تقتربي يا إلينا، أنا لن أسامحكِ على ما فعلتِ حتى لو كان هذا اقتراح الشيطانة التي تتخذينها صديقتك.

كفكفت دموعها بقوة وهي تُضيق عينيها مرددة بصراخٍ مُماثل:

- لحظة واحدة! كيف وصلنا إلى هُنا؟!
هل أنا الآن التي في موضع اتهام وأنت من تقرر ستسامحني أم لا؟!

جحظت عينيها بذهولٍ وهي تتابع:
- أنا لا أصدق حقًا.

لم يفهم يوناس ما ترمي إليه، وعيناه تنظران نحوها شزرًا وقبل أن يفتح فمه ثانية، أكملت ثورتها وهي تدفعه بكل قوة تملكها وبغيظٍ شديدٍ قالت له:

- لقد رأيتُك بأم عيني معها على الجزيرة، تتأمل حدقتيها بابتسامةٍ بلهاء، بينما هي تنظر إليك بإعجابٍ يكاد يفتك ملامحها الحمقاء، أيها الخائن النذل.

أمسك كلتا ذراعيها التي لا تؤثران به ولو بالقليل، وضيق عينيه بدهشة وهو يسألها:

- من الذي جاء بكِ إلى هناك؟!

أنفاسها تتسارع وكأنها تعدو في سباقٍ من شدة الانفعال، لتصك أسنانها بغيظٍ وقد توغر صدرها لسؤاله:

- هل هذا ما يعينك الآن؟! من الذي نقلني للجزيرة حتى أراك!

شعر بأنها سوف تفقد الوعي من شدة غضبها فأخفض صوته وهو يحاول تهدئتها:

- حسنًا؛ اجلسي ودعينا نتحدث بهدوء.

سحبت يدها بعنفٍ وجسدها مازال يهتز وهي تدنو منه قائلة:

- لن أجلس معك أيها الخائن، أعدني لمنزلي.

أنهت جملتها وهي تشدد على كل حرفٍ، بينما عيناها المتعضتان ترمقانه. لم يمنحها فرصة أخرى للاعتراض، وأحاطها بذراعيه لينتقل بها في قلب إحدى بحيرات دستركت، إنجلترا. شهقت إلينا من اصطدمها بالماء البارد، فنظرت نحوه بغيظ على ما فعله بها، فضحك قائلًا:

- لم أجد أبرد من هذه البحيرات في هذا الوقت من السنة حتى أضعكِ داخل أحدهم كي تهدئين قليلًا.

قذفته بالماء في وجهه وقد بدأت الزُرقة تزحف على شفتيها، وهي تحدثه بفم مُرتجف:

- اخرجني من هنا.
جذبها في أحضانه فاستسلمت على الفور كي تتلمس بعض الدفء بعدما تجمدت أطرافها، فابتسم إليها هامسًا:

- لقد اخترت هذه البحيرة بعناية لأجل ذلك.

لم تستطِع أن تُصدر حتى ردة فِعل، فاستكانت في أحضانه حتى أعادها للكوخ التي لم ترَ ما فعله داخله لأجلها بسببٍ نوبة غضبها العارمة. أشعل لها كومة خشب لتتلمس بعضًا من القيظ، ثم خطى نحوها وعيناه تلمعان برغبةٍ وهو يخلع عنها ملابسها المُبتلة مرددًا:

- هل تريدين أن أمنحكِ بعض الدفء؟!

نظرة غاضبة منها كانت كافية ليترك جسدها المرتعش على الفور ويختفي للحظات عائدًا وبين يديه ملابس جافة قد جلبها من خزانتها. تركها تُجفف جسدها وترتدي ملابسها بجسدٍ قد غمرته دفء النار المشتعلة في منتصف الكوخ. أرخت ذراعيها جانبها ليجلس هو أمامها على ركبتيه قائلًا بصوته الشجي:

- لقد رأيتِ ما أرادت منكِ منسا الملعونة رؤيته، أنت لا تعلمين ما حدث يا إلينا.

لأَن قلبها لصوته الذي استشعرت منه الصدق، فسألته بحيرة:

- ما الذي حدث؟!

لاح الحزن على ملامحه وأشاح بعينيه وهو يُخبرها:

- لقد تركت أمي المملكة بأكملها وانتقلت لقبيلة الشنفري.

شهقت إلينا بفزع وهي تُردد:

- لماذا؟!

تنهد بعمقٍ وعاد للنظر إليها:

- بسبب عودة أبي لزوجته الأولى هند.

انتفضت فزعة وهي تضرب صدرها:

- كيف فعل هذا بها؟!

وقف يوناس قبالتها ليلف ذراعه حول خصرها وهو يجعلها تجلس ثانية:

- لقد أخطأ، ومؤكد سوف يقومان بتسوية الأمر بينهما.

جعدت ملامحها بأسى يختلط بحنقٍ شديد، تحول فجأة لتهكم وهي تقول:

- والفتاة التي كانت معك كانت تواسيك في لحظات حزنك على أمكَ وأبيك؟!

رفع حاجبيه وهو يتحدث بجدية:

- لا، هي نقلتني لهذا المكان حتى لا تحدُث حربًا بيننا وبين رؤساء القبيلة بسبب دخولي إلى أرضهم دون إذنٍ أو استدعاء.

خبطت كفيها بعضهما البعض وهي تسأله بضجر:

- ولمَ ذهبت إلى هُناك دون إذنٍ أو استدعاء؟!

فكر للحظات ألا يُخبرها عن ابنتها، ولكنه لم يستطِع أن يخفي الأمر عنها فهي أمها في النهاية، فبدأ بقص ما حدث عليها لتُصدم إلينا مرة تلو المرة كلما حكى لها جزء، انتهى مع إخبارها بأن جده هو من فعل هذا وكانت هذه القشة التي قصمت ظهر البعير. تركت جسدها يرتطم بالمقعد الخشبي من خلفها وبدأت في العويل والبُكاء وهي تردد:

- لقد أخبرتُك أن ابنتك ليست على طبيعتها، أطلعتُ الجميع على ما يحدُث معها، وبُحَّ صوتي في محاولة إقناعك بالأمر، وأنت وخالتي ظننتموني مجنونة وهذان الطفلان يلعبان على ضعفي.

جثا يوناس على ركبتيه وهو يمرر كفيه أعلى كتفيها برقة قائلًا:

- اهدأي أرجوكِ، أنا أعتذر منكِ على ما فعلته معكِ، وأعتذر بشدة على عدم تصديقي لكِ، ولكن عليكِ الوثوق بي يا حبيبتي، فأنا أعدك ألا يصيبها مكروه ما دُمت على قيد الحياة.

مسحت دموعها بطرف كفها وهي تتطلع إليه برجاء لتردد بأنفاسٍ لاهثة:

- حقًا يا يوناس لن يصيبها مكروه مع ما تعلمته من الشيطان؟!

حرك رأسه نفيًا وهو يضمها لصدره:

- لا تقلقي فابنتنا قوية لدرجة لا تتخيلينها، وأنا سأظل دومًا بجانبها ولن أدعها تنجرف لأي طريق سوى طريق أبي وأنا من بعده.

ثم أبعدها بحنوٍّ وهو يُخرج السلسال الخاص بها من جيبه ليناولاها إياه وهو يشير للذي يتدلى من رقبته:

- لقد صنعتُ هذه لنا.

ضيقت عينيها بدهشة وهي تنظر إليهما بسعادة متسائلة:

- ما هذا؟!

أجابها وهو يقترب منها كي يُلبسها إياه:

- رابطٌ أبدي.

ابتعدت برقبتها قبل أن يضع السلسال بها قائلة بقلق من وقع التعريف على أذنيها:

- ما معنى ذلك؟!

اندهش من رؤيتها تبتعد عن مداره ليجيبها:

- شيء نفعله نحن الجن كي نربط بعضنا بمن نُحب، فإذا مات أحدهم صعدت روح الآخر بدقائق معدودة.

شعرت برُهابٍ يُحاصرها من مقولته، فنهضت من مقعدها بتوجسٍ وهي تتلافى مواجهته.

فاستقام يوناس ووقف خلفها بارتباكٍ قائلًا:

- لما ابتعدتي هكذا يا إلينا؟!

أدار جسدها كي تواجهه، فوجد الدموع تجمعت في مقلتيها لتجيبهُ بصوتٍ مُلتاع:

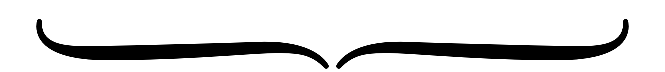
- أنا لا أريدك أن تموت معي يا يوناس، يجب أن تظل من أجل أطفالنا، فأنا لن أعيش حتي ربع عمرك.

انقبض قلبه من كلماتها التي طعنته بها على حين غُرة، فهو لم يتوقع أبدًا إجابة كهذه، ولم يحسب يومًا ولو للحظة أنها سوف تفارقه رغمًا عنها. لم يشعر بنفسه إلا حين سحبها لأحضانه بقوة كي يحتويها داخل ضلوعه حتى تظل هناك للأبد، التقط أنفاسه بصعوبةٍ وهو يردد بهمسٍ قاتل:

- لن يأخذك الموت مني ولو فعل فلا عيش لي على هذه الأرض دونك.

لم تشعر به وهو يضع السلسال حول رقبتها ليتحول لون الحجر للأخضر على الفور. شهقت إلينا بوجلٍ فلم يترك لها مساحة أخرى للحديث، لقد اتخذ قراره وانتهى الأمر. ألصقها بجسده وهو يُقبل شفتيها بقوةٍ جعلتها تبتلع كلماتها اللائمة لتستسلم له على الفور .

بعد عدة ساعات قضاياها سويًا في سعادةٍ غامرة، غفت إلينا على صدره العاري والابتسامة لم تُفارق شفتيها حتى وهي نائمة بعمق، بينما هو يمرر يده على خصلات شعرها بشرود وكلماتها التي تحدثت بها عن الموت لا تريد مفارقة عقله. وفجأة تشنج جسده بفزع حين سمع صوت أمه تناديه بصراخٍ مُمتد.



الفصل الأخير

"قبل ساعة واحدة"

ترك بني النعمان وِيْوَن يذهب لمملكته، بعد أن أوشك على إنهاء حياته لأنه لا يريد إخباره عن والد الطفل، وقد أقسم له عدة مرات أنه لا يعلم ولا أحد يعلم سوى والده، تدخلت سارافيم وهي تبكي أباها أن يعتقه، ورغم غضبه الشديد منه ومن ياوي ومن مملكته بأكملها، إلا أنه قد وعده ألا يؤذيه، فأبرم معه اتفاقًا ضمنيًا:

- سوف أدخل معك للمملكة وسأقوم بمواجهة أبيك، وإن رفض إخباري بما أريده، لا تلومن إلا إياه..

ترجاه وِيْوَن ألا يفعل، فلو عرف ياوي أنه أفشى السر سيقتله في الحال. لم يكترث بني النعمان لرجائه وقام بنقله لمملكته وهو على وشك الدخول كي يقتل ياوي بعد أن يعرف والد الجنين.

ولكنه قبل أن يولج الممر سمع همسًا بعيدًا باسمه من صوتها الذي اشتاق له لدرجة لم يعُد يتحملها، لم يشعر بجسده الذي اختفى على الفور من خلف وِيْوَن ليظهر أمامها في الغرفة التي اختارتها داخل قصر كيبورا. وجدها غافية على الفراش بوجهِ تقاسيمه مُجعدةٌ من الألم، تضُم كلتا ركبتيها إلى بطنها وتتأوه بخفوتٍ وهي تناديه:

- نعمان.

اقترب منها مثل المحموم، ليجثو على ركبتيه جوار الفراش وهو يمرر أصابعه برقةٍ على وجهها مُجيبًا:

- هُنا يا قلبي الذي تمزق منذ فِراقك.

جسدها المُمدد كان يرتعش بخفة، ووجهها يغزوه اللون الوردي، تنهدت بعمقٍ وهي ما زالت تهذي:

- لمَ فعلت بي ذلك؟!

دنا بوجههِ منها وأغمض عينيه وهو يستنشق عبيرها الذي يجذبه بقوة، ليتأوه مرددًا:

- لقد فعلت بنفسي الأسوء يا روهان، أنا لم أتمنَّ الموت قطَّ سوى في الوقت الذي هجرتني به.

شعر بأنفاسها تعلو بزفيرٍ شديد، ثم بدأت تتسارع ليجدها تنتفض برعبٍ على وجهها وهي تصرُخ اسمه. جذبها سريعًا في أحضانهٍ وهو يمرر كفه على رأسها وظهرها وهو يتلوا آيات التحصين، هدأ جسدها قليلًا ثم استيقظت لتستوعب على الفور ما يفعله بها، دفعته بعيدًا عنها ونزلت من أعلى الفراش باضطرابٍ واضح وهي تقول له:

- ابتعد عني؛ ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

رفع كفيه أمامها باستغرابٍ وهو لا يفهم ما الذي يحدث معها:

- اهدئي يا حبيبتي؛ أنتِ من ناديتني.

صرخت به وحدقتيها تهتزان من الغضب:

- أنا لستُ حبيبتك، لا تنطقها ثانية.

يديها كانت ترتعد من الانفعال وهي تُتابع:

- ثم أنني لم أناديك، ولو فعلتها فقد كنت نائمة لا أدري ما أقوله.

أحس نعمان على الفور أنها كانت ترى شيئًا مزعجًا بشأنه، ولذلك هي تعاني من هذا الهياج الغير مبرر، ولكنه مرر الأمر ولم يقف عنده لوقتٍ طويل، لذا خطى نحوها خطوة واحدة وهو يقول لها:

- حسنًا تريثي قليلًا ودعينا نتحدث سويًا.

عادت للخلف عدة خطوات وهي تُحذره:

- لا تجرؤ على الاقتراب مني أيها الخائن، ليس بيننا حديث منذ هجرتك ولقد قررت الانفصال عنك نهائيًا.

جمعت كل قوتها التي استطاعت الحصول عليها، لتنطق بما لم تنطق به من قبل:

- طلقني يا نعمان، ودعنا ننفصل بهدوء.

ألجمته الصدمة التي لم يكن يتوقعها طوال عمره معها الذي قارب على الخمسين عامًا، لقد طعنته روهان الآن لدرجة أن أنفاسه سُجنت بداخله.

تتطلعت إليه بقوةٍ زائفة وهي تُردف:

- هيا افعلها في الحال ودعنا ننتهي، فأنا لا أريد أن التقي بك ثانية.

شعر أنه انفصل عن العالم للتو، تخيل للحظة حياته دونها فكان على وشك الانهيار بالفعل، لملم شتاته سريعًا وهو يقول لها بعدم تصديق:

- أنتِ لا تعنين ما قُلته للتو؛ أليس كذلك!

ازدردت ريقها بصعوبةٍ بالغة وهي تُخرج صوتها المُهتز لتؤكد له الأمر:

- لا أنا أعي كل حرف قد خرج من فمي، وهذا قرارٌ لا رجعة فيه، فأرجوك لا تُطل الحديث وتُصعب الأمر على كلانا.

عيناه لم تفارق عينيها وكأنه يتعلق بآخر أمل قد تمنحه إياه، لتستطرد روهان بتشدُدٍ حرصت على أن يخرج مع كل كلمة حتى لا تفقد قوتها وتسقُط أمامه:

- عُد إليها فهي أحق بك، لقد عاشرتني ما يقرُب من خمسين عامًا وأنت تشعر بالنقص تجاه علاقتنا، وحين عادت إليك لم تكتمل إلا معها.

التقطت عدة أنفاسٍ سريعة متجاهلة نظرات بني النعمان التي انفصلت عن مدارها،

ولأول مرة تشعر باهتزازة طفيفة في جسده الثابت دائمًا مثل الجبل، تحاملت على نفسها قليلًا بعد لتتابع:

- لذا فكن شجاعًا كعادتك واذهب إليها وأكمل مسيرة حياتك الطويلة معها، فأنا سوف أفارق على أية حال بعد عدة أعوام.

أقبل عليها بخطواتٍ مضطربة متغافلًا عن صوتها العالي الذي تحذره من خلاله بعدم الاقتراب حتى التصقت بالحائط من خلفها وهو مازال يدنو منها حتى سحبها من يدها بقوة فلم تجد أمامها سوى تهديده:

- أقسم لك لو نقلتني إلى مكان آخر الآن وأجبرتني على الخضوع لك، لسوف أقتل نفسي أمامك يا بني النعمان.

عيناها أخبرته بصدقها وإصرارها على الأمر، فتوقف ولم ينتقل بها كما كان ينتوي، ليردد بصوتٍ يتموج برعشةٍ ملحوظة:

- حسنًا لن أنتقل بكِ حيث أريد، ولكنكِ سوف تخرجين من هنا الآن معي حيث تريدين أنتِ، وسنتحدث سويًا عما اتهمتني به منذ قليل، وأعدك أنني بعدها لن أقترب منك إلا حين تأمرينني بذلك.

أبعدته عنها بغيظٍ وهي تقول له:

- أنا لن أفعل أي شيء تريده، صدقني أنا لم أعد أحمل لك أي مشاعر على الاطلاق، لقد نزعت حبك من قلبي في اللحظة التي سمحت لنفسك بها الاستمتاع بزوجةٍ أخرى.

تسللت من بين ذراعه وهي تتوجه لمنتصف الغرفة، مرددةً بانفعالٍ شديد:

- أنا لم أعد أريدك في حياتي على الإطلاق، يجب أن تفهم ذلك جيدًا.

لم تدع له فرصة أخرى للحديث وصاحت بصراخٍ عالٍ:

- عِفرِّين ائتني في الحال.

ظهر كيبورا في الغرفة والغضب الشديد يتلاعب بجسده الهائج الذي انقض على بني النعمان بقوةٍ وهو يقول له:

- كيف جرؤت على الدخول لقبيلتي دون إذني أيها النذل.

ارتعدت حدقتيها بقوة وهي تنظر لقتالهما المميت، لم تستطع أن تشاهد هذا القتال وخرجت من الغرفة راكضة لتُحرر دموعها التي حبستها بالقوة الجبرية أمامه. استمر القتال بينهما لعدة دقائق كانت كفيلة بظهور ساريٍّ مُعلم نعمان، أوقفهما عن القتال على الفور ليطرق كلٌ منهما رأسه باحترامٍ لهذا الكهل. رفع ساري صوته بضيقٍ قائلًا:

- سوف يقتل أحدكما الآخر لأجل الإنسية؟!

ردد كيبورا بصوتٍ منخفض:

- لا يا أخي ليس لأجل الإنسية، لقد دخل بني النعمان إلى قبيلتنا دون إذن أحدٍ منكم، وإلى قصري الخاص دون إذني، وطالت جرائته غرفتي الشخصية.

رمقه نعمان بعينين تزداد قتامة حين أشار إلى أن الغرفة التي باتت بها زوجته هي غرفته الشخصية، فلم يستطع الصمت ليرد بحنقٍ شديد:

- ولِمَ فعلت أنت مالا تريد مني أنا فعله؟! أراك اقتحمت أيضًا مملكتي وقصري وغرفة نومي وأخذت زوجتي وكل ذلك تم دون إذني.

نظر ساري نحو كيبورا قائلًا:

- هل تملك تفسيرًا لما قاله؟!

ارتجف صوته بوضوحٍ وهو يخبره:

- الأمر ليس كذلك، لقد استدعتني زوجته كي أحميها منه.

ضيق ساري عينيه وهو يرمقه بغضبٍ شديد:

- وكيف استدعتك الإنسية! هل استطاعت ذلك باسمك المزيف الذي يعرفه الجميع؟!

صك بني النعمان أسنانه وهو يرى ارتباك كيبورا أمام أخيه الأكبر، ليجيب نعمان عنه:

- أنت لا تعرف إذًا أنها تناديه عِفِرِّين؟!

رفع كيبورا رأسه نحو بني النعمان بسخطٍ، فمعنى أنه نطق اسمه بهذا التشديد فهو لن يتوانى عن أذيته في الحال إن أراد ذلك. تصاعد غضب ساري مما سمعه وهو يأمره:

- انصرف الآن فلنا حديثٌ آخر فيما بعد.

وبالفعل اختفى كيبورا على الفور، ليلتفت ساري نحو بني النعمان وقد لان صوته قائلًا:

- أنت تعرف جيدًا قوانين قبيلتنا.

كاد بني النعمان أن يعتذر له فأوقفه ساري بإشارةٍ واحدةٍ ليردف:

- ولكنك تعرف أنني أعتبرك في مقام ابني، لذلك فأنت مُرحبٌ بك في أي وقت، وإن أردت أخذ زوجتك من هنا فمؤكد هذا حقك، ولو أردت تركها فستكون في حمايتي، أنت تملك كل الحق لفعل ما تشاء يا بني.

أحنى نعمان رأسه تقديرًا لمعلمهُ، ثم انصرف بهدوء من أمامه ليبحث عن روهان، فأتاه صوت هند من أقاصي الأرض تنادية بصراخها المعتاد، عاد لساري على الفور وهو يطلب منه بلطفٍ:

- أرجو منك أن تجد زوجتي وتحميها في قصرك حتى أعود، لأنني الآن أواجه شرًا من نوعٍ خاص وأخشى أن يطالها هذا الشر ولو بالقليل.

أومأ ساري برأسه وهو يقول له:

- لك ما تريد.

اختفى بني النعمان ليطل على هند التي تنتظره في منتصف جسر الإبرة في فرنسا، تعجب كثيرًا لهذا المكان الغريب المُحاط بكهفٍ كبير يمتد الجسر داخله، أحس بني النعمان بشيءٍ سيء يلوح من بعيد. فاقترب منها متسائلًا:

- ما الذي تريدينه يا هند؟!

ليتابع وهو يدقق النظر في عينيها:

- دعينا نُنهي الآن هذا الأمر بيننا، ولنفترق دون عراك فلقد حاولتِ في المرة الأخيرة وأنتِ التي خسرتِ سنوات قد قضيتها في سجني.

تأججت النيران الحمراء المتصاعدة من حدقتيها، وهي تُقبل عليه ببطءٍ قائلة:

- هل تعتقد أنني أغضب لتلك السنوات القليلة التي قضيتها خلف الجدران وأنا أخطط للانتقام منك في كل لحظة، حتى خرجت وحدث ما حدث بيننا.

اقتربت منه حتى وقفت أمامه مباشرةً لتستطرد:

- حينها فقط تأكدت أن الإنسية لم تستحوذ سوى على رُفات علاقتنا التي لم تنتهِ قط منذ الليلة الأخيرة التي كنا بها معًا.

رفعت كفها على وجنته لتمرر سبابتها ببطء مردفة:

- حين كنا معًا تبينتُ أنك لم تغادرني ولو للحظةٍ واحدة، شوقك لي كما هو، لقد اكتشفت أنك حتى تحفظ كل جزء في جسدي بشكلٍ قد عجزت لحظات عن تصديقه.

أزاح كفها بعنفٍ من على وجهه وهو يقول لها:

- لا تخدعي نفسكِ يا هند، ما حدث بيننا لم يكُن سوى خطأ فادح، دفعت ثمنه الكثير وسوف أقضي سنواتي القادمة في دفع البقية.

تشنج جسدها بعنف وهي تفوح مثل الحية الساخطة:

- هل تسمي ما عشناه سويًا خطأً فادحًا ؟!

دفعها بني النعمان بعيدًا لتعود عدة خطوات للخلف وهي تستمع له:

- زواجي منكِ كان خطأ فادحًا، حزني عليكِ كان جريمة في حق نفسي، عودتك كانت إثمًا عظيمًا، وما حدث بيننا خطيئة كبرى سأظل أدفع كل ما أملكه كي أُكفر عنها.

وفي هذه اللحظة وصله رائحتها التي يميزها بها، تأتيه من خلفه. تسمر جسده لثوانٍ قبل أن يلتفت ليجدها تقف في المنتصف بين مويرا وبارئ الذي يطأطئ رأسه بخجلٍ كبير. لقد استدعته مويرا بعدما أمرتها هند بالبحث عن مكان روهان، وبسؤاله جميع من في القصر، أخبره أحد الخدم أنه رأى ساحرًا من قبيلة الشنفري يدخل من باب القصر الكبير، وبعدها لم يرَ سيدته روهان في المملكة بأكملها، فأخبرها على الفور لتُخبر هند التي لقنتها كيفية دخول القبيلة، وعندما تسللت للداخل وبعد عدة دقائق وجدت روهان تركض داخل بهو أحد القصور، فذهبت إليها وأخبرتها ما أمرتها به هند:

- هل تريدين معرفة مشاعر زوجك التي يكنها نحو هند؟! تعالي معي وسوف تتجلى لكِ حقيقة ما حدث بينهما.

تمتم بني النعمان باسم شاص الذي أتى على الفور ومعه أخاه ليقفوا خلف أخيهم الأصغر وزوجته، إشارة صغيرة من بني النعمان فهمها شاص ليُمسك كلٌ منهم بارئ ومويرا اللذان صاحا وهما يُسحبان للخلف، ليختفي الأربعة في الحال. وقبل أن ينتقل إلى روهان وجد هند تقف خلفها وهي ترسم ابتسامة هادئة عرفها على الفور، ارتفعت دقات قلبه بذعرٍ وهو يقول لها:

- اتركيها الآن يا هند ولا تجعلي غضبك يعميكِ لهذا الحد.

أعادت شعر روهان للخلف وهي تقترب من أذنها بهمسٍ، بينما عيناها لا تفرقان بني النعمان الذي يقف خائفًا مثل حيوانٍ بري يوشك أن تهاجمه الأسود:

- لقد تأكدت أنه مازال يعشقني، لذا فأنتِ في هذه اللحظة العائق الوحيد أمامي كي نعود أنا وهو لسابق عهدنا.

استلت خنجرًا صغيرًا من داخل ثوبها عازمةً أمرها أن تقوم بطعنها وقذفها بعيدًا تحت الجسر. ولكنها وفي اللحظة ذاتها لم تشعر سوى بنصله الحاد الذي نحرها به على الفور.

شهقت روهان بفزعٍ حين وجدتها تقع خلفها، ليتضح جسد بني النعمان الذي بدأ في الترنح بشكلٍ غريب وهو يسألها:

- هل أنتِ بخير؟!

حركت رأسها بإيجابٍ وهي لا تفهم لمَ يفقد اتزانه، حتى سقط أمامها جوار هندٍ.

هرولت نحوه وهي تصرخ:

- نعمان.

جلست جواره على الأرضية الخشبية للجسر وهي تسأله بفزع:

- ما الذي يحدث معك؟! أرجوك اخبرني.

رفع يده بصعوبة مشيرًا للخاتم الموضوع بخنصره وهو يقول لها بصوتٍ عصيب:

- بيننا رابطٌ أبدي، إن ماتت هي فسوف ألحق بها خلال دقائق.

ضربت روهان صدرها فقربها منه ليُردف بصعوبةٍ بالغة:

- لهذا لم أستطِع قتلها من قبل، وليس لأنني ما زلت أحبها.

بدأ الجسر يدور بها بعجز وهي لا تُدرك ما يحدث، ليخرجها بني النعمان من الهوة التي سقطت بها وهو يتحدث بمجهودٍ شاق:

- أنا لم أعشق غيرك يا روهان، أرجوكِ سامحيني على ما اقترفته معها في لحظةِ ضعفٍ كرهتُ نفسي لأجلها.

لم تستطِع التحدث من بين بكاءها المرير، ليستطرد وقد سقطت دمعة من عينيه لأول مرةٍ في حياته:

- امنحيها لي قبل أن أفارقك إلى الأبد.

لم تستطِع سوى الصراخ باسم ابنها الذي أتي على الفور مذعورًا وهو يرى أبيه يلتقط أنفاسه الأخيرة.

هاجمته مقولة العجوز..

العبرة ليست بالخاتم ولكن بالحجر، إذا انتهت حياة أحدكما يلحق به الآخر في دقائق معدودة..

احتفظ بهذه حتى يحين وقتها ..الثمن لن يكون سوى حياةٌ؛ لا تستطيع العيش دونها.

استمر لحظاتٍ وأمه تصرخ به، ليُخرج اللفافة من جيبه على الفور وهو يفتحها بيدٍ ترتعد خوفًا من القادم، ليجد داخلها حجرٌ دائري أبيض اللون، جثا على ركبتيه وهو يقول لأبيه:

- اخبرني يا أبي ماذا أفعل به؟!

لم يهتم بني النعمان لما يتحدث به ولده، وعيناه مُثبتة على روهان التي تنتحب بشدة، ليرجوها بصوته المتهدج:

- لن تسامحيني أليس كذلك؟!

أمسكت روهان بثيابه وهي تهزه بعنفٍ، وتصرخ به:

- لن أسامحك إن تركتني ورحلت، لن أسامحك يا نعمان.

ثم تركته وهي تضرب صدر ولدها بهياجٍ كبير:

- انقذ أبيك أيها الغبي فلم يعد في الوقت الكثير.

ارتجف جسد يوناس بقوة، جعلته يمسك الحجر بعجزٍ بينما صدع صوته القوي بين الجبال:

- أرجوك اخبرني ما الذي أفعله به.

أغمض بني النعمان عينه بسبات ليزداد صراخ روهان باسمه، ليقتحم عقله صوت العجوز مرة أخرى.. حين ترتدي الغرض المربوط تنتقل روحك الأثيريه إليه..

وضع الحجر سريعًا على صدره فلم يحدث شيء، وقد بدأت قدم بني النعمان في التلاشي، ليعلو عويل روهان، وجسد يوناس يرتعش بقوة، عيناه التقطت الخاتم الذي بيد أبيه، ليضع الحجر عليه دون تفكير، مرت لحظات وصل بها اندثار جسد نعمان حتى منتصف بطنه، ليُضئ الحجر الأبيض باللون الأحمر، ليصمت كلاهما وهما يتأملان ليصمت كلاهما وهما يتأملان الحجر الذي ارتفع للأعلى ثم هبط على الأرض في موضع جسد نعمان الذي اختفى على الفور. أمسكت روهان بذراع ولدها وهي تهزه بشراسةٍ قائلة بصوتٍ قد بدأ في الاختفاء من كثرة صراخها:

- ما الذي حدث لأبيك؟! أجبني يا يوناس.

هز رأسه نفيًا بوهن وانحني ليلتقط الحجر، ثم أحاط خصر أمه عائدًا بها للقصر، تاركًا إياها تتأوه بألمٍ شديد وهي تصيح به:

- إياك أن تعود لي من دونه.

انتقل يونـاس للعجوز وكل أطرافه ترتجف من الخوف، وهـو يطرق بابـها الذي انفتح على الفور ليخطو للداخل بضجة كبيرة يبحث عنها، فوجدها أمامه تنظر نحوه بغرابه متسائلةً:

- ما الذي حدث؟! هل لحقت به؟!

حرك رأسه بعنفٍ وهو يُريها الحجر:

- لا أعلم أين اختفى، اخبريني أنتِ ما الذي عليّ فعله؟!

جحـظت عـينا الـعجوز وهــي تـقول لـه بـرعـشةٍ واضــحةٍ فـي صوتها:

- هل اختفى جسده!

انـفرجـت حـدقـتي يـونـاس، وارتـفعت أنـفاسـه بـارتـيا ع وهـو يسألها:

- ما معنى ذلك؟!

تركت العجوز جسدها يرتطم بالمقعد خلفها وهـي شاخصة بصرها مرددة:

- لقد تأخرت كثيرًا يا بني.

لم يستطِع يونـاس أن يتمالك نفسه وهو يصرخ بها:

- ما الذي تعنيه بقولك هذا؟! هل مات أبي؟!

- زمت شفتيها بأسى وهي تنظر نحو الحجر الأحمر لتصدمه بقولها:

- أظنه هكذا.

تم بحمد الله

